باقر شريف القرشي

النظام السياسي في الإسلام

دار التعارف للمطبوعات

الطبعة الثانية

الطبعة الثالثة

الطبعة الرابعة

١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٧ م



المكتب : شارع سوريا ـ بناية درويش ـ الطابق الثالث

الادارة والمعرض ـ حارة حريك ـ المنشية ـ شارع دكاش ـ بناية ابو علي طعام

ص ـ ب ١١ ـ ٨٦٠١

تلفون ٨٣٦٦٩٦ ـ ٨٣٧٨٦٨

تلكس تعارف ٢٣٦٤٤ ـ LE

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى . . . رائد العدالة الإنسانية .

إلى . . . أول حاكم شارك الضعفاء والمحرومين في آلامهم وجشوبة عيشهم .

إلى . . . خريج مدرسة الرسول (ص) الامام امير المؤمنين (ع) .

إلى . . . من رسم قواعد السياسة العادلة في سيرته وأعماله .

ارفع بكلتي يدي لمقامه الرفيع هذا المجهود المتواضع راجياً أن يتلطف علي بالرضا والقبول وهو حسبي . .

بسم الله الرحمن الرحيم

وإذا حَكَمْتُمْ بينَ النَّاسِ أن تحكُمُوا بالعـدلِ[١] ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئانُ قَومٍ عـلى ألّا تَعْدِلُوا إعْدِلُوا هُـوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْـوى[٢] وإذا قُلْتُم فَاعْـدِلُوا وَلَـوْ كانَ ذا قُـرْبى[٣] لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الكِتابَ والمِيزانَ لِيَقُومَ النّاسُ بِالقِسْطِ[٤] .

القرآن الكريم

(١) سورة النساء : آية ٥٨ .
(٢) سورة المائدة : آية ٨ .
(٣) سورة الأنعام : آية ١٥٢ .
(٤) سورة الحديد : آية ٢٥ .

تقديم

الطبعة الثانية

- ١ -

هذه بحوث عن النظام السياسي في الإسلام كنت قد نشرتها بين الناس قبل حفنة من السنين ، وقد حاولت فيها أن أعطي صورة متميزة عما شرعه الإسلام وفننه من الأنظمة السياسية الخلاقة التي تضمن للناس حياة آمنة لا قلق فيها ولا اضطراب ، وقد قايستها مع الأنظمة السياسية الحديثة التي أشاعت الذعر والرعب في نفوس الناس ، وأغرقت العالم في الفتن والمحن والخطوب ، ففي كل يوم تنقل محطات الإذاعة والتلفزيون والصحف السيارة صوراً رهيبة من المآسي التي يشهدها العالم من الإنفجارات ، واختطاف الطائرات ، والمذابح الجماعية ، وغير ذلك من الأحداث المؤلمة التي تركت الإنسان المعاصر يعيش على أعصابه من الفزع والخوف .

إن الأحداث العالمية تؤكد بصورة قاطعة فشل الأنظمة السياسية الحديثة من الرأسمالية والشيوعية في حل مشاكل الإنسان والتغلب على الأزمات المحيطة به ، والسبب في ذلك يعود الى أنها لم تعن بتربية الضمير الإنساني وتهذيب مشاعره وعواطفه ، وقد نظرت الى الإنسان بأنه كائن أرضي ، فأخذت تنظر الى الناحية الاقتصادية من حياته وينظر النظام الرأسمالي الى ضرورة زيادة أرباح الفرد بكل الوسائل بينما ينظر النظام الشيوعي الى الدولة باعتبارها الممثل لجميع قطعات الشعب ويجب تأميم كافة وسائل الثروة لها ، والحيلولة بين الفرد وحريته في التملك ، وكل من النظامين بين فلسفته في الحكم على الناحية المادية ولم يتجاوزها بينما الإسلام لم يغفل أي شأن من شؤون الحياة ، وعني قبل كل شيء بتربية الضمير الإنساني باعتباره الركيزة الاولى لصالح المجتمع وازدهار الحياة ، وأقام حكمه على العدل

الخالص والحق المحض ، فليس في أي تشريع من تشريعاته السياسية والإدارية أي حكم يتجافى مع الصالح العام ، ولا ينشد تقدم الانسان وتطور حياته .

ـ ٢ ـ

وكان من الضرورة الملحة إبراز القيم السياسية في الإسلام ، وإظهار الطاقات الهائلة في تشريعاته السياسية ، فقد خفيت على الكثيرين من الناس ، وانطلقت دعاوى رخيصة تنادي أن الإسلام لم يعرض الى الناحية السياسية من حياة الإنسان ، وإنما عني بالحياة الروحية ، وقد وجه جميع أجهزته الفكرية نحو الطقوس الدينية لا يتعداها ، ولا يتجاوزها ، ويثبت هذا الكتاب وغيره مما الف في هذا الموضوع فشل هذه الدعوى وعدم واقعيتها ، فقد انطلقت من القوى الاستعمارية الحاقدة على الاسلام والمعادية لأهدافه ومبادئه .

إن الإسلام ـ بكل اعتزاز ـ قد عالج قضايا الإنسان ، ووضع الحلول الحاسمة لجميع مشاكله وأزماته ، وكان من أهم ما عني به القضايا السياسية العامة ، لأنها ترتبط بحياة المسلمين ومصيرهم وقد وضع أرقى الأنظمة الهادفة الى تطور الحياة الفكرية والاجتماعية ، وازدهار الاقتصاد ، وإشاعة الأمن والرخاء في البلاد .

ـ ٣ ـ

ولاقى هذا الكتاب من القراء رضى ، وصادف من نفوسهم رغبة ، وقد نفذت نسخه في الأيام القليلة الاولى من صدوره ، وأخذ الكثيرون يلحون علي في إعادة طبعه حتى تجاوز الالحاح الى اللوم ، واني حسب ما أعتقد ان فيه فصولاً تحتاج الى استئناف العناية والنظر ، وكنت اظن أن سيتاح لي من الوقت وفراغ البال ما يمكنني من النظر فيه ، ولكن الأيام لم تتح لي ما كنت أرجوه ، فقد انصرفت الى تأليف موسوعة كبرى عن أئمة أهل البيت (ع) الذين هم مصدر الوعي والاحساس في الأرض ، وقد خرجت ـ والحمد لله ـ بعض حلقات هذه الموسوعة الى عالم النشر ، فليس عندي إذاً أي مجال لأنظر في هذا الكتاب ، واني على ثقة اني

لو قرأته لنقدتّ بعض بحوثه وفصوله .

وقد طلب مني كل من الأخوين صاحب دار الأنوار ودار التعارف إعادة طبعه فرأيت أن آذن لهما بنشره ثانياً كما هو وأنا أرجو أن أكون قد ساهمت في خدمة الإسلام ، وإبراز بعض قيمه وأهدافه .

النجف الأشرف ١٩ ـ ربيع ٢ ـ ١٣٩٨ هـ
٢٩ ـ ٣ ـ ١٩٧٨ م

باقر شريف القرشي

تقديم
الطبعة الاولى

ـ ١ ـ

ان أرقى سياسة عرفتها الإنسانية منذ أقدم عصورها هي السياسة الإسلامية البناءة التي حققت على مسرح الحياة أسمى المبادىء ، وأنبل المثل والغايات ، وقدمت للبشرية أجمل ما تحلم به ، وأهم ما تصبو اليه من التآلف ، والتعاون ، والغاء الامتيازات والفوارق ، وتحطيم العبودية والاستغلال ، حقق الإسلام ذلك كله وطبقه على واقع الحياة منذ فجر تاريخه وبزوغ نوره ، فقد ألفَ ما بين القلوب ، ووحد ما بين المشاعر والعواطف ، وعقد أواصر الحب والاخاء بين المسلمين فآخى بين المهاجرين والأنصار ورفع شعار الاخوة العامة بين الأبيض منهم والأسود ، قال تعالى : ﴿**إنما المؤمنون اخوة**﴾ ودعاهم إلى التعاون في طرق الخير والمبرات لا في الاثم والعدوان ، قال تعالى : ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان**﴾ كما حطم جميع ألوان الفوارق والامتيازات وجعل أساس التفوق بالتقوى والعمل الصالح لا بالمال وتضخم الثراء ، قال تعالى : ﴿**إن اكرمكم عند الله أتقاكم**﴾ كما حمل معول الهدم على جميع وسائل العبودية والاستغلال فلم يجز بأي حال استغلال انسان وتسخيره لصالح انسان آخر مجاناً .

إن السياسة الرشيدة التي تبناها الإسلام في أيام حكمه لا تعرف التحيز ولا الالتواء لأنها لم تهدف إلى مصلحة الأقلية ، ولم تنظر الى صالح قوم دون آخرين كما لم تعتن باقليم دون آخر بل هي في عدلها ورحمتها شاملة لجميع الامم والشعوب ، قد بنت قواعدها على العدل الشامل ووضعت اسسها على الاشادة بكرامة الانسان ، واعلان حقه في الحياة ، وعلى توطيد دعائم الأمن والدعة والاستقرار ، فحققت

العدالة الاجتماعية ، وقضت على الغبن الاجتماعي ، ووجد الناس في ظلالها العدل بعد الظلم ، والوحدة بعد الفرقة ، والطعام بعد الجوع ، والراحة بعد العناء .

إن السياسة العليا التي طبقها الإسلام في أيام دولته وسلطانه كانت صريحة واضحة في معالمها وأهدافها ، بعيدة عن التهريج والتضليل ، فلم تمن الشعوب بالآمال الكاذبة أو تغريهم بالوعود المعسولة ، أو تخدعهم بالأماني المضللة بل كانت ـ والحمد لله ـ محتفة بالصدق مقترنة بالعدل ، ملازمة للحق ، لم يلتق مع أي جانب من جوانبها اغراء أو خداع ، فليس من منطقها أن تخالف ما تقول ، أو تجافي ما تعد به ، أو تسن من الأحكام ما لا يتفق مع صالح المجتمع ، أو تضع من القوانين ما يعرقل سير الحياة .

انها في سماحتها وعدلها قد حققت آمال المجتمع وأهدافه فنشرت بين أوساطه الدعة والاستقرار فلم يعد هناك مجال للقلق والاضطراب كما رصدت جميع امكانياتها للقضاء على الفقر ، والتخلص من شبحه البغيض ، فقد أبادت وسائل الجوع والفاقة اللذين هما السبب في شقاء الانسان واضطراب حياته ، وذلك بما سنته من الوسائل الخلاقة التي تدعو الى رفع المستوى الاقتصادي ، وزيادة الانتاج ، وازدهار الصناعة والتجارة ، وعدم السماح للجمود والخمول ، وتعطيل القوى الانسانية ، كما شرعت الأنظمة الأصيلة التي ترفه على كل عامل في ميدان المجتمع الاسلامي الكبير ، وتحميهم من الحوادث الطارئة ، والأمراض ، وتضمن لهم الحياة الكريمة ، وذلك بتشريع (التأمين الاجتماعي) الذي ألقى على عاتق الدولة المسؤولية عن رفاهية المواطنين ، وحمايتهم من الفقر والاعواز .

ان الاسلام فرض على الدولة القيام بتقدم البلاد وازدهارها وإبعادها عن الظروف الشاذة المتناقضة التي تبيد الاقتصاد العام ، فلم يسمح بأي حال صرف قليل أو كثير من مال الخزينة العامة في غير صالح المواطنين ، وانعاشهم وزيادة دخل الفرد منهم .

إن السياسة الاسلامية قد وضعت جميع المناهج الاجتماعية الحية لحماية

المجتمع من الاستبداد ، ووقايته من الاستغلال ، وصيانته من تهور الشئالة والمسؤولين وتلاعبهم في مقدراته وامكانياته فقد حددت تصرفاتهم بما يتفق مع نصوص الشريعة الاسلامية فليس لهم أن يتعدوها ، كما شرطت فيهم أن يكونوا من ذوي المواهب والجدارة والدراية في شؤون الامة لئلا تتعرض البلاد الى الأزمات والاضطرابات .

- ٢ -

ولم يعتن دين من الأديان أو مذهب من المذاهب « بالسياسة » كما اعتنى بها الاسلام فقد فرضها على المسلمين جميعاً ، وأوجب عليهم التدخل الايجابي في جميع الشؤون العامة ، وقد أعلن النبي (ص) ذلك بقوله : « كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته » ويقول : : « من أصبح لا يهتم بامور المسلمين فليس من الاسلام في شيء » .

لقد ألقى الرسول (ص) على عاتق المسلمين المسؤولية الكبرى وهي لزوم السهر على مصالحهم ، ورعاية شؤونهم فليس لأحد منهم أن يقف موقفاً سلبياً أمام المصلحة العامة ، أو يهمل شأناً من شؤون بلاده ومجتمعه ، أو يقف موقف المتفرج أمام الأحداث العامة التي يُمنى بها المجتمع ، ويتصدع بها كيان الامة فانه ليس من الاسلام ذلك .

وللتدليل على ارتباط الإسلام بالسياسة أنه اوجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو من أهم برامج سياسته العادلة ، فقد اوجب ذلك على المسلمين جميعاً ، لانه يصون كرامتهم ، ويحميهم من عنف الباغين واستبداد الطغاة الحاكمين ، ويزيل عنهم كابوس الظلم والاعتداء ويعيش المواطن في ظلاله الوارف حياة وادعة آمنة لا يضام له حق ، ولا تهدر له كرامة إن السياسة البناءة ترتبط بالإسلام ارتباطاً وثيقاً ، فهي من أهم بنوده ، ولا يمكن بأي حال فصلها عن اطاره ، ولكن الحاقدين على الاسلام ، والمنحرفين عنه ، زعموا ان الدين ليس إلا مجرد صلة روحية بين الإنسان وربه ، ومن أقوالهم في ذلك « إن الدين شيء

والسياسة شيء آخر » .

. . . نعم إن الدين شيء ، والسياسة شيء آخر ، لو اريد من السيا
الغدر والنفاق ، والكذب والخداع ، والمراوغة ، وأما لو اريد منها إقامة الحق
وبسط العدل ، ومساندة الضعيف والمحروم فإنها من صميم الشريعة الإسلامية
وهل جاء الاسلام إلا ليحقق ذلك ، ويبسط معالم الخير والرفاهية بين الا
والشعوب ، يقول سماحة الامام المغفور له الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغ
في الجواب عن تدخله في السياسة مع أنه أعلام الدين ، وذلك يتنافى مع مر
الديني بحسب زعمهم قال رحمه الله :

أما التدخل بالسياسة فإن كان المعني بها هو الوعظ والارشاد ، والنهي
الفساد ، والنصيحة للحاكمين بل لعامة العباد ، والتحذير من الوقوع في حب
الاستعمار والاستعباد ، ووضع القيود والاغلال على البلاد وابناء البلاد .

إن كانت السياسة هي هذه الامور فأنا « واعوذ بالله من قولي أنا إلا في
المقام » .

نعم أنا غارق فيها الى هامتي ، وهي من واجباتي وأراني مسؤولاً عنها أمام
والوجدان وهي من وظائفي وأضاف يقول : وهي النيابة العامة ، والزعا
الكبرى ، والخلافة الإلهية العظمى « يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاح
بين الناس بالحق » وفي بعض زيارات الجامعة « وأنتم ساسة العباد وأرك
البلاد » .

فسياستنا هي سياسة النبي والأئمة سلام الله عليه وعليهم الخالية عن
هوى ، وهوس ، وطمع ودنس « ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » .

وإذا كان المعني بالسياسة هو احداث الفتن والثورات ، والاضرابات
والاضطرابات للتوصل الى الحكم ، والجلوس على الكراسي الناعمة لمعاملة الن
بالخشونة والغطرسة والكبرياء ، واستغلال النفوذ للمنافع الذاتية ، والاطم
الدنية ، والسمسرة للاجانب وتسلطهم على الامة ولو باراقة الدماء إن ك
السياسة هذه وما اليه فإني اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الغوي الر

« قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت اولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل »[1] .

ان السياسة التي تبناها الإسلام هي السياسة السمحة الخيرة التي تقيم الحق وتقاوم الظلم وتنشر المحبة بين الناس ، ولم يقر الاسلام السياسة الجائرة التي لا تؤمن بالقيم العليا ولا بالمثل الرفيعة فان هذه السياسة ـ كما سنوضح ذلك في غضون هذا الكتاب ـ لا تلتقي مع الاهداف الأصيلة التي ينشدها الاسلام وقد حرمها وحرم التعاون مع رجالها في جميع المجالات .

إن من الفهم الخاطىء تجريد الإسلام عن السياسة الرشيدة وجعله بمنحى عنها ، فانه بذلك يفقد فعالياته ؛ وذاتياته ، بل يفقد روحه وجوهره ، ويكون شبحاً باهتاً ، وظلاً متهافتاً ، يقول بعض الكتاب :

(ومن ظن ان الاسلام لا يعرض للسياسة ، أو أن السياسة ليست من مباحثه فقد ظلم نفسه ، وظلم علمه بهذا الاسلام ، ولا أقول : ظلم الاسلام ، فان الاسلام شريعة الله « لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه » وجميل قول الامام الغزالي : (إن الشريعة أصل والملك حارس ، وما لا أصل له فمهدوم وما لا حارس له فضائع) .

إن الاسلام ليس ديناً بالمعنى الذي يزعمه المستعمرون وأذنابهم العملاء ، وليس مجرد علاقة بين الانسان وربه كما يتهمه بذلك الشيوعيون ، إن الإسلام نظام كامل ، ودستور شامل قد أحاط بكل شأن من شؤون الحياة ، وبكل مظهر من مظاهرها يقول الاستاذ جيب :

« إن الاسلام ليس ديناً بالمعنى المجرد الذي نفهمه اليوم من هذه الكلمة ، بل هو مجتمع بالغ تمام الكمال يقوم على أساس ديني ، ويشمل كل مظاهر الحياة

---

(١) المثل العليا في الإسلام لا في بحمدون ص ٨٦ ـ ٨٨ .

الانسانية » [1] .

ان المستعمرين ، والحاقدين على الاسلام قد رسموا للدين صورة مبتورة ، وناقصة لا تعدو الطقوس الشكلية والظواهر العادية فقد بذلوا جميع طاقاتهم على اقصاء الدين عن السياسة ، وجعله في اطار خاص لا يتناول واقع الحياة ونظمها والغرض من ذلك إنما هو القضاء على كيان المسلمين ، وتحطيم رصيدهم الروحي والعقلي المتمثل في عقيدتهم وفي إيمانهم بدينهم ، والاجهاز على اصالتهم وسيادتهم واستقلال بلادهم .

إن القوى الاستعمارية الحاقدة على الإسلام أخذت تشيع في الأوساط الإسلامية وغيرها ان الاسلام كالمسيحية قد رسم افقاً مثالياً للروح والأخلاق ، وهو لا يتعدى غير هذا الحد .

لقد زعم المستعمرون ، وأذنابهم ان العالم المسيحي وفي طليعته اوروبا قد خلعوا الدين عن السياسة ، وجردوه من اطار الدولة فكذلك يجب على الحكومات القائمة في البلاد الاسلامية أن تعمل مثل عملهم إن أرادت لها التقدم والحضارة وقد ألمح إلى ذلك الاستاذ (لوثروب ستودراد) قال ما نصه :

« وزعمت الفئة الدساسة من رواد الاستعمار وأعداء الاسلام ان اوروبا قد فصلت الدين عن السياسة بتاتاً ، وطلقت هذه من هذا ثلاثاً ، وانه لم يبق من يخلط الدين بالسياسة ، ويجعل للحكومة صبغة دينية إلا المسلمون الذين لم ينظروا الى ما حولهم من المحدثات العصرية التي من جملتها جعل الدين في واد ، والسياسة في واد ، وقد مشت هذه الاغلوطة على كثير من المسلمين ، وآمنوا ، وصدقوا ان الدول الاور بية تفصت عن كل نزعة مسيحية ، وانها لا تعرف شيئاً سوى الانسانية العامة ، وان الدين المسيحي لا تهتم به حكومة من حكومات اوروبا أكثر مما تهتم بغيره من الأديان ، وان كان المسلمون يريدون أن يفلحوا فلا مناص لهم من الاقتداء بالاوروبيين في هذا المشرب ، ولما كان الاوروبيون قد نزعوا من حكوماتهم كل صبغة مسيحية كان المسلمين المقتدين بهم في طلب الفلاح أن ينزعوا من

(١) مستقبل الاسلام .

حكوماتهم كل صبغة إسلامية بحيث تنظر الى الدين نظر من لا ناقة له ولا جمل [1] » .

وقد استجابت جملة من الحكومات القائمة في البلاد الإسلامية الى هذه النزعة الاستعمارية فجردت عن كيانها جميع القيم الدينية ، وراحت تسير في خطة لا تلتقي بأي صلة مع المفاهيم الإسلامية .

إن خداع المسلمين ان دينهم كالمسيحية لا يعالج القضايا السياسية ، ولا يتعرض لمشاكل الحياة انما هو تزييف للواقع ، وافتراء محض يفضحه نظام الإسلام فانه صريح واضح يفند هذه المزاعم ، ويدحض هذه الاكاذيب ، فانه قد وضع المبادىء الاصيلة لسياسة الحكم وفنون الاقتصاد وتطرق لجميع جوانب الحياة فوضع لمشاكلها الحلول الحاسمة ، وقد لمس ذلك بعض أحرار الفكر الاوروبي ونسوق كلمات بعضهم للتدليل على ذلك يقول الدكتور « فتزجرالد » :

« ليس الإسلام ديناً فحسب ، ولكنه نظام سياسي أيضاً ، وعلى الرغم من انه قد ظهر في العهد الأخير بعض أفراد المسلمين ممن يصفون أنفسهم بأنهم عصريون يحاولون أن يفصلوا بين الناحيتين فإن صرح التفكير الإسلامي كله قد بني على أساس ان الجانبين متلازمان لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر » .

ويقول الدكتور « شاخت » :

« إن الإسلام يعني أكثر من دين ، انه يمثل نظريات قانونية ، وسياسية وجملة القول انه نظام كامل من الثقافة يشمل الدين والدولة معاً » .

ويقول العلامة جيب :

« إن الاسلام لم يكن مجرد عقائد دينية فردية ، وانما استوجب إقامة مجتمع مستقل ، له اسلوبه المعين في الحكم ، وله قوانينه وانظمته الخاصة به . . » .

ويقول « برتراند رسل » :

---

(١) حاضر العالم الإسلامي : ٢ / ٣٥١ .

« انه يعتبر الإسلام ديناً سياسياً موجهاً للجماعة يتوغل في حياة الفرد والمجموع توغلاً كاملاً . . » .

ويقول « لورافيتشا فاليري » الايطالي :

« إن الناس لتتلهف إلى دين يتفق وحاجاتهم الدنيوية ، ولا يكون قاصراً على ارضاء مشاعرهم ، واحساساتهم ويريدون أن يكون هذا الدين وسيلة لأمنهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة ، وليس هناك من دين تتوفر فيه هذه المزايا كلها بشكل رائع سوى دين الإسلام ، إنه ليس مجرد دين فحسب بل إن فيه حياة للناس لأنه يعلمهم كيف يحسنون التفكير والكلام ، ويحضهم على فعل الخير وصالح الأعمال » .

واعترف غير هؤلاء من أقطاب الفكر الاوربي بأن المبادىء السياسية العليا هي من صميم الشريعة الاسلامية ، وليس هو نظاماً روحياً فقط ولكن الاستعمار مدعو بأن يلصق هذه الاتهامات بالإسلام لأن نشر مفاهيمه ومبادئه يهدد مصالحه ، ويزعزع كيانه فإن الإسلام أول ما يعني في حكمه القضاء على الاستعمار وازالة شبحه البغيض . يقول بعض الكتاب المعاصرين :

« إن نشر الإسلام الصحيح بمغانيه الحية يهدد الاستعمار الغاشم وأذنابه الدخلاء كما يهدد الحكومات الاستبدادية التي لا تزال تحكم حكماً طاغياً جائراً . . » .

إن الإسلام خصم للاستعمار ، وعدو للحكم الفوضوي الاستبدادي فلذا كان الاستعمار وأذنابه العملاء يضمرون له الحقد الأسود ، ويبيتون له الشر الملتهب ليخلو لهم الجو في استعباد المسلمين ، واستغلال ثرواتهم ، وقد أعلن اللورد جلادستون في مجلس العموم البريطاني انه لا يتسنى لهم السيطرة على البلاد الإسلامية إلا برفع القرآن الكريم عن تلك المناطق ، قال :

« ما دام هذا القرآن موجوداً فلن تستطيع اوروبا السيطرة على الشرق الاوسط ، ولا أن تكون هي نفسها في أمان . . » .

وقد أصاب جلادستون في كلامه الوتر الحساس فإن القرآن الكريم ما دام يعمل به المسلمون ، ويسيرون على ضوء تعاليمه فلن تستطيع أوروبا أو أي قوة في العالم أن تسيطر عليهم أو تجعلهم تحت مناطق نفوذها بل ان العالم يكون خاضعاً لهم كما كان الحال في صدر الإسلام وما بعده من العصور الذهبية .

إن الاستعمار قد أدرك هذه الحقيقة فأخذ يعلن عداءه العارم للإسلام ويبذل المزيد من الجهود الى كسر شوكته ، وقد أدلى تشرشل بذلك فقال :

« إن القوى التي تحاربنا في الشرق هي الإسلام ، وإذا أردنا أن نحتفظ بالشرق فعلينا أن نكسر شوكة الاسلام . . » .

وقد رصدت اميركا في عهد دلس وزير خارجيتها الملايين من الدولارات لمحاربة الإسلام في الشرق الأوسط فرسمت الخطط الخبيثة في عمق وشمول لتحطيم الاسلام ، وتجريده من مفاهيمه الحية ، ولكنا على ثقة أن المخططات الاستعمارية الرامية للقضاء على الاسلام وشل فعالياته وطاقاته وجعله في معزل عن واقع الحياة العامة أو تجريده عن المبادىء السياسية العليا لا يمكن باي حال من الأحوال أن تنجح ، ولا بد أن تبوء بالخيبة لأن الإسلام دين الفطرة لا تستغني عنه الحياة ، ولا تستقيم شؤون الناس من دونه ، قد احاطه الله بلطفه ، واضفى عليه الفوز والخلود وكتب له النصر والبقاء ولأعدائه الفشل والخسران .

- ٣ -

وبعد ما سقطت الدولة الإسلامية العظمى صريعة بايدي الغزاة المستعمرين تدخل المستعمرون تدخلاً مباشراً في جميع الشؤون الاجتماعية ، وسيطروا سيطرة تامة على جميع النقاط الحيوية الحساسة في البلاد ، الأمر الذي اوجب تأخر المجتمع وفساد أوضاعه ، وشيوع الاضطراب في محيطه الاقتصادي ، والاداري والثقافي حتى فقد جميع مقومات حياته من العزة والمجد والاصالة ، واصبح نهزة للطامع ، وبغية للفاتح وانحط الى اسفل درك من الذل والمهانة بعد ما كان في القمة في عزه وسيادته .

إن أهم خطر مني به العالم الإسلامي هو الاستعمار الغادر فهو الذي أجهز على كرامته ، وفتك بمقوماته ، ومزق بلاده ، وشتت اوصاله ، وسلب حرياته ونهب ثرواته، ولا بد لنا من عرض إجمالي لبعض الأمور التي نفذ فيها الاستعمار وافسد بها أوضاع البلاد وقضى على جهازها الفكري كما لا بد من بيان بعض متاركه البغيضة التي سببت تأخر الامة وعدم انطلاقها في ميادين الحضارة العالمية والى القراء ذلك .

١ ـ في الحقل الاقتصادي :

ان أهم نقطة ولج فيها الاستعمار هي السيطرة على الوضع الاقتصادي في البلاد الاسلامية ، فقد جعلها سوقاً لمواده الانتاجية ومصرفاً لسلعه المصنوعة ، وعرقل كل تقدم صناعي ، واجهز على جميع المشاريع الحيوية التي توجب تطور البلاد وازدهارها ، كما عمل في توجيه الأنظمة المالية لخدمة مصالحه فوضع القيود الصارمة على الصادرات والواردات، وعلى عمليات التبادل والنقل والتأمين والتحويل الخارجي ، وغير ذلك من الامور التي توجب حصر تجارة البلاد بالاسواق الرأسمالية وعزلها عن الأسواق العالمية الاخرى .

ان الاستعمار الغادر لا يدع باي حال مجالا الى توجيه الاقتصاد العام نحو صالح المسلمين والترفيه عليهم بل يوجهه نحو مصالحه الخاصة ، فيضع الخطوط العريضة الى صرف الأموال الضخمة في المشاريع الاستراتيجية كانشاء الجسور والطرق ، والاستحكامات العسكرية كما يرصد المبالغ الطائلة الى التسلح وشراء آلات الحرب التي تصنعها معامله الى غير ذلك من الامور التي تؤدي الى عرقلة الاقتصاد العام وشيوع الفقر وعدم رفع مستوى المعيشة العامة حتى تبقى الجماهير ينهشها الفقر ويلسعها البؤس والحرمان فتنصرف بذلك عن النضال والكفاح في طلب الاستقلال .

٢ ـ في الحقل الاداري :

إن الاستعمار يدفع مستشاريه ، وخبراءه الى المراكز الحساسة كالجيش

والشرطة والدوائر المالية ، والتجارية ، ومؤسسات الموانىء ، والمواصلات ليقوموا بضبط التحريات وجمع المعلومات خوفاً من ان يكون في الجهاز الحاكم عنصر مخلص لامته ودينه يطوح بمصالحهم وينقذ البلاد من شرورهم .

إن الاستعمار يبذل جميع طاقاته لجعل الحكم بايدي أذنابه وعملائه الذين يحققون رغباته واطماعه وينفذون مخططاته . ويساعدونه على إذلال الشعوب واستعبادها .

إن حكم البلاد وادارة شؤون الامة في ظل الحكم الاستعماري لا تكون إلا بيد العملاء وباعة الضمير الذين لا يألون جهداً في اماتة القيم الانسانية واقبار الروح الدينية ، وابقاء البلاد في وضع متأخر يرزح تحت كابوس الاستعمار حفظاً على مصالحهم واطماعهم .

٣ ـ في الحقل الثقافي :

إن الاستعمار بعد ما استولى على البلاد الاسلامية ، وجعلها بستاناً له يستغل ثمراتها عمل جاهداً على استقرار الوضع الاستعماري فيها وتسخير المسلمين لمصالحه المادية والمعنوية ، فاقتحم عقول المسلمين بالوان من الثقافة المسمومة ، وحمل معول الهدم على القيم الدينية وعلى استئصال المعارف الاسلامية فزج بعملائه في إدارة المعارف ، والمعاهد ليتولوا وضع المناهج .

. . . .
. . . . (١)

إن الغزو الثقافي لا يقل خطراً عن الغزو المسلح الذي قام به الاستعمار فإن من أهم مقاصده ان تشحن افكار الناشئة وعواطفها بالوان من ثقافتهم المعادية للإسلام وكان من الطبيعي ان لا يتسنى لهم ذلك إلا بفتح المدارس على الاساليب

---

(١) حذفه الرقيب :

اقتصادياته حتى يكون مشغولاً بنفسه ، فلا يطالب باستقلال بلاده ، ولا باقصاء الأجنبي عنها .

ب ـ الفراغ العقائدي :

إن الضربات المؤلمة ، والطعنات القاسية التي وجهها المستعمرون الى المجتمع الاسلامي قد اعقبت الفراغ العقائدي في نفوس الكثيرين من ابنائه ، فقد نشأ منهم فريق مترهل لا يحمل أي وعي ديني ، ولا يؤمن بالمبادىء الاصيلة التي تبناها الاسلام .

إن افظع النتائج التي تركها الاستعمار في بلادنا هي زعزعة العقيدة الاسلامية في نفوس الناشئة ، فقد اصبحت وهي تنفر من الدعوة الى دين الله ، وتمج الافكار التي دعا اليها الدين ، وتتهم الداعين الى الاسلام بالرجعية تارة وبالعمالة الى الأجنبي اخرى . ان محنة الاسلام في ابنائه هي من أعظم المحن الشاقة التي مني بها في هذه الفترة .

إن الفراغ العقائدي من أهم المشاكل الخطيرة التي يواجهها الاسلام فقد انتجت اقدام المسؤولين والحاكمين على محاربة الاسلام في وضح النهار وفي غلس الليل ، فقد قدم عبد الكريم قاسم الى سنِّ « قانون الأحوال الشخصية » الذي تتنافى الكثير من بنوده مع نصوص القرآن الكريم ، وقد اعلن امام الجماهير المسلمة بعد تصديقه له بانه قد قام بخطوة إيجابية لتقديم بلاده وتطويرها .

. . . .

إن الاسلام أصبح غريباً بين أبنائه ، ومهضوماً في بلاده ، قد أجهزت عليه اعداؤه فجمدت طاقاته ، واستبدلت أحكامه وأقصته عن واقع الحياة .

---

(١) حذفه الرقيب :

انهزام الاستعمار :

إن العالم الإسلامي سواء أكان في افريقيا أم في آسيا قد أخذ يسعى ليزيح عن كاهله كابوس الاستعمار ولن تقف في طريق تحرره أي قوة من قوى البغي والعدوان .

ان القوى الاستعمارية لا بد أن تتحطم بسبب يقظة الشعوب واستكمال وعيها فقد تلاشت الأثافي التي تعتمد عليها من الجهل والغفلة والحكم الانفرادي .

ان التخلص من الاستعمار أمر ممكن وقريب ان شاء الله ، فإنه ليس من الممكن أن يظل المسلمون في غفلتهم واستسلامهم إلى المستعمر يتصرف في شؤونهم وينهب ثرواتهم ويضعهم تحت مناطق نفوذه فقد توالت عليه الثورات وعجز عن مقاومتها وتخلصت من أنيابه وشروره جملة من الشعوب الإسلامية وظفرت بنعمة الحرية والسيادة وعادت لها كرامتها ولكن ....
.... (١) .

إن اعادة الحياة الإسلامية ، وتطبيق أحكام الإسلام في جميع المجالات هي بغية الشعوب الإسلامية المتحررة فقد قاتلت ، وناضلت ، وبذلت المزيد من المجهود في سبيل ذلك فيجب على حكوماتها أن تحقق أهداف شعوبها وآمال رعاياها في ذلك .

وظهرت السياسة الرأسمالية في مسرح الحياة بعد سقوط الدولة الإسلامية وتجزيء أقاليمها الى دويلات ، وهي ذات منهج اقتصادي بحت ، فقد عنت بحوثها بالوسائل المادية التي تؤدي الى نمو المال الفردي وتضخمه ، وسعة أرباحه ، كما فرضت على الدولة حماية أرباحه وصيانة أمواله ، وليس لها أن تقوم بعمليات اقتصادية تناهض النشاط الفردي بل عليها أن تهيء جميع الوسائل التي تضمن له الحرية ، وزيادة الانتاج والأرباح .

---

(١) حذفه الرقيب .

إن السياسة الرأسمالية قد آمنت بجميع الأسباب التي توجب زيادة الربح الفردي فأقرت الاحتكار والاستغلال والربا ، واستباحت جميع الوسائل التي تحقق أطماع الفرد ورغباته المادية ، وإن أوجبت حرمان المجتمع ، وشقاءه وتكبيده بالأضرار والمتاعب .

وقد واجهت الإنسانية في ظل هذه السياسة القائمة ألواناً مريعة من الخطوب والكوارث فقد تكدست الثروة الطائلة عند فئة من الرأسماليين ، وعانت الأكثرية الساحقة مرارة الفقر والحرمان ، وتعرض العمال وغيرهم للجوع والعري والموت .

ان النظام الرأسمالي قد حفل بالمفاسد والمشاكل والغيت فيه مصلحة المجتمع وأدى إلى الأزمات الاقتصادية وحدوث الاضرابات المتصلة من بين صفوف العمال كما اوجد الصراع الدائم بين أفراد المجتمع .

وظهرت في الصعيد العالمي سياسة اخرى وهي السياسة الديالكتيكية التي تبناها ماركس ، وزمرته الشيوعيون ، وهذه السياسة قد آمنت بالملكية الجماعية ، ولم تقر الملكية الفردية فصادرت جميع الثروات ، وأممتها إلى الدولة باعتبارها الوكيل الشرعي عن الشعب ، وحجتهم في ذلك ان الغاء الملكية يحول دون استغلال العمال وأخذ فائض القيمة منهم .

ان هذه السياسة قد حاربت أقوى الغرائز الاصيلة في الانسان وهي حبه للتملك ، وسعيه وراء منفعته الذاتية فلذا منيت بالفشل وقدمت روسيا في سبيل تطبيقها سيلاً عارماً من دماء ابنائها ، وفتحت أبواب السجون على مصراعيه ، وفرضت العقوبات الشديدة على جميع من ينحرف عنها ولا يؤمن بمقرراتها ولكن الشعب الروسي وفي طليعته العمال والفلاحين قد هبوا إلى معارضتها فأخذت السلطة تمعن في قتلهم وتشريدهم حتى اسرفت في القتل والتنكيل فاضطرت الحكومة إلى التراجع عن مقرراتها فمنحت الفلاحين شيئاً من الأرض .

إن الشيوعية لتهدم جميع الآمال الكبيرة ، وتنسف جميع البرامج الاجتماعية التي آمن بها الناس منذ أقدم عصورهم، وهي في نفس الوقت تخطط للعالم سياسة

الارهاق وسياسة الخوف والعبودية ، وتنهج له حكماً ديكتاتوريا لا بصيص فيه من النور والرحمة والعدل .

إن النظام الرأسمالي والنظام الشيوعي لم يحفلا بأي قيمة من القيم الانسانية ولا بأي جانب من الجوانب الاخلاقية ، قد عني كل منهما بالجانب المادي للانسان ، واهملا كل ناحية تتعلق برفع مستوى الاخلاق وتهذيب النفوس وتغذيتها بالفضائل والكمال .

إن الانسان في جميع مراحل التاريخ والأزمان على هيئته التي خلقه الله عليها لم تتغير فطرته ، ولا طباعه ولا نزعاته ، ولا تأثيره وتأثره بالمثل الروحية فقد قدم المزيد من الضحايا والقرابين في سبيلها .

إن الايمان بالقيم الروحية له جذوره العميقة التي تمتد في داخل النفس وهو متأصل مع الطبيعة وإذا تخلت عنه النفس فانها تشعر بفراغ كبير ، وقد قرر الاسلام تأصل الايمان بالنفس ، وانه من الخصائص الذاتية فيها ، قال تعالى : ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون﴾[1] إن الدين شأن من شؤون القلب وشأن من شؤون الحياة التي نحياها وليس من الممكن أن يخلع الانسان عن نفسه الايمان بالمثل العليا التي اعلنها الدين فانه بذلك يفقد إنسانيته ، ولا يكون أي فرق بينه وبين الحيوان السائم ، ويستحيل أن ينصاع إلى مثل هذا الواقع المنخفض . . . إن هذه الانظمة الحديثة لما انحرفت عن جميع الوسائل الخيرة لم تتمكن على احلال مشاكل العالم ، ولا على جعل الامن والسلام مسيطرين على الشعوب ، وقد تعرض العالم في ظلالها إلى الاضطراب والفتن حتى فقد الأمن وتعرضت الحياة العامة إلى الهزات العنيفة ، وأشرفت غير مرة على الزوال والفناء بسبب الحروب والثورات التي لم تكن تهدف بأي حال إلى منهج أصيل سوى السيطرة على الشعوب ، والإنفراد في الحكم ، والجلوس على الكراسي الناعمة .

---

(١) سورة الروم : آية ٣٠ .

إن هـذه السياسـات الحديثـة قد اتجهت إلى فنـاء الحياة وتـدمير معـالم الحضـارة فيها فانها قد بذلت جميع جهودهـا إلى تهيئة وسـائل الحـرب بالآلات المبيـدة والمدمـرة للكـون ، لا يهمهـا في سبيـل التغلب أن تـزهق مـلايـين الأنفس ، وتخـرب البـلاد ، وتنعدم وسائل الحياة .

إن مـا يبذل من الامـوال الطائلة في سبيـل التسلح ، وفي صنع القنـابل الـذرية والهيدروجينية لـو انفق بعضه عـلى الشعوب لازدهـرت حياتهـا ، وما كـان في ربوعهـا انسان بائس يشكو الجوع والحرمان ، وقـد أدلى بذلـك إيزنهاور في احـدى خطبـه التي وجهها إلى محرري الصحف في بلاده وذلك في ١٦ ابريل سنة ، ١٩٥٣ يقول :

« إن كـل بندقيـة تصنع ، وكـل سفينة بحـرية تنـزل الى المياه ، وكـل صـاروخ يطلق سرقة صارخة لأقوات الـذين يعضهم الجوع بنـابه ، وهم محـرومون من الـطعام والكسـاء ، الذين لا يجـدون أجر يـومهم ليستطيعوا أن يتقوا من العـرى ، وإن هذا العالم الذي يتسلح بعنف اليوم لا يبدد المال العزيـز فقط بل يبعـثر ثمرات عـرق جبين العمال ، وعبقرية العلماء والباحثين ، وآمال الاجيـال المقبلة وإن نفقات انتـاج احدى قاذفات القنابل الضخمة هي نفقات مـدرسة تبنى عـلى احسن طراز من الحجر لمدينـة عدد سكانها ثلاثون الف نسمة » .

هي نفقات محطتين للسكك الحديدية ! !

هي نفقات محطتين لتوليد الكهرباء لمدينة عدد سكانها ستون الف نسمة ! !

هي نفقات مستشفيين كاملي المعدات ! !

وتـدفع الـولايات المتحـدة ثمناً لاحـدى الطائـرات المـطاردة يعـادل ثمن نصف مليـون بواسر من القمـح ، وتدفـع ثمناً لاحـدى السفن الصغيـرة المضـادة للطوربيـد يعادل من المساكن ما يكفي لايواء أكثر من ثمانية آلاف ساكن » .

إن هذه المبالغ الطائلة انما تصرف في سبيـل اظهار التفوق والغلبة ، والحرص على استعمار الشعوب الضعيفة ونهب تراثهـا وثرائهـا فان هـذا هو مصـدر الصراع وسبب التـأزم مـا بـين المـذهب الـرأسمـالي والمـذهب الشيـوعي فقـد أثـارا في سبيـل ذلـك الاضـطراب والقلق في المحيط العالمي وتـرصد كـل منهما حـركات الآخر وسكناتـه ،

وسعى لاحباط ما يقوم به من الاعمال المضادة له وانشغلت المحافل الدبلوماسية في كل من الدولتين في وضع الخطط التي تقضي على المذهب الآخر وتشل فعالياته .

إن هذه المذاهب السياسية القائمة في العالم والتي تتحكم في مصيره لا تعتمد على اسس سليمة ولا على اسس خيرة فهي مبنية على البراعة في النهب ، والاغتصاب ، والقتل والتدمير وعلى الطغيان والقسوة والظلم ، وقد واجهت الانسانية في ظلالها انهياراً خطيراً في المعايير الاخلاقية فقد سيطرت الانانية والجشع ، وسادت فيها مبادىء الكفر والالحاد التي هي أخطر داء منيت به الانسانية في هذه العصور يقول « لويس شنايدر » :

« إن التوسع المادي ، والتقلص الروحي ، والخروج عن الدين لا يقل أهمية عن الخطر الناشيء من القنبلة الذرية »[1] .

إن هذه النتائج الخطيرة التي انتهى اليها العالم كانت مسببة من دون شك عن هذه المبادىء الشريرة التي تسير وراء المنافع ، ووراء العواطف ، ولا تؤمن بمصالح الشعوب ولا بأهدافها الحيوَية ، ونحن نؤمن ايماناً لا يخامره ادنى شك في أن الإنسانية لا يمكن انقاذها مما هي فيه من المحنة وعدم الاستقرار إلا أن تطبق على معالم الحياة مفاهيم الاسلام ومبادؤه التي ترمي إلى خلق مجتمع واع تسوده العدالة ، والايثار والسماحة والرفاهية والأمن .

ـ ٥ ـ

إن الإسلام مستمر في تقديم اعظم الطاقات الندية للشعوب لم يتخلف عن ذلك في أي مرحلة من مراحل الحياة وإنه لقادر على أن يحقق للإنسانية أعظم الانتصارات ، ولكن هذا العطاء السمح مشروط بأن نحمله في قلوبنا وضمائرنا وان نطبق اهدافه على واقعنا في جميع الميادين وأن نشرح مزاياه ليستبين ما فيه من سمو وحكمة ، وصلاحية للتطبيق في كل زمان .

إن الإسلام يدعونا ـ قبل كل شيء ـ إلى فهمه على حقيقته النازلة من رب

---

(١) العالم في القرن العشرين ص : ٢٠٠ .

العالمين ، وأن نـربط به نهضتنـا الاقتصاديـة ، والاجتماعيـة ، والسياسيـة . وأن نسير على وفق أهدافه لنكون قدوة صالحة لبقية الشعوب المتعطشة إلى هدى الاسلام .

إن الـدعوة إلى الإسـلام والتبشير بمبـادئـه السمحـة العـادلـة ضـرورة ملحـة لا تستغني عنها الإنسانية بحال فإنها تفتقر إلى حكم الإسـلام افتقارهـا إلى الحياة لينقـذها من واقعها المرير ويحطم عنها اغلال الشـرك والاستعباد كـما انقذهـا في أيام حكمـه من عسف البـاغين وظلم الـطغاة الحـاكمين فـالواجب عـلى غيارى المسلمـين والمصلحـين منهم أن يقـوموا بـالتبشير والـدعايـة لدينهم في آفـاق شعـوب الأرض التي أصبحت في أمس الحـاجة إلى من يـرشدهـا إلى الحق وينير لهـا الطريق فـإن الخدمـة التي تؤدى الى الاسلام انما هي خدمة عامة تؤدى الى الانسانية المعـذبة وهي أحـوج ما تكـون إليه . فقد اجدبت من الاصلاح وأدبر عنها الخير واغرقت بالشر والشقاء .

إن الإسـلام بنى للمسلمـين . خـير نـظام اجتمـاعي وسيـاسي ووهب لهم قـوة جبـارة في تشريعـاته الفيـاضة التي تـواكب الـوعي المتحـرر والمنـطق السليم . فعليهم ـ قبل كل شيء ـ أن يطبقوها على واقعهم ويرفعوا شعاراته واهـدافه إلى بقيـة الشعوب والامم وهـم مسؤولون أمام الله تعالى عن تبليغ رسالته وإداء احكامه وابراز معالمه .

ومما يبعث الامل عـلى نهضة المسلمـين اقبـال كـوكبـة من ابنـائهم عـلى دراسـة تراثهم الديني وتـطلبهم المزيـد من الإطلاع عـلى نظريـات الإسلام وآرائـه وهو ممـا لا شـك فيه بـدايـة الانـطلاق لبنـاء مجـدهم ونهضتهم وارتقـائهم وعسى أن تكـون هـذه البحوث التي نقدمها في هذا الكتـاب ـ باخـلاص وإيمان ـ ممـا تساهم عـلى نشر بعض المفاهيم الإسلامية الخاصة في عالم السياسة والحكم . المقتبسـة من سياسـة الامام امـير المؤمنين (ع) رائد العـدالة الاجتمـاعية في الأرض ، وأول حـاكم في الإسلام صمـد في وجـه الاعاصـير لم تخدعـه السلطة ، ولم يغره السلطان عن اقـامة المثـل الاسـلاميـة حتى قال كلمته الخالدة :

« لا تزيدني كثـرة الناس حـولي عزة ، ولا تفـرقهم عني وحشة ومـا اكره المـوت على الحق » .

وقـد ثار عليـه النفعيون ، والمنحـرفون وطـالبوه بـالعدول عن سيـاسته وسيـرته

وانتهاج حكم خاص يتفق مع ميولهم وأهوائهم ويحقق اطماعهم ونفوذهم فأبى (ع) ومضى في سياسته يؤسس معالم السياسة الحقة التي جاء بها الاسلام حتى ملك قلوب الملايين بعدله ومساواته وبقيت سيرته من اروع الأمثلة الخالدة التي يعتز بها المسلمون .

نعم قد اقتبسنا الكثير من بحوثنا من نظريات الامام أمير المؤمنين الخاصة في عالم الحكم ومن سياسته وسيرته وهي مما لا شبهة فيه تمثل وجهة الإسلام وتتفق في جميع صورها والوانها مع الكتاب العزيز ، وسنة النبي العظيم .

ان هذه الدراسة - التي نقدمها إلى القراء - عن « النظام السياسي في الإسلام » إنما هي صفحة من صفحات ذلك النظام الرائع الذي يملأ النفوس ثقة واطمئناناً بعدله واصالته وسلامة أهدافه فقد احتوت بنوده على خير الإنسانية وعلى تحقيق آمالها واحلامها .

إن هذه البحوث احدى فصول هذا الكتاب . قد احتوت على بيان معنى (السياسة) في اللغة وفي الاصطلاح الغربي وبيان مدلولها وانواعها وطابعها في الإسلام ورسمنا فيها عرضاً تاريخيا لمولد الدولة الإسلامية. وإلى الدستور الاول لحكومتها الرشيدة الذي وضعه الرسول الأعظم (ص) وإلى إرساله للسفراء والممثلين عنه إلى العالم الخارجي كما ذكرنا اعلان الإسلام لحقوق الانسان وقارنا بينها وبين (حقوق الإنسان) التي اعلنتها فرنسا واقرتها هيئة الامم المتحدة وبسطنا الكلام - بعد ذلك - في سياسة الإسلام الداخلية وما تنشده من الاهداف الأصيلة إلى شعوبها أما بيان رأي الإسلام في نظام الحكم والادارة وبيان سياسته الخارجية وعلاقتها بالدول الاخرى فقد افردنا لذلك جزءاً خاصاً به عسى أن نوفق إلى ابرازه إلى عالم النشر في اقرب وقت ممكن إن شاء الله وإن رائدنا فيما كتبناه خدمة المجتمع الإسلامي. والتوصل إلى رضاء الله تعالى سائلين منه التوفيق والقبول إنه ولي القصد .

المؤلف

السياسة

١- في اللغة
٢- في الاصطلاح الغربي
٣- في الاسلام
٤- الرفق بالرعية

وقبل البحث عن المعالم الرئيسية في النظام السياسي في الاسلام وبيان اصالته وجدارته في معالجة شؤون الحياة نقدم للقراء عرضاً لبعض البحوث التي تتعلق بالسياسة وهي :

١ـ في اللغة :

السياسة في « اللغة » هي : « ولاية شؤون الرعية وتدبير امورها » كما نصت على ذلك كتب اللغة فقد جاء في « لسان العرب » ما يلي :

« السوس : الرياسة يقال : ساسهم إذا رأسهم ، ويقال : سوسوه وأساسوه إذا رأسوه ، وساس الأمر سياسة : قام به ، والجمع ساسة وسواس .

سادة قادة لكل جمع ساسة للرجال يوم القتال

ويقال : سوس الرجل امور الناس إذا ملك امرهم ويروى قول الحطيئة .

لقد سوست أمر بنيك حتى تركتهم ادق من الطحين

وفي الحديث : « كان بنو اسرائيل يسوسهم انبياؤهم » أي تتولى أمرهم كما يفعل الامراء والولاة بالرعية . والسياسة القيام على الشيء بما يصلحه[1] .

وجاء في« القاموس » : سست الرعية : أمرتها ونهيتها .

وفلان مجرب قد ساس أي أدب ومجرب قد سيس عليه أي ادب وسوس فلان امور الناس صير ملكا[2] .

---

(١) لسان العرب : مادة سوس .

(٢) القاموس مادة سوس .

وجاء في (اساس البلاغة) : « الوالي يسوس الرعية ويسوس أمرهم ويسوس امورهم وسوس فلان أمر قومه . . »

وأفاد ابو البقاء في معنى السياسة فقال :

« السياسة هي استصلاح الخلق بارشادهم الى الطريق المنجي في العاجل والآجل وهي من الأنبياء على الخاصة والعامة في ظاهرهم وباطنهم ومن السلاطين والملوك على كل منهم في ظاهرهم لا غير ومن العلماء ورثة الأنبياء على الخاصة في باطنهم لا غير والسياسة البدنية تدبير المعاش مع العموم على سنن العدل والاستقامة »[1]

هذا ما ذكره اللغويون في معنى السياسة وهي تنص على ما ذكرناه من انها الولاية على الرعية وتدبير شؤونها بما يصلحها وقد هجا أبو العلاء المعري حكام عصره لأنهم يسوسون الامة بغير رشد وعقل فقال فيهم :

يسوسون الامور بغير عقل   فينفذ حكمهم ويقال ساسه
فأفّ من الحياة وأُفّ منهم   ومن زمن رياسته خساسه

(١) كليات أبي البقاء : ص ١٩١ .

٢ ـ في الاصطلاح الغربي

السياسة في الاصطلاح الغربي هي الحكم ، والرجل السباسي هو الذي يمارس اعمال الادارة المدنية ، وهو ايضا الحاكم الرسمي الموجه الناصح[١] وذكروا لها تعريفاً عن حقيقتها ومزاياها فقالوا :

« إنها علم الدولة ، التي تبحث عن التنظيمات البشرية وعن تكوين الاحداث السياسية وعن تنظيم الحكومات وفي فعالية الحكومة التي لها صلة بتشريع القوانين وتنفيذها وفي علاقتها بالدول الاخرى ، وبيان مدى العلاقات القائمة بين الشعب والدولة وارتباطات الدول بعضها مع بعض كما تبحث عن تطور السلطة السياسية بالنسبة الى حرية الفرد »[٢] .

هذا هو المفهوم العلمي للسياسة . فهي تبحث عن الشؤون العامة والخاصة للدولة وتبحث عن تنظيماتها وارتباطاتها بالدول الاخرى .

إن البحوث السياسية عند الغرب من أهم الدراسات التي يعنون بها فقد أسسوا لها المدارس وفتحوا لها الفروع الخاصة في جامعاتهم لتدرس بها النظريات السياسية والاصطلاحات المعينة التي يتكلم بها السلك الدبلوماسي كما تبين الواجبات الملقاة على عاتق المسؤولين والسياسيين ومن اقدم المدارس التي اسست عندهم لدراسة هذا الفن المدرسة « الميكافلية » وبها سميت السياسة الميكافلية وكان أهم برامج الدراسة فيها إباحة جميع الوسائل التي تحقق النجاح السياسي والتضحية بكل

---

(١) أدب السياسة : ص ٧ .

(٢) العلوم السياسية : ص ١٦ .

شيء في سبيل الوصول الى الغاية السياسية وقد تخرج من هذه المدرسة اقطاب السياسة في العالم الغربي (كجلادستون) و (ريت) و (فاترنيخ) و (كافور) وامثالهم وللوقوف على معنى السياسة وبيان اهميتها وارتباطها ببعض العلوم الاخرى وغير ذلك من الامور التي تتعلق بها . نقدم الى القراء عرضاً لذلك .

١ ـ هل السياسة علم ؟

واختلف المعنيون بالبحوث السياسية في انها علم كبقية العلوم ، أم إنها ليست كذلك فمن نفى عنها سمة العلم استدل بما يلي :

١ ـ إن العلم اخذ في مفهومه انه عبارة عن القواعد الكلية التي لا تتغير ولا تتبدل والحال إنه لا يوجد فيها رأي شامل مستقر فقد ذهب الاختصاصيون فيها الى عدم استقرار طرقها واسسها .

٢ ـ إن قوانينها واستنتاجاتها لا يمكن ان يعبر عنها بمصطلحات دقيقة وذلك ينافي المفهوم العلمي .

٣ ـ إنها لا تستطيع أن تتنبأ بالحوادث بصورة مضبوطة . بالاضافة الى ان العلاقات السياسية والاجتماعية في تغيير مستمر فما هو حقيقة اليوم ربما لا يكون كذلك في الغد .

ومن أضفى عليها العلم فسر العلم بالمعرفة وبهذا الاعتبار يمكن أن تكون علما وتأخذ قواعدها العامة من الدراسة لمادتها ومن الاطلاع على الاسس السياسية[١] .

٢ ـ فروعها :

وعني الغربيون بدراسة فروع هذا الفن والتخصص فيها وقد حثت على

---

(١) العلوم السياسية : ص ١٧ ـ ١٨ .

التوسع في دراساتها المؤتمرات الدولية للعلوم السياسية وعلى رأسها الجمعية الدولية برعاية هيئة اليونسكو حتى صار هذا الفن عظيم القيمة كبير الخطر وتتلخص فروع علم السياسة ـ أو العلوم السياسية كما يقول البعض وفق ما قررته المؤتمرات الدولية للعلوم السياسية الذي عقد في (لاهاي) سنة (١٩٥٠ م) وفي (استوكهلم) سنة (١٩٥٥) بما يلي :

١ ـ النظريات السياسية وتتناول شتى الآراء الأكاديمية .

٢ ـ تأريخ الأفكار السياسية .

٣ ـ النظم السياسية وتتناول الدساتير والحكومة المركزية والحكومة المحلية ، والنظم البلدية والادارة العامة والوظائف الاقتصادية والاجتماعية للحكومة والنظم السياسية المقارنة والأحزاب والجماعات والرأي العام كما تتناول دراسة الاحزاب السياسية والجمعيات والإتحادات والنقابات ومساهمة المواطن في النشاط الحكومي والاداري كما تتناول العلاقات الدولية ودراسة السياسة الدولية والنظم والهيآت الدولية والقانون الدولي[1] .

وأفاد « البستاني » انها في عرف أرباب الحكم تتناول فروعاً أعظمها ثلاثة وهي : السياسية المحضة أو الداخلية والسياسة الدولية أو الخارجية والسياسة المدنية وافاد في تعريف هذه الأنواع الثلاثة فقال :

أما النوع الاول : فيتناول إدارة شؤون البلاد وتنظيم حكوماتها على مقتضى نزعات اهاليها ومعتقداتهم واخلاقهم ودرجة ترقيهم في سلم الحضارة وذلك بالنظر الى سلامة البلاد وراحة العباد فيعهد إلى ارباب السياسة ان يتولوا إدارة الحكم وينظروا في تولية ذوي المناصب ويسنوا للناس النظام الذي يضمن لهم الأمن ويسهل لهم العمل ويمهد لهم سبل الثروة ويعقد بين المواطنين الالفة والمحبة ويجعلوا المصالح العامة مشتركة بينهم بحيث يشعر الجميع انهم ابناء امة واحدة حتى يحفزهم ذلك على الذود عن حياض الدولة ويقفوا بالمرصاد الى كل من يريد تشتيت شمل

---

(١) أصول العلاقات السياسية الدولية ص ٦ .

الامة وان ارباب السياسة هم المسؤولون عن تقوية دعائم الاتحاد الداخلي .

وتختلف السياسات باختلاف البلاد ومواقعها واحتياجاتها ومصادر ثروتها وقوتها ومدنيتها .

وأما السياسة الدولية أو الخارجية فإنها تبحث عن العلائق المتصلة بين الدول وعن المصالح المتضاربة والمتباينة بينها ، وغايتها توسيع نطاق الاتحاد البشري ودفع المشاكل الناشئة عن تباين الغايات المختلفة ، ولما كانت كل امة هي المطالبة والمطالبة بحقوقها واليها يرجع النظر في امور أفرادها وعامتها لم يكن لسواها سبيل الى التعرض الى ما يخرج عن حكمها وممتلكاتها ، على أن جميع البشر من وجه آخر مرتبطون بعلائق تجعل لكل دولة غرضاً ومصلحة في بلاد غيرها فنشأت من ذلك الاتصالات بين الدول منذ القديم وكانت هذه الاتصالات في القديم على غير ما هي عليه الآن فكانت الدولة إذا بدت لها حاجة في بلاد غيرها أوفدت إليها الوفود فإذا قضوا مهمتهم عادوا إلى بلادهم غير مستنيبين فيها ، وكان ذلك سبباً في كثير من الحروب التي ثارت على أثر حادث طفيف .

وأضاف يقول : ان اوروبا في القرن السادس عشر عدلت عن إيفاد المندوبين واستبدلت بهم مقيمين وقد نهجت على هذا المنوال جميع الدول فكان السفراء مهمتهم إبلاغ حكوماتهم بما يعلمونه من المصالح السياسية أو التجارية والمحافظة على ابناء وطنهم المقيمين في تلك البلاد .

وأما السياسة المدنية فهي تدبير شؤون المعاش مع عموم الرعايا على سنن العدل والاستقامة ، وهي من اقسام الحكمة العملية وفي عرف السياسيين إنها عبارة عن التدابير اللازمة لإدارة أعمال الناس بحيث يجري الإنسان في عمله على وفق السنن الطبيعية التي تجدد سعيه واجتهاده في ترقية حاله وقد يقال لها الاقتصاد السياسي وقد آثرنا تعريفها بالسياسة المدنية فان هذا التعريف أوفى بالغرض وقد ارتأى الاستاذ « وبرت طمسن » أن تسمى بالتدبير الوطني[1] ثم ذكر بعد هذا كلاماً

(١) دائرة معارف البستاني ١٠ / ٣٧٤ ـ ٣٧٨ .

مسهباً في تعريفها وتحديدها .

٣ ـ علاقتها بالعلوم الاخرى :

وذكر الأخصائيون بالعلوم السياسية ان لها ارتباطاً وثيقاً بما يلي من العلوم وهي :

١ ـ العلوم الطبيعية :

وتتصل علوم السياسة بالعلوم الطبيعية عن طريق علمي الحيوان ، والجغرافيا فقد أثرت نظرية تطور الأحياء على النظريات السياسية في نواحي عدة ، خاصة بما له علاقة بفكرة الدولة كخلية عضوية ، وفي المشاكل المتصلة بأثر المنافسة والحروب ، بالإضافة إلى ان الأفراد قد يتأثرون بعالم الطبيعة الذي يعيشون فيها وهذه تؤثر على شكل الدولة وطبيعة فعالياتها وبهذا كان اتصالها بعلم الجغرافيا واضحاً .

٢ ـ علم الاجتماع :

إن علم الإجتماع يبحث في التجمعات الإنسانية من ناحيتها الإجتماعية محاولا اكتشاف الحقائق والقوانين للحياة الإجتماعية أما العلوم السياسية فهي تبحث عن الحياة السياسية للانسان التي هي جزء من مجموع حياته الإجتماعية العامة ، وبذلك ارتبطت بعلم الإجتماع .

٣ ـ علم الانثروبولوجي :

إن هذا العلم يبحث في نواحي الإنسان الفسلجية ، والتاريخية والتقسيمات الجغرافية ، والاجناس المختلفة وفي علاقاته الإجتماعية ، وبيئته ، وتطور ثقافته ، وهذه الامور بمجموعها تكون مادة للدراسة في العلوم السياسية فإن هذه المواد تبين التشعبات المختلفة في حياة الإنسان وفي التأثير على كيانه ويجب أخذها بنظر الإعتبار في الشؤون السياسية .

٤ ـ علم التاريخ :

إن علم التاريخ يسجل الحوادث الماضية وأسبابها وعلاقة بعضها مع البعض كما يحتوي على احصاء للتطورات الخاصة بالاقتصاد والدين ويبحث عن الحركات الفكرية ، والأحوال الإجتماعية ، ومن الطبيعي ان السياسي غالباً يتجه الى التاريخ باعتباره مادة أولية لاغراضه الخاصة فترتبط مهمته بهذه الامور .

إن العلوم السياسية لا تهتم بالناحية القصصية من التاريخ كما تهتم في الحوادث التي تؤثر على طبيعة الدولة وعلى تطوراتها فإنها تكون من موادها الأساسية .

إن التاريخ يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعلوم السياسية وقد بين مدى ارتباطها به البروفسور (سيلي) بقوله : « ان علوم السياسة هي ثمرة التاريخ وان التاريخ هو جذر علم السياسة » .

٥ ـ علم الاقتصاد :

كان علم الاقتصاد في العصور الماضية يفسر بأنه قسم من علوم الدولة العامة فقد كانت بحوثه مقتصرة على الاسس والطرق التي تستطيع بواسطتها أن تكون الدولة قوية وغنية وذات دخل وافر .

أما في هذه العصور فقد اتسع أُفقه بحيث اصبح يشمل جميع الأفراد والفعاليات الإجتماعية التي لها صلة بالإنتاج والتوزيع والاستهلاك والرخاء .

إن كثيراً من بحوث الإقتصاد تتعلق في فعاليات الدولة الخاصة بالرخاء ومن هذه المواضيع الضرائب والنقود والمشاريع الصناعية الحكومية وهذه الامور من صميم البحوث السياسية فكان الارتباط بين العلمين وثيقاً للغاية .

٦ ـ علم النفس :

إن الكتّاب المعاصرين في العلوم السياسية يرون ان كثيراً من القواعد

السياسية تفسر على ضوء قوانين علم النفس يقول « جيمس برايس » إن السياسة تستمد جذورها من علم النفس الذي يشمل دراسة عادات الإنسان وافكاره واتجاهاته .

إن دراسة تقاليد الناس ومثلهم وارتباطاتهم بالعقائد الدينية هو من أقوى المؤثرات في الحياة السياسية وان اية حكومة إذا ارادت ان تنجح عليها ان تأخذ بنظر الاعتبار عقلية الشعب الذي تريد ان تحكمه وهذا هو السبب في فشل كثير من الحكومات القائمة في البلاد الإسلامية لأنها لم تستند في نظمها الى ما يتفق مع احاسيس الشعوب الإسلامية وعواطفها التي تتوق الى إقامة الحكم الإسلامي في بلادها .

٧ ـ علم الاخلاق :

ان الأفكار الأخلاقية تتصل اتصالاً مباشراً بأصل الدولة فإن نجاحها يناط بقيمها الخلقية بالإضافة الى ان الأفكار الخلقية إذا تبلورت كانت بمنزلة القانون ويسعى المجتمع الى تحقيقها فلذا كانت العلوم السياسية في حاجة ماسة الى علم الأخلاق[١] ومن ظن ان السياسة لا ترتبط بالأخلاق فهو على جانب كبير من الخطأ فإن نجاح كثير من الدول إنما يناط بدراستها الى اخلاق شعوبهم واحاطتها برغباتهم .

هذه بعض العلوم التي يرتبط بها علم السياسة ولا مجال للتخصص به إلا بعد الوقوف عليها وقبل ان ننهي المطاف على هذا الفصل نود ان نشير الى بعض الامور التي ترتبط بما نحن فيه وهي :

١ ـ اتجاه السياسة الغربية :

إن السياسة الغربية متجهة نحو الاستعمار ومتعطشة الى التسلط على الشعوب

---

(١) العلوم السياسية ص ٢٥ ـ ٣١ .

المستضعفة وابتزاز ثرواتها ، والاستيلاء على ما تملكه من المواد الأولية لتصرف على مصالح شركاتها ، ومصانعها ، وقد رسمت لذلك خطة قائمة على المصلحة العمياء ، فهي لا تعقد معاهدة ولا اتفاقاً ولا مفاوضة ، إلا أن تحرز لها المنفعة المادية ولا حساب عندها لقواعد القانون الدولي أو للقوانين الأدبية أو للروابط المعنوية وإنما تتبع مصالحها الخاصة وقد عبر تشرشل عن خطة بريطانيا ، واتجاهها في سياستها الخارجية بقوله :

« ليس لبريطانيا صديق إنما لها مصالح » .

نعم ليس لساسة الغرب حميم أو صديق ، وإنما لهم مصالح ومطامع ترمي إلى الإتساع على حساب الغير ، وتدمير الشعوب غير آبهين بمصالح المجتمع وقد ادت اطماعهم الى المجازر البشعة التي اغرقت العالم في لجج عميقة من الدماء .

إن السياسة الغربية قد كرست جهودها على رفع مستوى بلادها اقتصاديا ومعنويا فهيأت لرعاياها جميع وسائل الرقي والحضارة والعمران ولكنها في نفس الوقت سلبت كرامة الشعوب التي وقعت تحت كابوسها فهي لا تصغي لآلامها ولا يهمها أن تموت من الفقر وتهلك من العري والجوع في سبيل اطماعها .

٢ ـ نقضها للعهود :

وآمنت السياسة الغربية بالغدر والنفاق ونكث العهود والاتفاق فهي لا تفي بعهد ولا وعد ، فكم أعطت الإلتزامات لبعض الدول المستعمرة لها بالجلاء عنها ولكنها لم تف بذلك ، ومن أهم هذه العهود التزامها لمصر بالجلاء عنها منذ عهد جلادستون ، فقد صرح في مجلس العموم البريطاني بتاريخ ١٤ نوفمبر سنة (١٨٨٢) يقول : « إن الاحتلال البريطاني لمصر مؤقت ، وستحدد الحكومة البريطانية شروطه مع الاتفاق مع الحكومة المصرية » وكذلك صرح (شمبرلين) بالجلاء عنها فقد جاء في خطابه بتاريخ ٩ ديسمبر سنة (١٨٨٢) « إنني لن أُضيع الوقت في تكذيب ما يعزى الى الحكومة البريطانية في أنها تنوي فرض حماية دائمة على مصر فإن عملاً كهذا يخلق المتاعب لجيلنا المقبل إذ يترتب عليه مشكلة شبيهة

بمشكلة (ايرلندة) وبمجرد استتباب الأمن سننسحب من البلاد » .

وجاء مثل هذا الوعد في خطاب الملكة فكتوريا في فبراير سنة (١٨٨٣) : « إن كافة التعهدات الدولية الخاصة بمصر سوف نحافظ عليها ونحترمها الى أقصى حد » وكذلك جاء بصورة رسمية قاطعة عن جلاء بريطانيا عن مصر بتقرير (السير جورست) المعتمد البريطاني في شهر مارس سنة (١٩٠٩) جاء فيه : « إن السياسة التي أقرتها الحكومة البريطانية منذ بدء احتلال مصر لم تتغير بحال وأساسها اعداد المصريين للحكم الذاتي ، ومساعدتهم خلال هذه الفترة على التمتع بحكومة طيبة »[1] وهكذا اعطت بريطانيا عشرات العهود والوعود الى مصر بالجلاء عنها ولكنها ضربت بها عرض الحائط حتى قامت الثورة الأخيرة في مصر وانهت الاحتلال البريطاني ، وصفت الحساب معهم .

إن المحيط العالمي لا يؤمن بأي وعد من وعود الساسة الغربيين أو الشرقيين وينظر بعين الشك والريبة إلى اتصالاتهم ، ومفاوضاتهم . يقول الدكتور أحمد سويلم :

« واصبحت المحافل الدولية تشك في كل اتصال دبلوماسي ، وكل تصريح لسياسي مسؤول ، ولم تعد المعاهدات والاتفاقات والعهود والالتزامات موضع الاحترام بل ينظر إليها كأنها قصاصات من الورق وكل فريق يخشى غدر الآخر ونكثه بالعهود والمواثيق ، ويتوجس من المستقبل المحفوف بالمخاوف والشكوك »[2] ويقول (كليمنوص) : ما عرفت شيئاً أكذب من البلاغات الرسمية .

إن السياسة الحديثة بصورة عامة قائمة على الدجل والنفاق والغدر والقسوة والعناد ومبنية على البراعة في السلب والنهب والاغتصاب والتدمير وعلى تجريد الإنسان من شخصيته الروحية ، وفضائله الخلقية حتى فقد العالم الأمن والاستقرار وسادت فيه الأزمات والاضطرابات وانهارت فيه المقاييس الصحيحة .

---

(١) اصول العلاقات السياسية الدولية : ص ٦٣١ .

(٢) اصول العلاقات السياسية الدولية ٤٤٧ .

٣ ـ خداعها للشعوب :

إن السياسة الغربية التي تركزت على المكر والخداع لا تزال تغري الشعوب بوعودها الخلابة الكاذبة وتمنيها بالأماني المزيفة وذلك بتقديم المساعدات الدولارية المبهرجة وهي لا تدفع لها دولاراً واحداً إلا وتأخذ عوضه العشرات والمئات إنها تقدم المساعدات الفنية ولكنها في الحقيقة والواقع إنما هي اختلاسات مغلفة .

إن المساعدات المالية التي تقدمها الدول الكبرى سواء أ كانت اميركا أم روسيا الى الدول الإسلامية إنما الغرض منها جعل تلك الدول داخلة تحت مناطق نفوذها ، فإنها لا تقدم المساعدات في سبيل الخير والإنسانية ؟ !! وإنما هي مناورات ظاهرة الغرض منها استعبادها للشعوب وجرها تحت نفوذها .

لقد قدمت روسيا الى العراق في عهد قاسم المزيد من المساعدات ولكنها في نفس الوقت فتحت لها أوكاراً وخلايا لحزبها المتعطش الى اراقة دماء الأبرياء وسحل جثث القتلى ، فاغرقت العراق البلد الأمين بالاضطرابات والفتن وأشاعت فيه الثكل والحزن والحداد ، وفعل دعاة السلم في المواطنين ما لم يفعله هؤلاء التتر في بغداد ولا ارتكبه اليهود في دير ياسين على حد تعبير قاسم .

لقد اغرت روسيا الشعب العراقي بأنها تنشد السلم وتطلب الوئام والعافية والأمن الى جميع شعوب العالم .
لقد رفعت روسيا هذه الشعارات واتخذتها وسيلة الى اغراء الجماهير وخداع البسطاء ولكن سرعان ما كشف حقيقتها حزبها الذي رفع شعار الدم والقتل والسحل وهتف بالاعدام لكل من لا يؤمن بافكارهم المزيفة .

إن السياسة الناجحة في عرف الساسة الغربيين أو الشرقيين هي التي تتقن أساليب المكر وتجيد اللعب على احبل وتحسن صنع القيود والأغلال وتحذق في قلب المفاهيم ، والباس الباطل مظهر الحق .

هذا هو واقع السياسة الحديثة المجافية للعدل ، والمنحرفة عن القيم الإنسانية والمثل العليا ، التي صبت وابلاً من العذاب الأليم على الشعوب وكبدتها بالأضرار الهائلة والمتاعب المرهقة وملأت جوها بالمخاوف والأخطار ووضعت العقبات أمام التعاون الدولي وفرضت الأزمات الاقتصادية على البلاد المتحررة التي لا تخضع لسياستها .

٣ ـ في الاسلام :

وأقام الإسلام سياسته البناءة على العدل والمساواة ، وتحقيق الرفاهية الشاملة لجميع الامم والشعوب فهي أجدر سياسة وأقومها بتحقيق العدل الاجتماعي والقضاء على الغبن الاجتماعي عن الناس ، ورفع مستوى حياتهم الفكرية ، والاقتصادية .

وقبل الخوض في عرض بعض المبادىء الأصيلة التي تبنتها السياسة الإسلامية نقدم الى القراء بعض الجهات التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بما نحن فيه وهي :

١ ـ السياسة الاسلامية علم .

أفاد الباحثون في شؤون السياسة الإسلامية إنها علم كبقية العلوم وحيث ان كل علم لا بد له من حد ، وموضوع وغاية فلا بد لعلم السياسة من هذه الجهات ، وقد ادلوا بها وهى كما يلي :

أ ـ تعريفها :

وعرف ابن عقيل السياسة الإسلامية بقوله : « السياسة ما كان فعلاً يكون معه الناس أقرب الى الصلاح ، وابعد عن الفساد وإن لم يضعه الرسول (ص) ولا نزل به وحي »[1] وقال صاحب البحر في تعريفها : « السياسة هي فعل شيء من الحاكم لمصلحة يراها ، وإن لم يرد بذلك الفعل دليل جزئي »[2] وهذا التحديد

---

(١) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ص ١٥ .
(٢) البحر باب حد الزنا .

قريب من المعنى اللغوي فإنه يتفق معه في أن (السياسة) تدبير شؤون الامة ورعاية مصالحها وان لم يكن ذلك على ضوء الشريعة الاسلامية ، ولم يرد به دليل خاص من الشرع ، وقد استند القائلون بذلك الى الوان من المخالفات للشرع ارتكبها بعض الخلفاء من الحاكمين في صدر الاسلام ، ولكن ذلك لا يوجب صحة التعريف ، وسلامته من النقض والابرام فان المقياس في صحة السياسة ـ كما سنذكره ـ هو موافقتها لكتاب الله العزيز وجريها على سنة نبيه العظيم (ص) وما شذت عنها فهي فاسدة ، وليس عمل الحاكم أو قوله في الميدان السياسي وغيره حجة ولا دليلاً فإن عارض النص فهو إما مؤول أو مطروح ، بالإضافة الى أن الشريعة الاسلامية ما تركت شأناً من شؤون الحياة إلا عالجته على ضوء منطقها الرصين . ويتضح ذلك جلياً عند القائلين بفتح باب الاجتهاد ، وهم أصحاب التفكير الحر من المسلمين فإنه لا يمكن أن يكون هناك حكم من الأحكام أو موضوع من الموضوعات قد أهملته الشريعة الاسلامية أو سكتت عنه .

وعرفها الاستاذ عبد الوهاب خلاف بتعريف آخر فقال :

« إنّ علم السياسة الشرعية يبحث فيه عما يدبر به شؤون الدولة الاسلامية من القوانين والنظم التي تتفق واصول الاسلام ، وإن لم يقم على كل تدبير دليل خاص »[1] .

وقد ألم هذا التحديد بعلم السياسة الاسلامية ، وسلم من بعض النقوض والايرادات عليه ، فليست السياسة الاسلامية تدبير شؤون الامة على الاطلاق بل فيها إذا كانت متفقة مع اصول الاسلام وغير مخالفة لقواعده العامة ، وإن كان لم يرد بذلك التصرف دليل خاص من الشرع المقدس ، وقد سلك صاحب (اللؤلؤ النظيم) مسلكا آخر في تعريفها فقال : « هي علم باصول يعرف بها أنواع الرئاسات والسياسات المدنية واحوالها وواضعه ابو الحسن الأهوازي صاحب كتاب

---

(١) السياسة الشرعية .

(تهذيب السياسة في الحكم السياسي) وحكمه الوجوب الكفائي أو الندب »[1] .

إن هذا التعريف جعل علم السياسة عبارة عن الاصول والقواعد التي تعرف بها أنواع الرئاسات والسياسات المدنية وأهمل مطابقتها للشرع ومن ثم كان التعريف ناقصاً اللهم إلا أن يريد بهذا التعريف الكشف عن مفهوم السياسة وحينئذ فيكون أجنبياً عن علم السياسة الاسلامية . .

ب ـ موضوعها :

أفاد المعنيون بهذا العلم أن موضوعه النظم والقوانين التي تتطلبها شؤون الدولة من حيث مطابقتها لاصول الدين ، وتحقيقها لمصالح الناس وحاجاتهم فموضوع هذا العلم النظم والقوانين فيها إذا كانت مطابقة لاصول الدين وغير مخالفة لقواعده .

ج ـ غايتها :

إن الغاية من علم السياسة الاسلامية هي الوصول الى تدبير شؤون الدولة بنظم من دينها ، والابانة عن كفاية الاسلام بالسياسة العادلة ، وتقبله لرعاية مصالح الناس في مختلف العصور والبلدان[2] .

إن هذه الجهات التي ذكرت للسياسة الاسلامية تثبت أنها علم متميز عن غيره كسائر العلوم أما بحوثه المتعلقة في إدارة شؤون الامة اقتصاديا ، وسياسياً وإداريا فقد تعرضت لها بالتفصيل مصادر التشريع الاسلامي من الكتاب والسنة حيث بينت الخطوط العامة للحكم ولونه الذي تسير عليه الدولة الاسلامية في جميع مجالاتها العملية .

٢ ـ استقرار قواعدها :

إن القواعد العامة التي بنيت عليها السياسة الاسلامية مستقرة ثابتة لا يطرأ

---

(١) دائرة المعارف للبستاني .

(٢) السياسة الشرعية ص ٤ ـ ٥ .

عليها تغيير أو تبديل في جميع مراحل هذه الحياة ، فهي لا تؤمن بالمكر ، ولا بالمواربة ، ولا بالخداع إنها بنيت على العدل والحق ولا يختلف منطق العدل والحق في جميع الازمان .

إنها بنيت على الرحمة والسماحة ونشر الأمن والدعة بين الناس .

إنها بنيت على الايمان الوثيق بكرامة الانسان ، وحقه المقدس في الحياة .

وهذه المفاهيم الخيرة مستمرة مع الأجيال والأزمان لا تشذ عن سنن الحياة ، ونواميسها ، وليست هي كالسياسة الحديثة التي لا تعتمد على اسس ثابتة ، ولا على منطق سليم ، بل تتلون حسب المصالح والمطامع وتتكيف حسب الرغبات والأهواء .

٣ ـ طابعها :

إن طابع السياسة الإسلامية الشدة والقسوة مع الظالمين والمستبدين والمعتدين فهي تقف لهم بالمرصاد فتمنعهم من الغي وتصدهم من الاعتداء وتأخذ منهم حق المعتدى عليه بالصرامة ، يقول الإمام امير المؤمنين (ع) :

« وايم الله لانصفن المظلوم من ظالمه ، ولآخذن الظالم بخزامته حتى اورده منهل الحق وإن كان كارهاً » .

ويقول عليه السلام :

« الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له ، والعزيز عندي ذليل حتى آخذ الحق منه » .

وقال عليه السلام :

« لن تقدس أُمة لا يؤخذ فيها بحق المظلوم من الظالم » .

ويقول الله تعالى في وصفه لنبيه محمد (ص) والصفوة من أصحابه : « **محمد والذين آمنوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** » إن الشدة على الظالمين والبطش

بالطغاة المتجبرين الذين لا يقيمون وزناً للحق ولا للعدل هو الطابع المميز للسياسة الإسلامية على حقوق الضعفاء والمحرومين .

٤ ـ مقياسها الصحيح :

إن المقياس الصحيح الذي تعرف به صحة السياسة وفسادها هو عرضها على الكتاب والسنة وسيرة الرجال المبدئيين من اعلام الفكر الاسلامي ، الذي يتمثل فيهم الاسلام عقيدة وعملاً ، والذين ساروا على ضوئه ، وترسموا خطاه .

إن القرآن الكريم رسم الخطوط العامة للسياسة الاسلامية ، وشرحت أهدافها السنة المباركة ورفع شعارها الرجال المصلحون من ابناء الاسلام فكل سياسة لا تتفق مع هذه الينابيع الثرة فليست من سياسة الاسلام في شيء والإسلام يبرأ منها ، ولا تمثل وجهة نظره ، وكثيرون من أعداء الاسلام قد آخذوه بأعمال بعض الأدعياء من الذين قفزوا على منبر الحكم كالوليد والمنصور والمتوكل وأمثالهم من أئمة الظلم والجور الذين انتهكوا الحرمات ، وطاردوا المصلحين والأخيار فان هؤلاء ليس لهم أي علاقة بالإسلام ، وبعيدون كل البعد عن اطاره وحقيقته ، فلا يصح بأي حال أن تحسب أعمالهم على الرصيد الإسلامي وتتخذ مقياساً تقاس به السياسة الاسلامية في أهدافها .

إن الاسلام لا يمثل مفاهيمه الخيرة الا الأكفاء المتوفرون بتربيتهم على مثاليته وهديه الذين طبقوا أهدافه على واقع حياتهم فان أعمالهم وتصرفاتهم هي التي تكون مقياساً ودليلاً وأما الادعياء من رجال الحكم الاسود الذين حملوا معول الهدم على جميع المفاهيم الإسلامية فانهم بحكم الضرورة أعداء الاسلام وخصومه فكيف تكون أعمالهم مقياساً ودليلاً ؟؟!

٥ ـ أنواعها :

إن السياسة بما لها من المفهوم الشامل تنقسم إلى نوعين « **الأول** » السياسة العادلة ، وهي التي أوجبها الإسلام ، ورفع شعارها وسار عليها في أيام حكمه .

« **الثاني** » السياسة الظالمة المنحرفة عن طريق الحق والصواب وهي التي حرمها الإسلام ، وحرم التعاون مع رجالها في جميع المجالات وليس أدلى بما ذكرنا العلامة ابن الجوزي بقوله :

« إن السياسة نوعان سياسة عادلة تخرج الحق من الظالم الفاجر فهي من الأحكام الشرعية علمها من علمها وجهلها من جهلها ، والنوع الآخر سياسة ظالمة فالشريعة تحرمها[1] » .

ولا بد لنا من التكلم عن هذين النوعين ، وبيان مظاهرهما وآثارهما وإلى القراء ذلك :

١ ـ السياسة العادلة :

إن الإسلام قد تبنى السياسة العادلة التي تنعش الشعوب ، وتحقق في ربوعها العدل الاجتماعي ، وتفتح لها الآفاق الكريمة لعيشها وأمنها وسلامتها ، فلا يضام فيها فرد ، ولا تهدر في ظلها الوارف كرامة أحد ، انها تبسط العدل على القريب والبعيد ، وتنشر المساواة على الجميع فلا تميز قوماً على آخرين .

لقد رفع الاسلام شعار هذه السياسة العليا وتبناها الرجال المخلصون من ابنائه ، وفي طليعتهم أئمة أهل البيت حضنة الاسلام ، وحماته ، وقد وصف الكميت شاعر العقيدة الإسلامية حسن سيرتهم وسياستهم بقوله :

الغربيين من ندى والبعيدين ... من الجور في عرى الاحكام
والمصيبين ما اخطأ النا ... س ومرسي قواعد الإسلام
والحماة الكفاة في الحرب إن لف ... ضرام وقوده بضرام
والغيوث الذين ان امحل النا ... س فمأوى حواضن الأيتام
راجحي الوزن كاملي العدل في الـ ... سيرة طبين بالامور الجسام

(١) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية .

ساسة لا كمن يرى رعية النا س سواء ورعية الانعام[1]

ويقول أيضاً في وصف سياستهم :

بمرضي السياسة هاشمي يكون حياً لأمته ربيعا
وليثاً في المشاهد غير نكس لتقويم البرية مستطيعاً
يقيم أمورها ويذب عنها ويترك جدبها أبداً مريعا

إن سياسة أهل البيت (ع) كانت تمثل وجهة الأسلام في جميع مجالاته السياسية في حماية الإنسان من الظلم والاعتداء ، وصيانته من العبودية والاستغلال ، وايجاد مجتمع ليس فيه معوز أو فقير أو مظلوم .

مظاهرها :

إن السياسة الإسلامية التي أقامها الاسلام ، وسادت العالم عدة قرون واجيال كانت أعمق أثراً من أي سياسة مضت أو جاءت بعدها الى الآن ، ويتضح ذلك بتقديم عرض موجز لبعض اهدافها ومعالمها والى القراء ذلك :

١ ـ اقامة العدل :

ان بسط العدل من أهم المبادىء الاساسية في الإسلام ، فان الإسلام أهم ما ينشده من الأهداف تحقيق العدل ، والقضاء على الظلم والجور ، وقد ارتبطت جميع مناحي التشريع الاسلامي بالعدل فلا يوجد ثمة حكم إلا مرتبطاً به ، فهو العلة في التشريع ، والغاية من البحث الى التكليف ، وتقدم الى القراء عرضاً لبعض الجهات المتعلقة به .

معنى العدل :

العدل : القصد في الامور وهو خلاف الجور[2] وجاء في (لسان العرب)

---

(١) الهاشميات . (٢) المصباح .

العدل : ما قام في النفوس إنه مستقيم وهو ضد الجور وفي أسماء الله سبحانه العدل هو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم ، وهو الأصل مصدر سمي به فوضع موضع العادل ، وهو أبلغ منه لأنه جعل المسمى نفسه عدلاً[1] وجاء في « التاج » ان العدل ضد الجور وهو ما قام في النفوس إنه مستقيم ، وقيل هو الأمر المتوسط بين الإفراط والتفريط .

وقال الراغب : العدل ضربان : مطلق يقتضي العقل حسنه ، ولا يكون في شيء من الأزمنة منسوخاً ، ولا يوصف بالاعتداء بوجه ، نحو الاحسان الى من أحسن إليك ، وعدل يعرف كونه عدلاً بالشرع ، ويمكن نسخه في بعض الأزمنة كالقصاص وارش الجنايات ، وأخذ مال المرتد ، ولذلك قال تعالى : « **فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم** » وقال تعالى : « **وجزاء سيئة سيئة مثلها** » فسمى ذلك اعتداء وسيئة ، وهذا هو المعني بقوله تعالى :

« **ان الله يأمر بالعدل والاحسان** » : فإن العدل هو المساواة في المكافأة إن خيراً فخير وان شراً فشر ، والاحسان ان يقابل الخير باكثر منه ، والشر باقل منه[2] .

إن حقيقة العدل الاستقامة في كل شيء ويقابله الجور فإنه الانحراف عن الطريق وعدم الاستقامة في كل شيء .

٢ ـ العدل في القرآن :

وحث القرآن الكريم على العدل ، والزم المسلمين بتطبيقه على واقع حياتهم ونسوق الى القراء بعض الآيات الكريمة الواردة في ذلك وهي :

أ ـ العدل في الحكم :

والزم القرآن الولاة والحكام ان يحكموا بالعدل . ولا يتبعوا الهوى والاغراض

---

(١) لسان العرب : ٣ / ٤٥٦ .
(٢) التاج : ٨ / ٩ .

بل لا بد ان يكون الحكم الصادر منهم مبعثه العدل والواقع قال تعالى :

« **واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل**»[1] ويقول تعالى : « **يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله**[2] » ووردت آيات كثيرة بهذا المضمون أمرت الحكام باتباع العدل في القضاء وفصل الخصومة وان يساوي الحاكم بين المتخاصمين حتى في اللحظة والنظرة فقد روي ان النبي (ص) قال لعلي : سوِّ بين الخصمين في حظك ولفظك وروي ان صبيين ارتفعا الى الامام الحسن بن علي (ع) في خط كتباه وحكماه في ذلك ليحكم أي الخطين أجود وأحسن فبصر به الامام امير المؤمنين فقال له :

« انظر كيف تحكم فإن هذا حكم الله سائلك عنه يوم القيامة »[3] وقد أجمع المسلمون ان الحاكم إذا انحرف في حكمه وجب عزله وقد عزل الامام امير المؤمنين أحد ولاته حينما اخبرته سودة بنت عمارة الهمدانية بأنه قد جار في حكمه فجعل الامام يبكي ويقول :

« اللهم انت الشاهد علي وعليهم إني لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك »[4] ثم عزله في الوقت وسوف نتكلم على هذه الجهة بالتفصيل عند التعرض لبيان الحكم والإدارة في الإسلام .

ب ـ الشهادة :

والزم القرآن الكريم بالعدل باداء الشهادة واتباع الواقع وان كانت على الاقربين قال تعالى :

« **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم أو الوالدين والاقربين ان يكن غنياً أو فقيراً فالله اولى بهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا**

---

(١) سورة النساء : ٥٦ .

(٢) سورة ص : آية ٢٦ .

(٣) مجمع البيان الجزء الثالث ص ٦٣ ـ ٦٤ .

(٤) حياة الحسن بن علي ٢ / ٣٥٩ .

وان تلووا، أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً »[1] أمر الله بهذه الآية الكريمة بالقسط والقيام بالعدل قولاً وفعلاً والالزام بالصدق في أداء الشهادة ولو كانت على النفس بأن يقر لخصمه بالحق فيكون اقراره له شهادة منه على نفسه وكذلك يجب اداء الشهادة ولو على الوالدين والاقربين وليس للمسلم ان يحابي في ادائها الغني لغناه أو المسكين لمسكنته قال شهاب الزهري كان سلف المسلمين على ذلك حتى دخل الناس فيها بعدهم وظهرت منهم امور حملت الولاة على اتهامهم فتركت شهادة من يتهم[2] .

ان الإسلام بنى مجتمعاً كريماً تسوده العدالة والطمأنينة والاستقرار ويعيش المواطن في ظلاله وادعاً آمناً من الاعتداء والظلم .

ج - في القول :

وحث القرآن الكريم على العدل في جميع المجالات حتى في القول قال تعالى : « **واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى** »[3] وقد الزم تعالى بقول العدل وإن كان على ذي قرابة وإنما خص القول بالعدل دون الفعل لأن من جعل عادته العدل في القول دعاه ذلك إلى العدل في الفعل ويكون ذلك من آكد الدواعي إليه[4] .

د - اقامة صروح العدل :

إن القرآن الكريم أمر المسلمين باقامة صروح العدل بين الامم والشعوب قال تعالى : ﴿**يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا إعدلوا هو أقرب للتقوى**[5]﴾ .

(١) سورة النساء : آية ١٣٥ .
(٢) مجمع البيان ٣ / ١٢٤ .
(٣) سورة الانعام : آية ١٥٢ .
(٤) مجمع البيان ٣ / ٣٨٤ .
(٥) سورة المائدة : آية ٨ .

إن الله تعالى ندب في المســلمين للقيـام بالـدعوة إليـه وتحقيق العدل بـين عباده واهـاب بهم أن لا تصدهم عن تحقيق ذلـك اعتداآت البـاغين والـظالمين ويـذكر عبـد الله بن كثير السبب في نزول هذه الآية .

قـال إنها نزلت في اليهـود حين مضى النبي إلى حصن بني قـريضـة يستعينهم في ديـة فهمـوا أن يقتلوه فنـزلت هـذه الآيـة فـأمرهم (ص) بعـد النهي عن الجـور أن يفعلوا العدل مع كل أحد ولياً كان أو عدواً فإن فعل العدل اقرب للتقوى[1] .

ان الله تعالى بعث نبيه الامين محمداً (ص) لنشر العـدل وبسط الامن والدعـة بين الناس ،وانقـاذهم من الظلم والجـور ،يقول تعـالى مخاطبـاً لنبيه :« **وقـل آمنت بما أنزل الله من كتاب وامرت لأعدل بينكم** »[2] .

ووردت آيات كثيرة في الحث على العدل ليعيش المجتمـع في ظلالـه هانئـاً تعمه الراحة ويسوده الاستقرار .

٣ ـ العدل في السنة :

وتظافرت الاخبار بل تواترت في الحث على العدل وتطبيقه عـلى واقع الحيـاة كما تظافرت الاخبـار في وصفه وحـاجة النـاس إليه كـما وردت اخبار كثيـرة في الثناء عـلى الحـاكم العادل ولـزوم مسانـدته والانصيـاع لأمـره ونسـوق الى القـراء بعض الاخبـار الواردة في ذلك .

أ ـ الدعوة الى العدل :

والـزم الإسلام المسلمـين بجميع هيـآتهم وطبقاتهم بتحقيق العـدل في ربـوعهم يقول الامام امير المؤمنين (ع) :

---

(١) التبيان ٣ / ٤٦١ .

(٢) سورة حمعسق : آية ١٥ .

« عليكم بتقوى الله وبالعدل على الصديق والعدو » .

وقول الامام الصادق (ع) : « اتقوا الله واعدلوا فإنكم تعيبون على قوم لا يعدلون »[1] .

وقال (ص) : « عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة قيام ليلها وصيام نهارها »[2] .

وقال الامام الصادق (ع) : « من اصبح لا ينوي ظلم أحد غفر الله له ذنب ذلك اليوم ما لم يسفك دماً أو يأكل مال يتيم حراماً » وقال الصادق (ع) : « من اصبح ولا يهم بظلم احد غفر له ما اجترم » إلى غير ذلك من الأخبار التي وردت في الحث على العدل والاجتناب من الظلم والجور .

ووصفت بعض الاخبار العدل بأنه من مقومات الحياة التي لا تستغني عنه يقول الامام الصادق (ع) !

العدل أحلى من الماء يصيبه الضمآن » .

ويقول ايضاً :

« ما اوسع العدل وإن قل » .

وذكر الامام الصادق (ع) في معرض حديث له عما يحتاج إليه الناس في حياتهم فقال : « ثلاثة يحتاج اليها الناس طراً : الأمن ، والعدل ، والخصب » .

وهذه القيم الثلاثة لا يستغني عنها الناس في جميع ادوار حياتهم والدولة مسؤولة عن تحقيقها وتطبيقها على واقع الحياة العامة لشعوبها .

ووردت اخبار كثيرة عن ائمة اهل البيت عليهم السلام توجب على المسؤولين ومن بيدهم زمام الحكم ان يبسطوا لواء العدل على المجتمع ويحموه من الظلم والاعتداء .

---

(١) اصول الكافي ٢ / ١٤٧ .

(٢) جامع السعادات ٢ / ٢١٩ .

ب ـ الحاكم العادل :

ان الحاكم العادل قلب المجتمع ومدار حركته ، ويناط صلاح الامة بصلاحه يقول الامام موسى بن جعفر (ع) :

« إن صلاحكم من صلاح سلطانكم وإن السلطان العادل بمنزلة الوالد الرحيم فاحبوا له ما تحبون واكرهوا له ما تكرهون لانفسكم »[1] .

ويقول النبي (ص) : « لعمل الامام العادل في رعيته يوماً واحداً أفضل من عبادة العابد في أهله مائة عام أو خمسين عاماً . . »[2] .

إن سعادة الامة بعدل حكامها فإذا طبق الولاة والحكام العدل على شعوبهم سادت الامة ونالت أمانيها لقد كرس الاسلام جميع جهوده على أن يكون زمام الحكم بيد العادل من ابنائه الذين لا يميل بهم الحب والبغض ، وقد تواترت الأخبار في تقديره والثناء عليه وانه اقرب الناس إلى الله يقول النبي (ص) .

إن احب الناس الى الله يوم القيامة ، واقربهم منه مجلساً إمام عادل ، وإن ابغض الناس الى الله يوم القيامة واشدهم عذاباً امام جائر[3] .

ويقول الامام الصادق (ع) : « الامام العادل لا ترد له دعوة » وذلك لقربه من الله تعالى .

ان للحكم اغراءً لا يفلت من ربقته إلا ذوو النفوس الزكية الكريمة ـ وما أقل عددهم ـ فإن الحكم يجعل بيد الحاكم الامكانيات التي توجب انعاش الشعوب لو استعملها في صالحهم وفي اسعادهم كما انها توجب انتكاسة الحياة وهلاك الامة لو استعملها في مصالحه الخاصة واهمل شؤون البلاد . وسوف نتعرض بالتفصيل الى عدالة الحاكم مع بقية الشرائط التي يلزم توفرها فيه عند بيان (اصول الحكم

---

(١) الامام موسى بن جعفر ١ / ٢٢٨ .

(٢) الاموال لابي عبيد : ص ٦ .

(٣) صحيح الترمذي .

والادارة في الإسلام) .

ان العدل روح الاسلام وجوهره حتى قيل بترادف اللفظين ، وقد اتصلت بقاعدة العدل كثير من القواعد العامة الموجودة في كتب الفقه الإسلامي كقاعدة نفي الضرر وقاعدة نفي العسر والحرج وقد استنبط الفقهاء منها كثيراً من الفروع الفقهية التي لم يرد فيها نص من الشارع .

ان السياسة الإسلامية بجميع مفاهيمها والوانها قد تبنت العدل في جميع مجالاته وآمنت به إيماناً مطلقاً فركزت جميع أهدافها على اضوائه ولا نحسب أن هناك أي نظام دولي قد اعتنى بالعدل كما اعتنى به الاسلام فقد اعتنى به في جميع انظمته السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

وقبل أن ننهي المطاف على هذا الفصل نود أن نبين معنى العدالة الاجتماعية نظراً لارتباط بعض موادها بالعدل فقد ذكروا ان المراد بها « هو ان تتاح لكل مواطن فرص التعليم والعمل والانتاج في جو حر وفقاً لقدرته وذكائه وفرص الحياة الانسانية الكريمة التي تلائم عمله وانتاجه وقدرته واستعداده لتضحية النفس في خدمة الوطن والدفاع عنه وان الحياة الانسانية الكريمة تقضي أن يتجرد كل مواطن من خطر الجوع والفقر والمرض فلا يكون في الوطن جائع لان ما يحتاجون اليه من طعام قد استولى عليه الاغنياء المتخومون ولا يكون في الوطن الواحد مرضى لان نتاج الفلاح في أيدي الاغنياء اللاهين ولا يكون في الوطن الواحد عراة لان ثمن الكساء في ايدي الاغنياء المترفين ولا يكون في الوطن الواحد من يسكنون القبور ومن يسكنون القصور »[1] .

إن تفسير العدالة الاجتماعية هو أن تتاح لكل مواطن فرص التعليم والعمل والانتاج وفرص الحياة الكريمة وهو ما ينشده الإسلام في عدالته الاجتماعية ويلزم الدولة التي تتبناه بتحقيقه على مسرح الحياة العامة بين المسلمين ولكن ما ذكر أخيراً من أن مقتضى العدالة الاجتماعية هو تحرير المواطنين من خطر المرض والفقر والجوع

---

(١) الامة والمواطن الصالح : ص ١٠٢ .

وذلك بمصادرة أموال الاغنياء فان هذا يهدف الى تطبيق الفكرة الشيوعية التي أثبتت التجارب العلمية افلاسها وانهيارها وعدم امكان تطبيقها وذلك لما فيها من الالتواء الذي تنفر الطباع وتأباه الافكار .

إن تحرير المواطنين من الجوع والمرض لا يكون بسلب أموال الاغنياء كما يراه ماركس وزمرته الشيوعيون وإنما يكون بالوسائل الخلاقة التي اثبتها الإسلام كتوفير العمل للمواطنين وتهيئة جميع اسبابه ووسائله وضمان الدولة للمعيشة العامة وغير ذلك من الامور التي سنذكر بعضها عند عرض سياسة الاسلام الداخلية .

ج ـ المساواة :

وعنت السياسة الاسلامية عناية بالغة بالمساواة بين جميع المواطنين المساواة في الحقوق والمساواة في الواجبات والمساواة في كل شيء ، وسوف نتحدث عن معالمها الأصيلة عند التعرض لاعلان الاسلام لحقوق الانسان .

د ـ الحرية :

ان الاسلام رفع شعار الحرية وتبناها ودعا الى تحقيقها وتطبيقها ويرى أنها عنصر من عناصر الحياة لا تستقيم بدونها وسوف نتكلم عن الوانها الثرة الندية عند عرض حقوق الانسان .

٤ ـ الرفق بالرعية

إن الاسلام يلزم الولاة والمسؤولين بالرفق بالرعية وخفض الجناح لها والعناية بشؤونها وتدبير امورها ويعتبر زعيم الدولة أبا لرعاياه وهو مسؤول أمام الله تعالى عن تسديدهم واللطف بهم والحنان عليهم في جميع الامور والأحوال يقول الامام امير المؤمنين (ع) في عهده لمالك الاشتر :

« وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن عليهم سبعاً ضاريا تغتنم أكلهم فانهم صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتى على ايديهم في العمد والخطأ ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه فانك فوقهم والله فوق من ولاك »[1] .

إن أهم ما يطلبه الإسلام من ولاة الامور أن يكنوا في دخائل نفوسهم وأعماق قلوبهم الحب والرحمة والحنان لجميع المواطنين من غير فرق بين أن يكونوا مسلمين أو كتابيين لأن الرابطة الإنسانية في نظر الإسلام من أهم الروابط الخلقية بالرعاية والعطف .

إن الإسلام يحتم على ولاة الامور ان يرفقوا بالرعية بلا فرق بين أفراد المجتمع الإسلامي كافة لا فرق بين أحد وآخر .

يقول الامام امير المؤمنين (ع) في عهده الى محمد بن أبي بكر :

---

(١) نهج البلاغة ٣ / ٩٣ ـ ٩٤ .

« فاخفض لهم جناحك ، وألن لهم جانبك وابسط لهم وجهك وآس بينهم في اللحظة والنظرة ، حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم ، ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم ، فان الله تعالى يسائلكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة والظاهرة والمستورة »[1] .

إن الإنسانية على ما جربت من تجارب وبلغت من رقي وابداع في فنون الحكم فإنها لا تستطيع ان تنشيء نظاماً سياسياً يتحقق فيه العدل السياسي والاجتماعي كنظام الإسلام الذي ألزم السلطة بهذا اللون من الرفق بالرعية وحتم عليها أن تساوي بين جميع المواطنين حتى في اللحظة والنظرة .

١ ـ الصراحة والصدق :

إن السياسة الرشيدة التي تبناها الاسلام تسير على ضوء الصدق والواقع فلا تـوارب ، ولا تخادع ، ولا تنافق ، ولا تغري الشعوب بالوعود الكاذبة ولا تمنيها بالأماني المعسولة رائدها في جميع خطواتها الصدق والصراحة لأن الكذب سرعان ما ينكشف والوعود الخلابة سرعان ما تنهار .

إن السياسة الإسلامية قد حفلت بالصراحة في جميع الميادين فليس من منطقها الخداع والنفاق وقد صارح الامام الحسين (ع) سبط النبي وممثل الإسلام الجماهير التي صحبته من مكة والتي التحقت به في أثناء الطريق حينما بلغه مقتل سفيره وممثله في العراق الشهيد العظيم مسلم بن عقيل (ع) صارحهم بمقتله وخيانة أهل الكوفة به وغدرهم بعهودهم ومواثيقهم وانه متوجه في سفره الى ساحة الموت بل الى ساحة الشرف والخلود فتفرق ذوو الأطماع والأهواء عنه لقد صارحهم (ع) في تلك الساعة الرهيبة بالحقيقة الراهنة وكشف لهم الستار عن خطته واهدافه ليكونوا على بصيرة من أمرهم عملاً بأوامر الاسلام التي تلزم بالصراحة والصدق ولا تبيح أي وسيلة من وسائل الغدر والخداع .

---

(١) نهج البلاغة ٣ / ٣١ .

إن المواربة لو كانت سائغة في الاسلام بأي شكل من الأشكال لما تغلب معاوية بن أبي سفيان خصم الاسلام على الامام امير المؤمنين (ع) فكان بامكانه أن يساومه بعد مقتل عثمان ويبقيه على ولايته في دمشق ، ثم يعزله بعد ذلك عن منصبه ويتخلص من شره وتمرده ، ولكن الاسلام يأبى له تلك المساومة الرخيصة فامتنع من بقائه في جهاز الحكم ولو زمناً قصيراً وهناك أمر آخر هو أعمق أثراً وأبعد مدى في عالم الصراحة من ذلك هو امتناع الامام من اجابة عبد الرحمن بن عوف أحد أعضاء الشورى الذين رشحهم الخليفة الثاني لانتخاب الخليفة الجديد من بعده فقد الح عبد الرحمن الحاحاً بالغاً على الامام ان يبايعه وينتخبه لمركز الخلافة الإسلامية العظمى وقد شرط عليه ان يسير بسيرة الشيخين ويقتفي بسياستهما فامتنع (ع) من اجابته على هذا الشرط وابى الا ان يسير على كتاب الله ويقتدي بسنة نبيه في سياسته واعماله الادارية وغيرها ، لقد كان بامكانه ان يوافق على ذلك الشرط ابتداء ثم يعدل عنه ويسير في سياسته على وفق الاهداف التي رسمها الاسلام ويعتقل كل من يعارضه ويقف في وجه حكومته ، ولكنه ابى الا الصراحة والصدق في القول والعمل .

إن الاسلام يأمر بالتمسك بالصدق ولا يسيغ استعمال الطرق الملتوية التي لا تمت بصلة الى الواقع في تثبيت الحكم وتدعيم السلطة .

يقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم :

« عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة ، وما زال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً واياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا »[1] .

ان الاسلام قد ركز سياسته على الصدق والصراحة وجنبها من الظروف الشاذة الملتوية التي تؤدي الى سلب ثقة الشعب بها وعدم إيمانه بأهدافها .

---

(١) رواه مسلم .

٢ ـ التجنب عن المكر والخداع :

ان السياسة الرفيعة التي تبناها الاسلام صريحة واضحة في جميع معالمها وأهدافها فهي لا تبيح أي وسيلة من وسائل المكر والخداع فقد. حرمهما الاسلام ونهى عنهما يقول الامام امير المؤمنين (ع) .

« لولا أن المكر والخداع في النار لكنت امكر الناس » .

وكان (ع) كثيراً ما يتنفس الصعداء من الآلام المرهقة التي يلاقيها من خصومه فيقول :

« واويلاه يمكرون بي ويعلمون اني بمكرهم عالم ، واعرف منهم بوجوه المكر ولكني اعلم ان المكر والخديعة في النار فأصبر على مكرهم ولا ارتكب مثل ما ارتكبوا . . »[1] .

ويقول في الغدر :

« لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة »[2] .

ان الغدر إنما ينبعث عن نفس لا تؤمن بالمثل الإنسانية والقيم الدينية ويصف الامام امير المؤمنين الغادر بأنه قد نسخ من كيان نفسه الايمان بالله يقول :

« ولا يغدر من علم كيف المرجع ولقد أصبحنا في زمان قد اتخذ أكثر اهله الغدر كيسا ، ونسبهم أهل الجهل فيه الى حسن الحيلة ، ما لهم قاتلهم الله ! ! قد يرى الحوّل القلب وجه الحيلة ودونها مانع من أمر الله ونهيه فيدعها رأي العين بعد القدرة عليها وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين . . »

وتحدث عمن قال في دور حكومته من عبيد الشهوات والمناصب بأنه لا دراية له فى شؤون السياسة وان معاوية خبير بها وخليق بادارة دفة الحكم قال (ع) في

---

(١) جامع السعادات ١ / ٢٠٢ .

(٢) نهج البلاغة .

تفنيد منطقهم الرخيص .

« والله ما معاوية بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر ولولا كراهية الغدر لكنت من ادهى الناس »[1] .

ان سياسة الامام امير المؤمنين (ع) في جميع شؤونها قد عبرت عن جميع القيم السياسية الخيرة التي أعلنها الاسلام فهي لا تقر الغدر ولا المكر ولا الخداع ولا تؤمن بأي وسيلة من وسائل النفاق الاجتماعي وإن توقف عليها النجاح السياسي المؤقت لأن الخلافة الإسلامية من أهم المراكز الحساسة في الإسلام فلا بد لها من الاعتماد على الخلق الرصين والايمان العميق بحق المجتمع والامة .

الى هنا ينتهي بنا الحديث عن بعض المبادىء الاصيلة التي تنشدها السياسة الاسلامية وسنوافي القراء عن بعض منها في غضون هذا الكتاب .

السياسة الظالمة :

إن الاسلام حرم السياسة الظالمة بجميع مفاهيمها والوانها واوجب على المسلمين ان يهبوا الى تحطيمها والاجهاز عليها وحرم عليهم التعاون والالتقاء بجهازها في جميع المجالات .

ان السياسة الظالمة تقوم على العنف والبطش والجبروت وعلى ارهاق الشعب واستنزاف ثرواته وسلب امكانياته وتجريده من مقوماته ونشر الفقر والحرمان في ربوعه فهي لا تعرف الرحمة ولا تؤمن بمصالح الشعوب ولا تقيم وزناً للعدل ولا اهمية للحق لأنها مبنية على البراعة في الجور والاستبداد في الحكم والظلم للعباد ان الإنسانية في ظلال الحكم الجائر تواجه انهياراً خطيراً في جميع قيمها ومقاييسها وتتعرض الحياة العامة الى الدمار والهلاك وقد بلي المجتمع الإسلامي منذ اقدم عصوره بمن قفزوا على منبر الحكم من السفاكين والمجرمين فصبوا على المسلمين

---

(١) نهج البلاغة : ٢ / ٢٠٦ .

وابلاً من العذاب الأليم فطاردوا المصلحين ونكلوا بالاحرار وحاربوا كل نزعة اصلاحية في البلاد ففرقوا الكلمة وشتتوا الشمل ونشروا الفتن والاضطراب واذاعوا الخوف والارهاب واشاعوا الثكل والحداد وقد تمثل ذلك كله على مسرح الحياة العامة للمسلمين في دور الحكم الاموي الرهيب الذي فتح فيه باب الظلم على مصراعيه وقاسى المجتمع أمرً الوان الخطوب والكوارث وشاهد جبالاً من جثث الأبرياء سفكت أرواحها قوى البغي والعدوان بغير حق لأجل تدعيم الحكم والسلطان والتحكم والامرة وابتزاز حقوق الامة وقد وصف الحارث بن عبدالله الجعدي من شعراء ذلك العصر ما ألم بالمسلمين من الخطوب والفتن التي تساوى فيها السفيه والعاقل والعالم والجاهل يقول :

أبيت ارعى النجوم مرتفقاً[1]	إذا استقلت تجري أوائلها
من فتنة اصبحت مجللة[2]	قد عم أهل الصلاة شاملها
من بخراسان والعراق ومن	بالشام كان شجاه[3] شاغلها
فالناس منها في لون مظلمة	دهماء مثلجة غياطلها[4]
يمسي السفيه الذي يعنف بالجـ	ـهل سواء فيه وعاقلها
يغدون منها في كل مبهمة	عمياء تمنى لهم غوائلها
لا ينظر الناس في عواقبها	إلا التي لا يبين قائلها
كرغوة البكر أو كصيحة حبـ	ـلى طرقت حولها قوابلها[5]
فجاء[6] فينا أزرى بوجهته	فيها خطوب حمر زلازلها[7]

إن من الطبيعي أن يمنى المجتمع في ظل السياسة الجائرة والحكم المنحرف

---

(١) المرتفق . الواقف الثابت .

(٢) مجللة : أي شاملة .

(٣) شجاه : أي حزنه .

(٤) الغياطل : الظلم المتراكمة .

(٥) طرقت المرأة ! أي عسر خروج ولدها .

(٦) جاء اسم فاعل من جاء ، ازرى : عاب ، الزلازل : البلايا .

(٧) تاريخ الطبري ٩ / ٣٨ .

بالفتن والخطوب وتنعدم فيه جميع وسائل الحياة ومقوماتها وتشقى جميع الطبقات وقد صور لنا أحد الشعراء بعض معالم الاستبداد الذي مني به المجتمع الإسلامي من جراء الحكم الاموي بقوله :

إني اعيذكم بالله من فتن مثل الجبال تسامى ثم تندفع
إن البرية قد ملت سياستكم فاستمسكوا بعمود الدين وارتدعوا[1]

إن السياسة الاموية قد تفجرت عن بركان من الظلم والجور فكوت بنارها جميع المواطنين وعم شرها جميع الأقاليم الاسلامية فلم يبق وطن في ميدان المجتمع الاسلامي الكبير إلا لحقه الظلم والارهاق .

إن السياسة الجائرة في كل عصر تتنكر لجميع القيم التي تتوقف عليها حياة الشعوب وإنما ذكرنا الحكم الاموي واستشهدنا به فانما هو لبيان بعض الأمثلة على انحراف الحكم عن المخططات الإسلامية العادلة التي تلزم الدولة التي تضفي عليها ثوب الإسلام بالسير على وفقها .

ومهما يكن من أمر فانا نقدم الى القراء عرضاً موجزاً لبعض مظاهر هذه السياسة الخاطئة التي حرمها الإسلام ثم نذكر بعد ذلك الحكم الإسلامي في وجوب تحطيمها وإزالتها والى القراء ذلك .

أ ـ الاستبداد :

ان الحكم الاستبدادي يتركز على ظلم الرعية والاستهانة بحقوقها وعلى عدم الاعتراف باصالتها ووجودها فان المستبد يتحكم في شؤون الناس بارادته لا بارادتهم ويحاكمهم بهواه لا بشريعتهم ويستند في حكمه وبقائه الى قوة الحديد والنار وشراء الضمائر والذمم وقد بين طبيعة الحكم الاستبدادي وما فيه من الاضرار الهائلة التي يصاب بها المواطنون سماحة آية الله العظمى المرحوم الشيخ محمد حسين النائني نور الله ضريحه ونسوق نص كلامه في ذلك لما فيه من مزيد الفائدة قال :

---

(١) الكامل ٥ / ١٠٥ .

« أما كيفية استيلاء السلطان وتصرفه في المملكة باعتبار كونه من باب التملك أو من باب الولاية فهي متصورة على وجهين لا ثالث لهما أبداً . »

« الاول » أن يتصرف السلطان في المملكة بصرف الشخص في ملكه الخاص به ليرى المملكة بما فيها كما يرى ملكه وعقاره حاسباً أهلها كالاغنام والأنعام والعبيد والإماء لم يخلقوا إلا له فيستعملهم في سبيل شهواته وارادته ويسخرهم لادراك أغراضه الحيوانية وشهواته البهيمية فمن كان منهم وافياً بهذا الغرض متفانياً في مقام تحصيل هذا المقصد كان عنده من المقربين المنعمين ، ومن لم يرقه نفاه عن مملكته التي هي ملكه الشخصي وربما أعدمه ، وقطعه قطعة قطعة فأطعمه من حوله من تلك الذئاب الضارية المعتادة الولوغ بتلك الدماء الطاهرة والأنفس الزكية وسلطهم بعده على نهب أمواله وسلب عياله الى غير ذلك من التعذيبات القاسية ، والمصائب النازلة ، ينتزع الأموال من أصحابها متى شاء ، ومهما شاء فيوزعها على من أراد ظلماً وعدواناً ، يأخذ كل حق من أهله غصباً فيضمه الى ماله ، يتصرف في المملكة مختاراً يستوفي الخراج كما يستوفي المؤجر مال اجارته ، وصاحب الأرض حقه الشخصي من أرضه فيصرف في سبيل مصالحه الشخصية ، وأغراضه النفسية لا يهتم لحفظ مملكته وانتظامها إلا كما يهتم سائر المالكين بالنسبة لمزارعهم ومستغلاتهم ، وكل هذه منوطة بارادته وميله ، فإن شاء حفظها ، وان شاء وهبها بأدنى تزلف ، وأقل تملق ، وإن شاء باعها أو رهنها في سبيل تهيأة مصارفه اللهوية ، وربما زاد في الطنبور نغمة فتطاول على الناموس الأعظم ، وأظهر للملأ عامة انه غير مقيد بناموس من النواميس ، ولا ينقاد لدين من الاديان ، زد على ذلك أنه ربما تحلى بالاسماء الإلهية ؛ وقدس نفسه بتلك الصفات القدسية ، فساعده أعوانه واصحابه . !! وبالجملة فهو يرى أن كل قوى المملكة مستهلكة في سبيل قهره واستيلائه وشهوته وغضبه مطبقاً على نفسه قوله تعالى : ﴿**لا يسأل عما يفعل وهم يسألون**﴾ .

وهذا القسم من السلطنة حيث ابتنى على الارادات التحكمية وكان من باب تصرف أحد المالكين في ملكه الشخصي تابعاً لارادات السلطان وميوله ، يسمى

استبداداً وتحكماً وربما يسمى اعتسافاً واستعباداً وتصرفاً وتملكاً ، وجهة التسمية ونسبة هذه الأسماء الى مسمياتها ظاهرة واضحة ، وصاحب سلطنة كهذه يسمى الحاكم المطلق ، والحاكم بأمره ، ومالك الرقاب ، والظالم والقهار ، وأمثال ذلك ، والامة المبتلاة بهذا الأسر والقهر والذلة تسمى أسيرة وذليلة ورقيقة ، وبملاحظة أن حالها حال الأيتام والصغار الذين لم يشعروا بحقوقهم المغصوبة تسمى المستصغرة أيضاً ـ أي المعدودة في عداد الصغار والايتام ـ بل بمناسبة أن هذه الامة مسخرة وفانية في سبيل ارادات السلطان وميوله ، ولم يكن حظها من حياتها ووجودها إلا من قبيل حظ النباتات التي لم تخلق إلا لغيرها وليس لها حظ استقلالي أبداً ، تسمى لجهلها بحقوقها وظلمها لنفسها بالأمة المستنبتة ـ أي المندرجة في عداد النباتات البرية والحشائش الصحرائية ـ .

ثم ان درجات هذا النوع من السلطنة التحكمية مختلف أيضاً باختلاف الملكات النفسانية ، وادراكات السلاطين وعقول أعوانهم ، ولاختلاف ادراكات الامة وعلمها وجهلها بوظائف السلطنة وحقوق الامة ولاختلاف درجات توحيدهم وشركهم في فاعلية ما يشاء ، وحاكمية ما يريد ، وعدم المسؤولية عما يفعل الى غير ذلك من الأسماء الإلهية ، وصفات الذات الأحدية ، وآخر هذه الدرجات ادعاء مقام الالهية . . !!

ويقف هذا السيل الجارف الآخذ بالطغيان والازدياد عند السد الذي تبنيه درجة القوة العلمية في الامة وينتهي الى الحد الذي تستنكف فيه الامة بواسطة قوتها العلمية أن تمكن السلطان وإلا فهو ينتهي الى الدرجة الاخيرة كما يظهر من سيرة الفراعنة السابقين .

وبمقتضى أن الناس على دين ملوكهم تكون معاملة نوع الشعب مع من دونهم بتلك المعاملة السلطانية الاعتسافية مهما اختلفت طبقاتهم ، وأصل هذه الشجرة الخبيثة مبني على أساس جهل الامة بوظائف السلطنة وحقوقها الشرعية وقوامها الوحيد عدم وجود محاسبة السلطان في البين ، وعدم وضع المسؤولية الكاملة والمراقبة التامة على أعماله وارتكاباته المنافية لمقامه .

ثم أدلى رحمه الله بالنوع الثاني من انواع السلطة ، وأضاف بعد ذلك في بيان الحكم الاستبدادي قال رحمه الله :

« إن القسم الاول مبني بجميع مراتبه ودرجاته على القهر والتسخير واستخدام الامة لارادات السلطان التحكمية ، وصرف قوى النوع من المالية وغيرها في سبيل نيل مراداته واغراضه ، وعدم المسؤولية عما يرتكب السلطان ، فان فتك فقد فتك بمملوكه ، وان عفا فهو أهل العفو عن عبيده وإمائه ، وكذا إن قتل ولم يمثل أو لم يقطع المقتول قطعة قطعة فيطعمه من حوله من الذئاب الضارية أو قنع بنهب الأموال ولم يتعرض فقد فعل ما يستحق الشكر ويستوجب المنة . . . نسبة الاهلين الى السلطان كنسبة العبيد والاماء بل بمنزلة الأغنام ، وربما كانوا أقل وأحقر »[1] .

ان طبيعة الحكم الاستبدادي الذي بينه سماحة الإمام النائني طيب الله ثراه تتلخص في المواد الآتية وهي :

١ ـ عدم اعتراف الحاكم باصالة الامة ووجودها ، واعتبارها سلعة بيده يتصرف في أرواحها حيث ما شاء .

٢ ـ تسخير الرعية لأغراضه الخاصة التي لا تمت بصلة لصالحها ، ولا تحقق أهدافها .

٣ ـ التنكيل بالاحرار الذين يأبون الخضوع للظلم والجور وذلك بزجهم إلى السجون وسوقهم الى ساحات الاعدام ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم .

٤ ـ التصرف بأموال الامة وامكانياتها الاقتصادية كما يتصرف الملاك في أملاكهم على حد تعبير عمرو بن العاص وزير معاوية « إنما السواد بستان قريش » .

٥ ـ الاهمال لشؤون الرعية وعدم الاهتمام بها والنظر في مصالحها .

٦ ـ اضافة النعوت الرفيعة والالقاب الشريفة على نفسه التي ترفع مستواه عن

---

(١) مجلة العرفان المجلد ١٧ الجزء الرابع ص ٤٢٧ ـ ٤٢٩ تحت عنوان الاستبدادية والديمقراطية ترجمة صالح الجعفري .

مستوى المجتمع الإنساني كالتعبير بانه ظل الله في الأرض .

٧ ـ عدم التقيد والالتزام باي دين من الأديان وعدم الخضوع للقانون .

٨ ـ اعتبار نفسه مصوناً غير مسؤول عن أي جريمة أو ذنب يصدر منه .

٩ ـ سريان هذا الداء الوبيل الى الشعب ، واصابته بهذا المرض الخطير لأن الناس على دين ملوكهم فيعامل القوي منهم الضعيف بالقوة والجور .

إن هذه المفاسد والمظالم التي تترتب على الحكم الاستبدادي توجب دمار الأمة وهلاكها والقضاء على وعيها وتفكيرها وشيوع الجهل والخنوع في جميع أوساطها ، وقد تمثل ذلك الحكم الفوضوي المرهق على مسرح الحياة الاسلامية من جراء اولئك الحكام المستهترين بحقوق المسلمين ، وعلى رأس القائمة منهم معاوية بن أبي سفيان فقد أعرب عن استبداده وتهوره في كثير من المواقف كقوله في النخيلة أمام الجماهير :

« اني ما قاتلتكم لتصلوا ، ولا لتصوموا ، ولا لتحجوا . ولا لتزكوا . وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم وقد اعطاني الله ذلك وانتم له كارهون ثم قال : وكل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين »[1] .

ان هذا هو الاستهتار والتمادي في الاثم والتحدي للاسلام وهدم قواعده جهاراً . ويعلن مرة اخرى عن استبداده باموال المسلمين فيقول :

« الأرض لله وأنا خليفة الله . فما آخذ من مال الله فهو لي . وما تركته منه كان جائزاً لي . . » .

وأخذت سياسته القاتمة تتفجر بكل ما خالف كتاب الله وسنة نبيه فتتبع رجال الفكر والاصلاح فأشاع فيهم القتل والتنكيل كحجر بن عدي وزمرته المؤمنين فقد قتلهم في (مرج عذراء) وكان قتلهم من الأحداث الخطيرة التي واجهها العالم الإسلامي بالأسى المرير والحزن العميق فقد انتهكت في قتلهم حرمة الإسلام .

---

(١) حياة الحسن بن علي ٢ / ٢١٦ .

إن جرائم معاوية وموبقاته ومنكراته لا تحصى . فقد فرق كلمة المسلمين وشتت شملهم وأشاع فيهم المنكرات وجر إليهم الويلات والخطوب وختم حياته الشريرة بأفحش ألوان الظلم فقد استخلف على المسلمين ابنه يزيد الفاسق الماجن الذي أعلن الحرب على الإسلام . وحمل معول الهدم على جميع قيمه ومقدساته فقتل سيد شباب أهل الجنة الامام الحسين (ع) سبط النبي (ص) ووارثه وأحب الناس لديه وسبى عياله وذراريه . وقد انتهك بذلك حرمة الرسول الأعظم (ص) التي هي أولى بالرعاية والعطف من كل شيء . كما انتهك حرمة البيت الحرام الذي جعله تعالى أمناً لعباده فأمر بهدم الكعبة قبلة المسلمين . وأباح مدينة النبي (ص) في واقعة الحرة ثلاثة أيام لجنوده وجيوشه فارتكبت من الفضائع والفضائح ما سودت به وجه التاريخ .

وعلى أي حال فإن الحكم الاستبدادي يقوم على انتهاك الحرمات وعلى اضطهاد الشعب وسحق مقدساته وتحطيم معنوياته . وقد وصف بعض الكتاب الحكام المستبدين بقوله :

« إن الحكام المستبدين كالحشرات القذرة لا تعيش أبداً في جو نظيف ، ولا تنصب شباكها إلا حيث الغفلة السائدة والجهالة وإن عقول المستبدين لا تعي مبدأ التفاهم ولا تضيق لضيقها وتفاهتها الأخذ والرد للوصول الى الحق ويكاد لا ينبعث صوت للخير حتى يلاحقه صوت من الارهاب يطلب إما إخراسه وإما قتله . . »[1] .

وتحدث القرآن الكريم عن المستبدين الذين انتفخت أوداجهم وتعالوا علواً كبيراً وهانت عندهم حقوق الانسان وضاعت في حكمهم الكرامات قال تعالى :

﴿ إن الملوك إذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون ﴾ .

ويصرخ القرآن في وجوههم ويندد بحكمهم فيقول :

---

(١) الاسلام والاستبداد السياسي .

﴿ فما لكم كيف تحكمون ﴾ .

ويبين القرآن للهيئة الحاكمة الطريق الذي يجب سلوكه ، والحكم الذي يلزم نهجه للقضاء على الاستبداد والتعسف والطغيان يقول تعالى :

﴿ ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى إهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ .

ولكن الحكم الاستبدادي لا يحفل بذلك ويتخذ من الهوى والميول حكماً قائماً على الظلم والجبروت . يقول النبي (ص) مخبراً لامته بما ستلاقيه من بعده من الظلم على يدي الحكام المستبدين .

« ألا انه سيكون عليكم امراء مضلون يقضون لأنفسهم ما لا يقضون لكم ان أطعتموهم أضلوكم وان عصيتموهم قتلوكم . . . » .

فانبرت طائفة من صحابته قائلة له :

ـ وما نصنع يا رسول الله ؟

فأمرهم (ص) بالصمود في وجه الظلم ، وبمقابلته بجميع طاقاتهم قائلاً :

« كما صنع أصحاب عيسى نشروا بالمناشير ، وحملوا على الخشب ، والذي نفسي بيده لموت في طاعة الله خير من حياة في معصية الله . . . » .

ولو أن المسلمين قدموا في سبيل دينهم وعقيدتهم مثل هذا اللون من التضحية الذي ذكره الرسول (ص) وقابلوا أعداء الإسلام وخصومه بالشدة والصرامة لما قامت في بلادهم حكومة جائرة ولا تأمر عليهم طاغية أو مستبد ظالم ، ولكنهم أحبوا الحياة وكرهوا الموت في سبيل الله ، فسلط الله عليهم الأوغاد والأشرار فصبوا عليهم وابلاً من العذاب الأليم واضطهدوهم في جميع المجالات .

ب ـ ارهاق الشعوب :

إن طابع السياسة الظالمة ارهاق الشعوب واضطهادها ، واستنزاف أموالها

وذلـك بفرض الضـرائب عليهـا ، ومن أفحش ألـوان ذلـك الارهـاق الـذي ينم عن جـور السلطة وعدم احتـرامها للقيم الانسـانيـة مـا حـدث بـه المؤرخـون أيـام الحكم الامـوي فقـد ذكـروا أن الـوالي عـلى الاقليم المصـري شكـا الى عبـد الملك العـاهـل الاموي اضطهاد المصريين من الضرائب الجهنمية قائلاً له :

« يـا امير المؤمنـين ، إني ما جئتـك حتى أنهكت الرعيـة وجهدت فـإن رأيت أن ترفق بها وتخفف من خراجها ما تقوى به على عمـارة بلادهـا وصلاح معـايشها فـافعل فإنه يستدرك ذلك في العام المقبل » .

فأنكر عليه الطاغية المستبد هذا العطف عـلى المصريـين ، وأجابـه بما يضمـر في نفسه من الحقد الأسود على المجتمع قائلاً له :

« هبلتك امك ، احلب الدر فاذا انقطع فاحلب الدم والنجا . . »[1] .

وهـل هناك ارهـاق للمجتمع أقسى من هـذا الارهـاق ، أو استهـانـة بحقـوقـه أفظع من هذه الاستهانة . . إنـه يريـد نشر الجوع والفـاقة بـين صفوف الامـة وسلب جميع مقوماتها ومقدراتها حتى تفقد الحياة .

ولا يختص إرهاق الشعب بفرض الضـرائب عليه فـان له طـرقاً اخـرى كاهمـال السلطة للمشاريع الحيـوية العـامة التي تنتعش بهـا البلاد ويـزداد بها دخـل الفرد فـان الجهاز الحاكم إذا اهمـل ذلك ولم يعتن بـه اضطربت الحيـاة الاقتصاديـة العامـة وواجه المـواطنون أمـرَّ الوان العنت والارهـاق وخيم عليهـم البؤس والحرمـان . كما ان اهمـال السلطة للأمن العام يعرض البلاد للمخـاوف ويوجب شيـوع القلق والاضطراب بـين جميع ابناء البلاد .

إن السلطة إذا أهملت واجباتها ، ولم تقم بها على الوجه الاكمـل تتعرض الحيـاة العامة الى الهـزات العنيفة ، وتسـود فيها الفـوضى والتذمـر وتشرف البـلاد على حـافة الخطر والهلاك .

---

(١) الجهشياري : ص ٥١ ـ ٥٢ .

ج ـ نهب الاموال :

إن السياسة الظالمة المنحرفة عن القيم الإنسانية والمبادىء السامية تفسد بجهازها جميع أوضاع البلاد وبالأخص الناحية الاقتصادية فانها تنهب جميع ثروات البلاد لصرفها على ملاذها ورغباتها .

فقد أسرف الحكام الجائرون في البذخ والدعارة والمجون وتعمير القصور . لقد بنى بعض الملوك قصراً واسع الردهات فأنفق عليه الاموال الطائلة وقد وصفه بعض الشعراء بقوله :

لست أدري أصنع إنس لجن ... سكنوه أم صنع جن لإنس
مشمخر تعلو له شرفات ... رفعت في رؤوس رضوى وقدس

إن هذا البناء الرائع إنما بني من أموال المسلمين ومن عرق جبينهم ، ومن كدح العمال ، وهكذا كانت الثروة العامة في البلاد تصرف على الشهوات والملاذ ولم يصرف شيء منها على المصالح العامة وعلى المشاريع الحيوية التي تتقدم بها البلاد .

إنا لو ألقينا نظرة على ملوك الامويين والعباسيين لوجدنا تاريخهم حافلاً بالنهب والسلب والغصب وانفاق الأموال الضخمة على الملاذ والمجون فقد يعجب أحدهم ببيت من الغناء فيهب الالوف في سبيله وقد كتب المؤرخون والمترجمون لهم صوراً مخزية من استهتارهم واستبدادهم بأموال المسلمين .

د ـ هبات الأموال :

إن السياسة الخاطئة التي حرمها الاسلام تهب الأموال للعملاء والعبيد وتمنعه من أهله ومستحقيه وقد تمثل ذلك على مسرح السياسة الاموية فقد وهب . . . . . .
[1]كيف ساغ للخليفة عثمان أن يهب الأموال الطائلة لاقربائه مع أن في المجتمع الاسلامي من يرزح بالفقر والبؤس .

---

(١) بحث فيه تحليل لسياسة عثمان حذفه الرقيب :

وكان من الطبيعي أن تمنى هذه السياسة بالانكار من قبل المحافظين على القيم الإسلامية كأبي ذر واخوانه المجاهدين الذين لم يألوا جهدا في الذب عن القيم الاسلامية والانكار على من يتصدى لها بالاقصاء يقول الاستاذ السيد قطب معلقاً على الموقف الرهيب الذي وقفه أبو ذر تجاه سياسة عثمان .

« إن صيحة أبي ذر كانت ذفعة من دفعات الروح الإسلامي أنكرها الذين فسدت قلوبهم ولا يزال ينكرها أمثالهم من مطايا الاستغلال في هذه الأيام لقد كانت هذه الصيحة يقظة ضمير لم تخدره الاطماع أمام تضخم فاحش في الثروات يفرق الجماعة الإسلامية طبقات ويحطم الاسس التي جاء هذا الدين ليقيمها . . »[1] .

إن اندفاع أبي ذر الى نقد عثمان كان مبعثه الحفاظ على القيم الإسلامية وارجاع الحياة الدينية إلى مجراها الطبيعي ولكن السياسة المنحرفة لا يروق لها ان ينبعث صوت يطالب بالاصلاح ، ويتعرض لها بالنقد وإنما تريد التأييد لها على الظلم والجور والاقرار على البغي والاعتداء على حقوق المجتمع .

هـ ـ اشاعة الفقر :

ومن الطبيعي أن يمنى المجتمع في ظلال الحكم الفاسد بالفقر والحرمان وتتكدس الثروة عند طائفة خاصة وتحرم منها الأكثرية الساحقة .

وقد صور لنا الشاعر الاجتماعي الكبير أبو العتاهية سوء الحالة الاقتصادية في ايام هارون بقوله :

من مبلغ عني الإمام نصائحاً متوالية
إني أرى الأسعار أسعار الرعية غالية
وأرى المكاسب نزوة وأرى الضرورة فاشية
وأرى غموم الدهر رائحة تمر وغادية

---

(١) العدالة الاجتماعية .

وأرى اليتامى في البيوت الخالية
من بين راج لم يزل يسمو إليك وراجية
يشكون مجهدة بأصوات ضعاف عالية
يرجون رفدك كي يروا مما لقوه العافية
من مصيبات جوع تمسي وتصبح طاوية
من للبطون الجائعات وللجسوم العارية
ألقيت أخباراً إليك من الرعية شافية

هذه هي الحالة الاجتماعية السائدة في عصر هارون وفي عصر غيره من أئمة الظلم والجور الملايين من الشعب تعرى وتجوع بينما قد زخرت خزائن بغداد بالأموال الطائلة غير أنها لم تكن إلا للخلفاء وابنائهم ووزرائهم والمقربين عندهم من الظلمة والماجنين والمخنثين .

وأما الذين لا يرغون وجوههم على اعتابهم فهم في فقر وجوع ، ولندع الحديث الى أبي العتاهية ليصور لنا ما يرجوه ويبتغيه في ذلك العصر فيقول :

رغيف خبز يابس تأكله في زاوية
وغرفة ضيقة نفسك فيها خالية
أو مسجد بمعزل عن الورى في ناحية
خير من الساعات في فيء القصور العالية
فهذه وصية مخبرة بحاليه
طوبى لمن يسمعها تلك لعمري كافية
فاسمع لنصح مشفق يدعى أبا العتاهية[1]

إن الدعوة الى الزهد التي رددها شاعر المجتمع العباسي الكبير كانت من نتائج فساد الحكم القائم ، ومن مساوىء سلطانهم .

فقد قضت سياستهم الملتوية باشاعة الفقر بين المواطنين وعلى نشر الثروة عند

(١) الامام موسى بن جعفر ٢ / ٢٧٩ .

فئة خاصة قد اسرفت في التفنن بانواع الملاذ .

هـذه بعض مظاهـر السياسـة الظالمـة التي يفقد المجتمـع في ظلالهـا جميع ألـوان التـوازن ، ويصاب بـالانتكاسـات الخطيـرة التي تبدد جميـع وسائـل حياتـه ومقومـاتـه وتسلبه الرفاهية والدعة والامن والاستقرار .

حكم الاسلام فيها :

إن تحـطيم الـظلم ، وإزالــة شبحـه البغيض من أهم الأهــداف الأصيلة التي ينشدها الاسلام فقد حرمه في جميـع المجالات سـواء أكان في مجـال الحكم وهو الـظلم النـوعي أم في غيره من ألـوان الـظلم والإعتـداء عـلى النـاس بـل حتى ظلم الانسـان لنفسه وذلك بارهاقها وجرها الى المنحدر السحيق الذي تفقد به اصالتها وكرامتها .

إن الاسلام ما نادى بشيء كما نادى برفع الظلم واقصـائه عن واقـع الحياة فقـد شجب جميـع مظاهـره وحمل معـول الهدم عـلى مفاهيمـه كافـة لأنه يهـدد الأمن العـام بالخطر والـدمار ويـوجب اضطراب المجتمـع في جميع الميـادين ، ولا بد لنـا من عرض مـا ورد من الاسلام في ذلـك ـ ولو اجمـالاً ـ ليتضح بـه مدى اهتمـامه ببسط العـدالـة الكبرى على المجتمـع ، واقامـة الحق بين أوسـاطه ثم نـذكر بعـد هذا مـا اثر عنـه في لـزوم الاجهاز عـلى الحكم الجائـر والاطاحـة به جتى لا يبقى لـه ظـل في الأرض والى القراء ذلك .

١ ـ ما ورد في القرآن :

لقـد احتوت اغلب سـور القرآن الكـريم عـلى ذم الـظلم ، وتهـديـد الـظالمـين وانذارهم بالعذاب العاجل الذي يحطم كيانهم وينسف ديـارهم ويمحو ذكـرهم ويلحق بهم العار والخزي في الـدنيا والخلود في النـار ونسوق الى القـراء بعض الآيات الـواردة في ذلك :

أ ـ حرمة الركون اليهم :

ان القرآن حرم الركون الى الظالمين والتعاون معهم باي عمل إيجابي قال تعالى : ﴿ **ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون**﴾[1] .

ب ـ الانتقام منهم :

إن الله تعالى لا يترك الظالم بل لا بد أن ينتقم منه يقول تعالى : ﴿**ولا تحسبن الله غافلاً عما يفعل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار، مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء**﴾[1] . ويقول تعالى : ﴿**وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون**﴾[2] .

ج ـ تدمير ديارهم :

إن الله تعالى يبدد شمل الظالمين ويخرب ديارهم ومساكنهم ولا يبقي لهم أي أثر قال تعالى : ﴿ **فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ان في ذلك لآية لقوم يعلمون**﴾[3] ويقول تعالى : ﴿**وظلموا أنفسهم فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق**﴾[4] ويقول تعالى : ﴿**فقطع دابر الذين ظلموا والحمدلله رب العالمين**﴾[5] ويقول تعالى : ﴿ **واخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها**﴾[6] .

---

(١) سورة هود : آية ١١٢ .

(١) سورة ابراهيم : آية ٤٢ و٤٣ .

(٢) سورة الشعراء : آية ٢٢٧ .

(٣) سورة النمل : آية ٥٢ .

(٤) سورة سبأ : آية ١٩ .

(٥) سورة الانعام : آية ٤٤ .

(٦) سورة هود : آية ٦٦ .

د ـ الدّعوة الى الاعتبار بهم :

ان الله تعالى لما حكم بتدمير الظالمين وخراب ديارهم وسوء مصيرهم دعا الناس الى الاعتبار بهم قال تعالى : ﴿**ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات ، وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ، ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون**﴾[1] . ويقول تعالى : ﴿**وسكنتم مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال**﴾[2] .

إن الله تعالى حكم بارادته التي لا راد لها بتدمير الظالمين وهلاكهم وبسوء منقلبهم ومصيرهم ، ودعا العباد الى الاعتبار بما جرى عليهم من الانقلاب والخزي وسوء الذكر ، وقد شاهدنا في فترة قصيرة من الزمن دولا تحطمت ، ولم تغن عنها قلاعها ولا حصونها ، فقد تحطم نوري السعيد وقاسم العراق لما تفجرت سياستهم بالظلم والاعتداء على المجتمع وهكذا مصير كل دولة تسير بالظلم وتجافي العدل لا بد أن تلاقي مصيرها المحتوم إن عاجلاً وإن آجلاً .

٢ ـ ما ورد في السنة :

وتظافرت الأخبار وتواترت في ذم الظلم وتحريمه والتحذير منه يقول النبي (ص) :

« إياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة »[3] .

ويقول الامام امير المؤمنين (ع) :

« والله لئن أبيت على حسك السعدان مسهداً واجر في الاغلال مصفداً أحب إليَّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد أو غاصباً لشيء من

(١) سورة يونس : آية ١٣ و ١٤ .
(٢) سورة ابراهيم : آية ٤٥ .
(٣) سفينة البحار ٢ / ٤٠٥ .

الحطام ، وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع الى البلى قفولها ويطول في الثرى حلولها »[1] .

وقال الامام علي بن الحسين (ع) لابنه أبي جعفر حين حضرته الوفاة :

« يا بني إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلا الله . . »[2] .

وقال الامام أبو جعفر محمد الباقر (ع) .

« الظلم ثلاثة : ظلم لا يغفره الله تعالى ، وظلم يغفره الله تعالى ، وظلم لا يدعه الله تعالى ، فاما الظلم الذي لا يغفره الله عز وجل فالشرك ، وأما الظلم الذي يغفره الله عز وجل فظلم الرجل نفسه فيما بينه وبين الله عز وجل ، وأما الظلم الذي لا يدعه فالمداينة بين العباد »[3] .

وقال الإمام الصادق (ع) :

« العامل بالظلم والمعين - والراضي به شركاء ثلاثتهم »

ويقول (ع) : « اتقوا الظلم فان دعوة المظلوم تصعد الى السماء . . »

ويقول (ع) : « ما من مظلمة أشد من مظلمة لا يجد صاحبها عليها عوناً إلا الله تعالى . . » .

ويقول (ع) : « ما يأخذ المظلوم من دين الظالم أكثر مما يأخذ الظالم من دنيا المظلوم . . » .

الى غير ذلك من الأخبار التي وردت من أئمة أهل البيت (ع) وهي تحذر جميع المسلمين من ارتكاب الظلم والاتصاف به فانه موجب لسخط الله وزوال النعم ، ونقدم الى القراء بعض الأخبار التي وردت في ذم الحاكم الجائر وحرمة

---

(١) نهج البلاغة .

(٢) سفينة البحار .

(٣) جامع السعادات ٢ / ٢١٦ .

التعاون معه ولزوم التطويح بحكمه وهي :

أ ـ الحاكم الجائر :

ان الحاكم اذا زاغ عن الحق ، ومال عن العدل واجهت الامة سيلا من المكاره والاخطار ، وتعرضت حياتها وجميع امكانياتها الى الخطر والدمار وقد شدد الاسلام على الحاكم الجائر وتوعده بالعذاب الاليم يقول النبي (ص) :

«إن أحب الناس الى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلساً إمام عادل ، وان ابغض الناس الى الله يوم القيامة واشدهم عذابا إمام جائر »[1] .

ويقول الامام امير المؤمنين (ع) في نصيحته لعثمان :

« إني سمعت رسول الله (ص) يقول: يؤتى يوم القيامة بالامام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر فيلقى في نار جهنم فيدور كما تدور الرحى ثم يرتبط في قعرها » .

ويقول النبي (ص) :

« أشد الناس عذابا يوم القيامة من اشركه الله في سلطانه فجار في حكمه » .

ويقول الرسول (ص) :

« جور ساعة في الحكم أشد وأعظم عند الله من معاصي تسعين سنة » .

قال (ص) : « ان أهون الخلق على الله من ولي أمر المسلمين فلم يعدل فيهم » .

وقال ابو عبد الله الصادق (ع) : « إن الله عز وجل اوحى الى نبي من انبيائه في مملكة جبار من الجبارين : ان ائت هذا الجبار فقل له : اني لم استعملك على سفك الدماء واتخاذ الأموال وانما استعملتك لتكف عني اصوات المظلومين فاني لن ادع ظلامتهم وان كانوا كفاراً . . » .

---

(١) صحيح الترمذي .

لقد حفلت كتب الأخبار بالروايات الكثيرة الواردة عن النبي (ص) وعن عترته الطاهرين بما يلاقيه الحاكم الجائر من المصير الاليم وقد كشف الامام الصادق (ع) عن العلل والأسباب التي من اجلها حكم الاسلام بحرمة ولاية الجائر فقال (ع) .

ان ولاية الظالم وتسلطه على الامة موجب للاضرار البالغة التي لا تطاق كاماتة الحق والجور والفساد وابطال للكتب وقتل الانبياء وهدم المساجد ، وتبديل سنة الله وشرائعه . . »[1]

ان ولاية الظالم وتسلطه على الامة موجب للاضرار البالغة التي لا تطاق كاماتة واقبار العدل واحياء سنن الباطل وقتل المصلحين وتقوية الظلم ونشر الفساد وقد أبدى الامام امير المؤمنين (ع) الاسى والحزن على المجتمع الاسلامي إذا ولي أمره الفجار والظالمون يقول (ع) :

« ولكن اسفا يعتريني وجزعا يريبني من ان يلي أمر هذه الامة سفهاؤها وفجارها فيتخذون مال الله دولا وعباد الله خولا والصالحين حربا والقاسطين حزبا » .

لقد ادلى الامام ببعض النتائج الخطيرة التي تنجم عن الحكم الفاسد وهي :

١ ـ نهب اموال الامة واستنزاف امكانياتها الاقتصادية التي تتوقف عليها حياتها العامة .

٢ ـ استعباد الامة واذلالها في جميع المجالات .

٣ ـ محاربة رجال الاصلاح ومطاردة الاخيار والغيارى الذين يناهضون الظلم ويطالبون بتحقيق العدل في البلاد .

٤ ـ اتخاذ الظالمين والفجار حزبا وعونا على ظلم الرعية والاستبداد بشؤونها .

---

(١) المكاسب باب الولاية من قبل الجائر .

ان هـذه البوادر من الـظلم الجمـاعي تتـرتب عـلى الحكم الجـائـر فلذا حـرمـه الاسلام ودعا الى مناهضته ومقاومته .

ب ـ المقاومة السلبية :

ان الاســلام أوجب مقاومــة الظالمـين الى ابعد الحـدود وجعل للمقـاومة وسـائل واسبابا والزم المسلمين بسلوكها للتخلص من الظلم والاضـطهاد واول هـذه الوسـائل هي المقاومة السلمية أو السلبية ومظاهرها .

١ ـ حرمة التعاون :

ان الاســلام حرم التعـاون مع السلطة الجـائرة ولم يجـز باي حـال من الأحـوال تأييدهـا والانضمام اليهـا والاشتراك معهـا باي عمـل إيجابي يؤدي الى تـدعيم حكمها وتقـوية نفوذهــا لأن في بقـائهـا بقـاءاً للظلم والجـور والفسـاد فقـد روي عن الامـام الصـادق (ع) انه قـال : « من أحب بقاء الظالميـن فقد احب ان يعصى الله ان الله تبارك وتعالى حمد نفسه على هلاك الـظلمة » فقـال : « فقطع دابـر القوم الذين ظلمـوا والحمدلله رب العالمين »[1] :

ويقول الامام زين العابدين (ع) : في رسالته الى محمد بن مسلم الزهري :

« واعلم أن أدنى مــا كتمت وأخف مــا احـتملت أن آنست وحـشـة الـظالم وسهلت له طريق الغي بدنوك منه حين دنـوت واجابتـك له حـين دعيت فما أخـوفني ان تكـون تبوء بـاثمك غـداً مع الخـونة وأن تسـأل عما أخـذت باعـانتـك عـلى ظلم الظلمة إنك اخذت ما ليس لك ممن اعطاك ودنوت ممن لم يرد على احد حقا ولم ترد باطلاً حين ادناك واحببت من حاد الله أو ليس بدعائه إياك حين دعاك ، جعلوك قطباً اداروا بك رحى مظالمهم ، وجسـراً يعبرون عليـك الى بلايـاهم ، وسلماً الى ضـــلالتهم داعيـاً الى غيهـم ســالكـاً سبيلهم يــدخلون بـك الشـك عـلى العلماء ويقتـادون بك قلوب الجهـال إليهم ، فلم يبلغ اخص وزرائهم ، ولا اقـوى اعـوانهم

---

(١) سفينة البحار ٢ / ١٠٧ .

إلا دون ما بلغت من اصلاح فسادهم ، واختلاف الخاصة والعامة إليهم فما اقل ما اعطوك في قدر ما أخذوا منك وما ايسر ما عمروا لك ، فكيف ما خربوا عليك، فانظر لنفسك فانه لا ينظر لها غيرك وحاسبها حساب رجل مسؤول »[1] .

وقد بين الامام (ع) بعض الامور الخطيرة التي تترتب على الاشتراك مع الظالمين في جهاز حكمهم وهي :

١ ـ رفع الألم عن نفس الظالم وتسليته واشغاله عن وخز ضميره الذي يؤنبه على الظلم ويردعه عن الجور .

٢ ـ تسهيل طرق الغي والجور له ، فانه لولا الاعوان والانصار لما تمكن الظالمون على نشر الظلم يقول االامام الصادق (ع) « لولا إن بني امية وجدوا من يكتب ويجبي لهم الفيء ، ويقاتل عنهم ويشهد جماعتهم لما سلبونا حقنا ، ولو تركهم الناس وما في ايديهم ، ما وجدوا شيئاً الا ما وقع في ايديهم » ان تأييد الظالم والاشتراك معه هو الذي يحفزه على ارتكاب الموبقات والجرائم ولو ان الناس امتنعوا من معونته لما وجد الى الظلم سبيلا .

٣ ـ المسؤولية أمام الله عن أخذ الرشوات والهدايا والهبات من السلطة الجائرة فانها انما تهب ذلك من اموال المسلمين وهي اموال مسروقة مغصوبة .

٤ ـ ان الدنو من الظالم والقرب منه يوجب اقراره على الظلم والتأييد له على الجور والغي ، وبذلك يكون مواليا لمن حاد الله ورسوله واعلن الحرب على دينه ، والله يقول في كتابه « **ولا تجد قوما يؤمنون بالله ورسوله يوادون من حاد الله ورسوله** » .

٥ ـ جعله قنطرة يعبرون عليها الى ضلالتهم واستبدادهم ونهبهم الى اموال المسلمين ، وبذلك يكون قد خرب دينه لاصلاح دنياه .

وسأل رجل الامام الصادق (ع) عن جواز البناء وكراية النهر لهم فمنعه

---

(١) تحف العقول ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦ .

الآمام (ع) عن ذلك وقال له :

« ما احب ان أعقد لهم أو وكيت لهم وكاءاً ولا مدة بقلم ، ان اعوان الظلمة يوم القيامة في سرادق من نار حتى يحكم الله بين العباد . . »

وجاءه احد موالي علي بن الحسين (ع) فقال له : « جعلت فداك لو كلمت داوود بن علي أو بعض هؤلاء فادخل في بعض هذه الولايات ، فقال له الامام (ع) :

« ما كنت لأفعل » .

وانصرف الرجل وهو يطيل التفكير في امتناع الامام من التوسط . في شأنه ، فاحتمل ان يكون السبب احتمال ان يظلم ويجور فيها إذا صار والياً فصمم على أن يمضي الى الامام ويقسم له بالايمان المغلظة على ان يلتزم بالعدل فيها اذا تعين في منصبه ، واقبل الى الامام (ع) فقال له :

« جعلت فداك ، اني فكرت في ابائك علي فظننت انك إنما كرهت ذلك مخافة ان اجور أو اظلم ، وان كل امرأة لي طالق ، وعلي ، وعلي . . . ان ظلمت احداً أو جرت عليه ولم اعدل . . »

فقال (ع) : كيف قلت : ؟ ؟ !

فاعاد عليه الايمان والمواثيق ، ، فرفع الامام رأسه الى السماء وقال له : تناول السماء ايسر عليك من ذلك[1]

ودلت بعض الأخبار على حرمة التعاون مع السلطة الجائرة حتى في الامور المباحة التي ليس فيها أي اعتداء على الغير فقد روي ان صفوان الجمال كان يكري ابله الى هارون الرشيد ليحج عليها الى بيت الله الحرام ، فدخل على الامام موسى بن جعفر (ع) ، فلما استقر به المجلس التفت له الامام قائلا له :

يا صفوان ، كل شيء منك حسن جميل ما خلا شيئاً واحداً .

---

(١) الجواهر باب التجارة .

فذهل صفوان وذابت نفسه ، فقال للامام :

جعلت فداك أي شيء هو ؟

كراؤك جمالكَ من هذا الطاغية ـ يعني هارون ـ

والله ما أكريته اشراً ولا بطراً ، ولا للصيد ، ولا للهو ، ولكن اكريته لهذا الطريق ـ يعني طريق مكة ـ ولا اتولاه بنفسي ولكن ابعث معه غلماني . فقال له الامام : يا صفوان أيقع كراك عليهم ؟

نعم جعلت فداك .

أتحب بقاءهم حتى يخرج كراك ؟

نعم ! .

من أحب بقاءهم فهو منهم ، ومن كان منهم كان وارداً للنار .

فانطلق صفوان فباع جماله فبلغ ذلك هارون فاستدعاه فلما مثل عنده قال له :

يا صفوان بلغني انك بعت جمالك ؟ .

نعم ! .

لم ؟؟

ـ أنا شيخ وان الغلمان لا يقومون بالأعمال .

ـ هيهات !! اني لأعلم من أشار عليك بهذا أشار به عليك موسى بن جعفر (ع)[1] .

ان موقف الامام موسى (ع) من حكومة هارون منبعث من صميم العقيدة الإسلامية التي اعلنت الحرب بغير هوادة على الظالمين والمستبدين .

---

(١) حياة الامام موسى بن جعفر .

٢ ـ حرمة الاتصال بهم :

ان الإسلام أمر بمقاطعة الظالمين في جميع المجالات وحرم على المسلمين الاتصال بهم والترافع اليهم وحل الخصومة على أيديهم فكل لون من ألوان الاتصال لا يسمح به الإسلام لقد أراد المنصور طاغية بني العباس أن يتصل بالامام الصادق (ع) ويستدرجه في موكبه فكتب اليه :

ـ لم لا تغشانا كما يغشانا سائر الناس ؟ !

لقد ظن المنصور ان الإمام سيبادر إلى اجابته والالتقاء معه ، وما علم ان الإمام لا يتخطى قيد شعرة عن تعاليم الاسلام التي تأمر بتحطيم الظلم والجور فأجابه (ع) :

« ما عندنا من الدنيا ما نخافك عليه ، ولا عندك من الآخرة ما نرجوك له ، ولا أنت في نعمة فنهنيك عليها ، ولا تعدها نقمة فنعزيك عليها ، فلم نغشاك ؟ ! » .

لقد أجابه الإمام (ع) بهذا الجواب الصريح الواضح الذي يقطع طريق الاتصال به إذ ليس عند الامام شيء من متع الدنيا حتى يخاف على مصادرتها من المنصور ، وليس عنده من قيم الآخرة كي ينالها بالاتصال به ، وانما عنده الملك وليس ذلك نعمة في نظر الإمام (ع) حتى يهنيه عليه ، وانما هو بلاء ومصيبة في ولكن المنصور لا يشعر بذلك لأن الملك قد أغراه ، ولما قرأ جواب الامام كتب إليه :

« إنك تصحبنا لتنصحنا » .

فرد عليه الامام (ع) : من أراد الدنيا فلا ينصحك ، ومن أراد الآخرة فلا يصحبك »[1] .

لقد بين (ع) للمنصور بهذه الكلمات الخالدة ان طالب الآخرة لا يتصل بأي جهاز ظالم لأن ذلك يتصادم مع القيم الدينية فهو في جميع الأحوال لا يلتقي

---

(١) حياة الامام موسى بن جعفر ١ / ٣٢٣ ـ ٣٢٤ .

مع السلطة الظالمة ، وأما من وضع أمعاءه على رأسه ودينه تحت قدمه فهو لا ينصح السلطة ولا يشجب أعمالها العدوانية بل يؤيدها ويساير جميع خطواتها ، وقد علق الاستاذ الفكيكي على هذه السياسة السلبية ، التي يراها الامام قال ما نصه :

« ان الامام الصادق (ع) قد سن قاعدة مشروعة للسياسة السلبية ، وهي ما يسمونه باللغة السياسية (بالعصيان المدني) أو سياسة عدم التعاون مع حكومة أو دولة لا تحترم الحقوق أو تسيء التصرف فتعبث بحرمة قانونية المعاهدات والمواثيق ، أو تتحدى قدسية الدساتير وحقوق الامة المشروعة ، إلى غير ذلك من وسائل الظلم وذرائع الباطل التي تتوسل بها الحكومات الغاشمة والدول القوية المستعمرة ، وحكام الاستبداد والفساد في سبيل الطرق الخبيثة الدنيئة ، فالإمام الصادق عليه السلام قد أوجب على الأفراد عدم التعاون مع ولاتهم الجائرين على اختلاف درجاتهم ومناصبهم من أعلاهم إلى أدناهم ، وحرم عليهم العمل لهم ، والكسب معهم ، وحذر وأوعد الفاعل لذلك بالعذاب لارتكابه معصية كبيرة من الكبائر لأن في بذل المعونة للوالي الجائر اماتة الحق كله واحياء الباطل كله ، وفي تقويته اظهار الظلم والجور والفساد وسحق السنن ، وطمس الشرائع ـ والعياذ بالله ـ ولا نريد أن نكثر القول في شرف هذه القاعدة للسياسة السلبية وفي فوائد حكمتها ، وهذه هي القاعدة الوحيدة الناجعة للعلل السياسية الفاسدة وأوبائها المهلكة ، وليس للأحرار والمصلحين في كل أُمة قاعدة اخرى يلجأون اليها في اكراه المستبدين والمستعبدين والمستهترين بحقوق الامة للخضوع إلى اجابة رغبات الشعب وتحقيقها ، وتطبيق القوانين وخدمة العدل واحترام الحق إلا اتباع هذه القاعدة المثالية في السياسة السلبية ، ولا يقوى على انتهاج هذه الخطة القويمة إلا أصحاب القلوب العامرة بقوة الايمان وأرباب النفوس الملتهبة بحرارة العقيدة الصحيحة الصلبة ، وأهل الصبر على تقديم القرابين الغالية من أرواحهم الطاهرة في سبيل حريات الرعية وصيانة حقوقهم من جور الجائرين واعتسافهم فهل بعد هذا العلاج الشافي من علاج يستعمله الامام لمداواة السياسة الاموية والعباسية المريضة في روحها ودماغها ـ اللهم لا ـ إلا إذا وجد المعين والنصير فكيف إذا لم يكن هذا وذاك . . »[1] .

---

(١) الرسالة الاولى في حياة الامام الصادق : ص ٢٧ .

إن تحليل الاستاذ الفكيكي للسياسة السلبية التي يراها الامام الصادق (ع) تحليل رائع ووثيق للغاية ، فإن الامة إذا لم تتصل بالهيئة الحاكمة ولم تتعاون معها فإن ذلك يؤدي حتماً إلى فشلها وتراجعها عن الظلم والعدوان .

ان الطبقة الخيرة في العصور الإسلامية الاولى قد استجابت إلى نداء أئمة أهل البيت عليهم السلام فحرمت على نفسها الاتصال بالجهاز الرسمي القائم آنذاك ولم تتعامل معه في جميع الميادين ، وكان من يتصل به قوبل بالاستهانة والتحقير فهذا اسماعيل بن ابراهيم القرشي لما ولي القضاء كتب إليه ابن المبارك الأبيات التالية وهو يندد بها على قبوله للوظيفة في مجلس القضاء :

يا جاعل العلم له بازياً	يصطاد أموال المساكين
تحتال للدنيا ولذاتها	بحيلة تذهب بالدين
فصرت مجنوناً بها بعدما	كنت دواءاً للمجانين
أين رواياتك فيما مضى	عن ابن عون وابن سيرين
أين رواياتك في سردها	في ترك أبواب السلاطين
إن قلت اكرهت فذا باطل	زل حمار العلم في الطين[1]

إن المسلمين لو تضامنوا واجتمعت كلمتهم على الابتعاد عن الظالمين وعدم الاشتراك معهم بأي عمل من الأعمال لما قامت للجور حكومة ، ولا للاستبداد دولة ، ولا لدعاة المبادىء الهدامة أحزاب ونفوذ ، إنهم لو ساروا على ضوء هذه السياسة العليا لكانت كلمتهم هي العليا ، وكلمة اعدائهم هي السفلى واندحرت جميع القوى المعادية لهم ، ولكنهم صافحوا الظالمين ، وساروا في ركابهم فهان أمرهم وصاروا بغية للمستعمرين .

ج ـ المقاومة الايجابية :

ان الاسلام لا يقر الظلم بأي حال ويلزم بالاجهاز عليه يقول النبي (ص) : « إن الناس إذا رأوا الظالم ، فلم يأخذوا على يده أوشك أن يعمهم الله بعقاب » .

---

(١) تهذيب التهذيب .

وسأل رجل الامام الحسن (ع) عن رأيه في السياسة وبعد ما ذكر بعض الامور عنها قال :

« ولا تتأخر عن خدمة امتك وان تخلص لولي الأمر ما أخلص لامته ، وان ترفع عقيرتك في وجهه إذا ما حاد عن الطريق السوي[1] » .

إن مقاومة الظلم من أهم الاهداف التي ينشدها الاسلام فان مبادئه الرفيعة لا يمكن أن تسود في المجتمع مع حكم الظالمين ونفوذ المستبدين ، لذلك دعا الى قلع جذور الظلم وتحطيم صروحه وابادة جميع ضروبه والوانه واستجابة لهذا النداء المقدس قام العظماء والمصلحون من ابناء الاسلام بثوراتهم الخالدة التي غيرت مجرى التاريخ ، ولقنت الظالمين درساً رائعاً خلاقاً وفي طليعة تلك الثورات الخالدة التي تحمل شارات الشرف والمجد ثورة الامام الحسين (ع) سبط الرسول (ص) فقد كانت امتداداً لثورة جده الرسول (ص) الذي اعلن الثورة الكبرى على طغاة مكة وجبابرة قريش وامتداداً لثورة أبيه امير المؤمنين الذي ثار في وجه البغي والاستبداد وحطم القوى المنحرفة عن تعاليم الاسلام .

إن ثورة الامام الحسين (ع) كانت من أجل تحقيق العدالة ، وانقاذ المسلمين من سياسة البطش والعنف ، وحمايتهم من العبودية والاستغلال ، وصيانة لمثلهم من التدهور والانحلال .

إن ثورة أبي الشهداء (ع) كانت قبساً مضيئاً للعالم الاسلامي ، وينبوعا فياضاً جرت منه الثورة ضد البغي والعدوان .

وسارت كوكبة من ابنائه على ضوء سياسته الثورية فقابلوا الظلم ، وناهضوا الجور وحاربوا الاستبداد ، كزيد بن علي الثائر على الحكم الاموي ، والمنافح عن العدالة الانسانية يقول لأصحابه :

« إن ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه ، وجهاد الظالمين ، والدفاع عن المستضعفين ، واعطاء المحرومين ، وقسم هذا الفيء بين أهله بالسواء ، ورد

---

(١) حياة الامام الحسن بن علي ١ / ١٤٣ .

المظالم . . »[1] .

من أجل هذه المبادىء الرفيعة ثار زيد بن علي فقاتل حتى استشهد في ساحات الشرف والخلود .

لقد قام العلويون بثوراتهم المتصلة من أجل تحقيق العدل والمساواة بين المسلمين يقول أبو الفرج في حديثه عن محمد بن ابراهيم الحسني الثائر العظيم ، انه بينما يمشي في طريق الكوفة إذ نظر الى عجوز تتبع أحمال الرطب فتلتقط ما يسقط منها ، فتجمعه في كساء رث فسألها عما تصنع بذلك ، فقالت له : إني امراة لا رجل لي ليقوم بمؤنتي ، ولي بنات لا يعدن بأنفسهن على شيء فانا اتبع هذه الطريقة ، وأتقوت بها أنا وولدي ، فبكى محمد بكاء شديداً وقال لها :

« والله أنت واشباهك تخرجونني غداً حتى يسفك دمي[2] ثم ثار في وجه السلطة القائمة التي صادرت قوت الشعب ، ونهبت امكانياته ، وحرمت الاكثرية الساحقة من الطعام والكساء .

لقد اندفع العلويون الى الكفاح والنضال من أجل رفاهية الشعوب الاسلامية والانتقام من السلطات الظالمة التي تصرفت بارواح المسلمين واموالهم تصرفاً كيفياً لا يستند الى حكم الاسلام وارادة الله .

لقد حفل تاريخ الاسلام بالثورات الخالدة ضد البغي والجور ، وكانت الشيعة في طليعة المسلمين في نضالها وكفاحها ومناهضتها للحكم الفاسد ، فقد قدموا المزيد من التضحيات في سبيل انقاذ المسلمين من السلطة الجائرة يقول الوردي :

« الشيعة أول من حمل الثورة الفكرية في الاسلام ضد الطغيان وفي نظرياتها تكمن روح الثورة ، وإن عقيدة الامامة التي آمن بها الشيعة حملتهم على انتقاد الطبقة الحاكمة ، ومعارضتها في جميع مراحل تاريخهم ، وجعلتهم يرون كل حكومة

---

(١) الاسلام الصحيح ص ١٧ .
(٢) مقاتل الطالبيين .

غاصبة ظالمة مهما كان نوعها إلا اذا تـولى أمرهـا امام معصـوم ، لذلـك كانـوا في ثورة مستمرة لا يهدأون ولا يفترون »[1] .

ويقول بعض الكتاب :

« ومما لا جدال فيـه ان الشيعة هم حملة لـواء المعارضـة للسياسـة الملتويـة وقـد قاموا بالثورات المتصلة التي دوخت الظالمين ، وهم الذين تولوا قيادة المعارضة .

وقـد ابدوا في ذلـك ضـروب البسـالـة فلم يثنهم ارهـاب ، ولم تلن لهم قنـاة ، وقد كانوا موضع اعجاب الناس وتقديرهم ، ولذا فان الخليفة الـذي كان يشـد قبضة الارهاب على الشيعة كان يستفز بملكه جمهور المسلمين ويثير حفيظتهم[2] » .

لقـد قامت الشيعـة في تلك العصور الـرهيبة بـدور مهم في مقارعـة البـاطـل ، والتمـرد عـلى الـظلم والنقمـة عـلى حكـام الجـور ، فقـد اعلنـوا في أحـرج الـظروف وأقسـاها سخـطهم البالـغ عـلى السلطة الحـاكمـة ، فهـذا عبـدالله بن عفيف الازدي البصير الذي وهبه الله نوراً في بصيرته قد ثار في وجـه الطاغيـة عبيدالله بن زيـاد حينما خطب على تلك الوحوش الكاسرة والبهـائم الحقيرة من أهـل الكوفـة بعد مقتـل سيد الشهداء معلناً السب والشتم لـلإمام الحسـين فانبـرى اليه البـطل الفذ عبـدالله قائـلاً له :

« إنما الكذاب انت وأبـوك ومن استعملك وأبوه ـ يعني بـه يزيـد وأباه معـاوية ـ يا عبد بني علاج ، أتقتلون أبناء النبيين ، وتصعدون على منابـر المسلمين ، أين أبنـاء المهاجرين والأنصار لينتقموا منك ومن طاغيتك اللعين على لسان النبي الأمين » .

ان هذا الموقف الرائع قد سجله التاريخ بمداد من النـور والفخر فـإنه من أروع ألوان الجهاد يقول النبي (ص) :

« أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » .

---

(١) وعاظ السلاطين ص ٣٩٣ .

(٢) ثورة الزنج ص ٣٦ .

وقيل للامام الصادق (ع) أي الجهاد أفضل ؟ فقال (ع) : كلمة حق عند امام ظالم .

ان شجب الشيعة للظلم وان مواقفهم البطولية ضد السلطات الجائرة كانت منبعثة من صميم العقيدة الاسلامية التي ألزمت بالاجهاز على الفساد والاستبداد .

د ـ اخبار موضوعة :

وأوعزت السلطات الحاكمة في تلك العصور المظلمة إلى علماء السوء وباعة الضمير من رواة الحديث أن يلفقوا الأحاديث وينسبوها إلى النبي (ص) لأمر المسلمين بالانصياع إلى الحكم القائم والتسليم لظلمه والرضا بجوره ونسوق بعضها :

لقد رووا أن رسول الله (ص) قال : « لا تسبوا الولاة فإنهم إن احسنوا كان لهم الأجر وعليكم الشكر ، وإن أساءوا فعليهم الوزر وعليكم الصبر ، وانما هم نقمة ينتقم الله بهم ممن يشاء فلا تستقبلوا نقمة الله بالحمية واستقبلوها بالاستكانة والتضرع »[1] .

إن هذه الرواية تدعو إلى الخنوع والاستكانة ، ولا يليق ذلك بمنطق الإسلام الثائر على الظلم . وللتدليل على وضع هذه الرواية ان الخليفة قام خطيباً بين المسلمين فقال لهم :

« أيها الناس انكم تقرأون هذه الآية ﴿ **يا أيها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم** ﴾ وانا سمعنا رسول الله (ص) يقول : « ان الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقابه » .

ومن هذه الروايات الموضوعة ما رواه أبو داوود في سننه ان النبي (ص) قال : « سيأتيكم ركب مبغضون يطلبون منكم ما لا يجب عليكم فإذا سألوا ذلك فاعطوهم ولا تسبوهم وليدعوا لكم . . » وقد علق سماحة الإمام كاشف الغطاء على هذه الرواية قال ما نصه :

---

(١) الخراج لأبي يوسف .

« وهل كان أبو داوود جاسوساً للأغيار فلفق هذا الحديث ؟ وهب ان النبي (ص) نصح مرة هذا النصح لقومه أيرضى أن نكون مستذلين مستعبدين مدى الدهر ؟ أحديثاً تقدسون أسيفاً للباغي تصقلون وتشحذون ؟ أجواهر للطغاة تصوغون ؟ وأيم الله ان جواهر في تاج الظالم لأغلال في أيدي الامة : وإن سلامة الشرق والشرقيين في تحطيم التيجان والأغلال »[1] .

ومن تلك الروايات ما نسبت لابن مسعود انه روى عن النبي (ص) انه قال : « انكم سترون بعدي اثرة . واموراً تنكرونها » قالوا : « فما تأمرنا يا رسول الله ؟ » قال : « ادوا لهم حقوقهم واسألوا الله حقكم » .

وقد علق الامام كاشف الغطاء نضر الله مثواه على هذه الرواية قال :

« وفي هذه الرواية طريقان قويمان إلى عرش الكفر وسجن الايمان . وفي هذه الحكمة الشرقية . وأمثالها يحلل سجن الظلم ويقدس الاستعباد . قوم يسودون لا واجب عليهم غير البلص والاغتصاب . وقوم مستعبدون تعودوا أن يسمعوا طائعين ويسلموا ساكتين . ومعاذ الله أن تكون هذه سنة الحياة القويمة »[2] .

ان هذه الروايات وأمثالها من الموضوعات كما اثبتها جماعة من الباحثين وذكروا انها وضعت لأجل تدعيم الحكم الفاسد يقول بعض الكتاب في هذه الأحاديث :

« أراد ولاة الحكم في تأريخنا ـ في العهد الاموي وما بعده ـ ان يدوم لهم النفوذ والسيطرة والظلم والطغيان فأوعزوا إلى أذنابهم الخونة أن يضعوا أحاديث يصوغون للناس منها قيوداً وأغلالاً تساعدهم على استعباد الأحرار . واستغلال الجماهير فلفقوا الأحاديث على لسان الأنبياء مرغبين في الخنوع والخضوع والخدمة والاستسلام »[3] .

ان هذه الروايات لا تتفق مع روح الإسلام وجوهره الذي هدم عروش

(١) المراجعات الريحانية ٢ / ٦ .

(٢) المراجعات الريحانية ٢ / ٦ .

(٣) أهل البيت ص ١٤١ .

الطغيان وقوض أركان العبودية ودعا الناس إلى التحرر من الظلم والاستعباد .

هـ ـ الوظيفة من قبل الجائر :

ذكرنا في البحوث السابقة حكم الإسلام في حرمة التعاون مع حكومات الظلم وانه لا يسمح بأي حال من الأحوال للتعاون معهم .

ولكن الشريعة الإسلامية استثنت من ذلك ما إذا قام الموظف بالاحسان الى الناس فقد دلت الاخبار الواردة من ائمة أهل البيت (ع) على الجواز بل على الحث والندب فهذا علي بن يقطين قد طلب من الامام موسى بن جعفر (ع) ان يسمح له بالاستقالة من حكومة هارون فنهاه الامام عن ذلك وقال له :

« لا تفعل فان لنا بك انسا ،ولاخوانك بك عزاً ، وعسى الله أن يجبربك كسيراً ، ويكسر بك نائرة المخالفين عن اوليائه ، ياعلي كفارة اعمالكم الاحسان الى اخوانكم اضمن لي واحدة أضمن لك ثلاثة : إضمن لي ان لا تلقى احداً من اوليائنا الا قضيت حاجته واكرمته وأضمن لك ان لا يظلك سقف سجن ابداً ، ولا ينالك حد السيف ابداً ولا يدخل الفقر الى بيتك أبداً يا علي من سر مؤمنا فبالله بدأ وبالنبي ثنى وبنا ثلث »[1] .

ودل الحديث على جواز الولاية من قبل الجائر ولكنها مشروطة باسداء المعروف على المؤمنين ودفع الغائلة عنهم ولما قدم الامام موسى عليه السلام الى العراق زاره علي بن يقطين فطلب منه الاذن بأن يقدم الاستقالة من منصبه الى هارون فنهاه الامام وقال له :

« يا علي إن لله تعالى اولياءً مع الظلمة ليدفع بهم عن اوليائه وانت منهم يا علي . . »[2] .

وتشرف بمقابلة الامام موسى (ع) زياد بن أبي سلمة وكان والياً عند الحكومة

---

(١) حياة الامام موسى بن جعفر ٢ / ٢٥٨ .

(٢) حياة الامام موسى بن جعفر .

العباسية فقال له الامام :

ـ إنك لتعمل عمل السلطان ؟؟

ـ اجل أنا رجل ذو مروة ، وعلي عيال وليس وراء ظهري شيء .

فانبرى الامام مظهراً له الاستياء على عمله ، ومبيناً له الطريق الذي ينجيه من الهلاك قائلاً له :

« يا زياد لئن أسقط من حالق[1] فاقطع قطعة قطعة أحب إلي من أن أتولى لأحد منهم عملاً أو أطأ بساط رجل منهم إلا لتفريج كربة مؤمن أو فك أسره أو قضاء دينه » .

يا زياد ، إن أهون ما يصنع الله بهم جل وعز أن يضرب عليهم سرادقاً من النار الى أن يفرغ الله من حساب الخلق .

يا زياد ، فان وليت شيئاً من أعمالهم فأحسن الى اخوانك فواحدة بواحدة والله من وراء ذلك .

يا زياد ، إذا ذكرت مقدرتك على الناس فاذكر مقدرة الله جل وعزّ عليك غداً ونفاد ما أتيت به إليهم عنهم ، وبقاء ما أتيت إليهم عليك [2] . .

لقد شرط (ع) اباحة الولاية بالاحسان الى الناس لتقابل السيئة بالحسنة ، وقد نص الامام الصادق (ع) على ذلك بقوله :

« كفارة عمل السلطان الاحسان الى الاخوان » .

وقد اختلف الفقهاء في الولاية من قبل الظالم فيما اذا توقف عليها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو واجب، آخر من الواجبات الاسلامية فذهب بعضهم الى جوازها ، وذهب آخرون الى ندبها واستحبابها ، وذهب جماعة آخرون الى وجوبها

---

(١) الحالق : المكان المرتفع .

(٢) حياة الامام موسى بن جعفر ٢ / ٢٢٦ .

لأن ما لا يتم الواجب الا بـه فهو واجب وقـد بسط الكلام في المسألة الحجة الانصاري في (مكاسبه) .

ونقدم الى القراء رسالة النجاشي الى الامام الصادق (ع) وجوابه عنها ، وقد تضمن الجواب أهم النصائح واروع الارشادات التي ينبغي أن يسير على ضوئها الموظفون والحاكمون في البلاد الاسلامية .

رسالة النجاشي :

وقد جاء فيها بعد البسملة ما نصه :

« أطال الله بقاء سيدي ، وجعلني من كل سوء فداه ولا أراني فيه مكروها فإنه ولي ذلك ، والقادر عليه ، اعلم سيدي : أني بليت بولاية الاهواز فان رأى سيدي ومولاي ان يحد لي حداً ، ويمثل لي مثالا لأستدل به على ما يقربني الى الله عز وجل والى رسوله ، ويلخص لي في كتابه ما يرى لي العمل به وفيما ابذله واين اضع زكاتي ؟ وفيمن اصرفها ؟ وبمن آنس والى من استريح ؟ وبمن اثق ؟ وآمن ؟ والجأ اليه في سري فعسى ان يخلصني الله تعالى بهدايتك وولايتك فانك حجة الله على خلقه وامينه في بلاده لا زالت نعمته عليك » .

وقد تضمنت هذه الرسالة الكريمة كثيراً من الامور المهمة وقد اجابه الامام عنها بالتفصيل ويعتبر الجواب من أهم التعاليم الاسلامية التي عالجت مشكلة الحكم ووضعت البرامج التي يسير عليها الحكام والمسؤولون كما حددت تصرفاتهم .

جواب الامام الصادق :

اجابه الامام (ع) بعد البسملة ما نصه :

« احاطك الله بصنعه ، ولطف بك بمنه ، وكلأك برعايته فانه ولي ذلك ،

أما بعد : فقد جاءني رسولك بكتابك فقرأته ، وفهمت جميع ما ذكرته وسألت عنه ، وذكرت انك بليت بولاية الأهواز وسرني ذلك وساءني وسأخبرك بما ساءني من

ذلك وما سرني ان شاء الله تعالى .

« اما سروري » بولايتك فقلت عسى ان يغيث الله بك ملهوفاً خائفاً من اولياء آل محمد (ص) ويعز بك ذليلهم ويكسو بك عاريهم ويقوي بك ضعيفهم ويطفىء بك نار المخالفين عنهم .

واما الذي « ساءني » من ذلك فان ادنى ما اخاف عليك ان تعثر بولي لنا فلا تشمّ رائحة حظيرة القدس فاني ملخص لك جميع ما سألت عنه فان انت عملت به ولم تجاوزه رجوت ان تسلم ان شاء الله .

أخبرني يا عبدالله أبي عن آبائه عن علي (ع) عن رسول الله (ص) انه قال :

من استشاره اخوه المسلم فلم يمحضه النصيحة سلبه الله لبه عنه ، واعلم اني سأشير عليك برأيي ان انت عملت به تخلصت مما انت تخافه واعلم ان خلاصك ونجاتك في حقن الدماء وكف الاذى عن اولياء الله والرفق بالرعية والتأني وحسن المعاشرة مع لين في غير ضعف وشدة في غير عنف ومداراة صاحبك ومن يرد عليك من رسله وارفق برعيتك بأن توقفهم على ما وافق الحق والعدل إن شاء الله تعالى واياك والسعاة واهل النمايم فلا يلزقن بك احد منهم ولا يراك الله يوماً وليلة وانت تقبل منهم صرفاً ولا عدلا فيسخط الله عليك ويهتك سترك .

واما من تأنس به وتستريح إليه وتلجىء امورك إليه فذلك الرجل الممتحن المستبصر الامين الموافق لك على دينك وميِّز أعوانك وجرب الفريقين فان رأيت هنالك رشداً فشأنك واياه ، وإياك ان تعطي درهما أو تخلع ثوبا أو تحمل على دابة في غير ذات الله لشاعر أو مضحك أو ممزح الا اعطيت مثله في ذات الله وليكن جوائزك وخلعك للقواد والرسل والاحفاد ، واصحاب الرسائل واصحاب الشرط والاخماس وما أردت أن تصرف في وجوه البر والنجاح والصدقة والفطرة والحج والشرب ، والكسوة التي تصلي فيها وتصل بها ، والهدية التي تهديها الى الله ورسوله عن اطيب كسبك .

واجهد يا عبدالله ان لا تكنز ذهباً ولا فضة فتكون من اهل هذه الآية ﴿ الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ﴾ ولا تستصغرن من حلو أو فضل طعام تصرفه في بطونه خالية تسكن بها غضب الله رب العالمين ، واعلم أني سمعت أبي يحدث عن آبائه عن امير المؤمنين انه سمع رسول الله (ص) قال يوماً لأصحابه : «ما آمن بالله واليوم الآخر من بات شبعانا وجاره جائع» فقلنا : هلكنا يا رسول الله ، فقال من فضل طعامكم ومن فضل تمركم ورزقكم وخلقكم وخرقكم تطفئون بها غضب الرب تعالى ، وسأنبئك بهوان الدنيا وهوان شرفها على من مضى من السلف والتابعين فقد حدثني ابي محمد بن علي بن الحسين قال : لما تجهز الحسين الى الكوفة اتاه ابن عباس فناشده الله والرحم ان يكون هو المقتول (بالطف) فقال انا عارف بمصرعي وما وكدي من الدنيا الا فراقها ثم بيّن له الامام (ع) زهد آبائه واعراضهم عن زخارفها ومباهجها ، واضاف بعد هذا يقول :

يا عبدالله إياك أن تخيف مؤمناً فان أبي حدثني عن أبيه عن جده علي بن أبي طالب (ع) انه كان يقول :

« من نظر الى مؤمن نظرة ليخيفه بها أخافه الله يوم لا ظل إلا ظله وحشره على صورة الذر لحمه ودمه ومن قضى لأخيه المؤمن حاجة قضى الله له حوائج كثيرة أحدها الجنة ومن كسى أخاه المؤمن جبة عن عرى كساه الله من سندس الجنة واستبرقها وحريرها ولم يزل يخوض في رضوان الله ما دام على المكسو منها سلك ، ومن اطعم أخاه من جوع اطعمه الله من طيبات الجنة ومن سقاه من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم ومن اخدم أخاه أخدمه الله من الولدان المخلدين وأسكنه مع اوليائه الطاهرين ومن حمل أخاه المؤمن على راحلته حمله الله على ناقة من نوق الجنة وباهى به الملائكة المقربين يوم القيامة ومن زوج أخاه امرأة يأنس بها ويشد عضده ويستريح اليها زوجه الله من الحور العين وآنسه بمن أحبه من الصديقين من أهل بيت نبيه (ص) واخوانه وآنسهم به ومن اعان أخاه المسلم على سلطان جائر اعانه الله على إجازة الصراط عند زلة الاقدام ومن زار أخاه المؤمن في منزله لا لحاجة منه اليه كتب من زوار الله وكان حقيقاً على الله ان يكرم زائره » .

يا عبدالله : وحدثني أبي عن آبائه عن علي (ع) انه سمع رسول الله (ص) يقول لاصحابه يوماً : معاشر الناس إنه ليس بمؤمن من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه فلا تتبعوا عثرات المؤمنين فإنه من تتبع عثرة مؤمن اتبع الله عثرته يوم القيامة وفضحه في جوف بيته .

وحدثني أبي عن آبائه عن علي (ع) قال : أخذ الله ميثاق المؤمن على ان يصدق في مقالته ولا ينتصف من عدوه وعلى ان لا يشفي غيظه إلا بفضيحة نفسه لأن كل مؤمن ملجم وذلك لغاية قصيرة وراحة طويلة أخذ الله ميثاق المؤمن على اشياء ايسرها مؤمن مثله يقول بمقالته يبغيه ويحسده وشيطان يغويه ويمقته وسلطان يقفو أثره ويتتبع عثراته وكافر بالذي هو مؤمن به يرى سفك دمه ديناً واباحة حريمه غنما فما بقاء المؤمن بعد هذا ؟

يا عبد الله وحدثني أبي عن آبائه عن علي (ع) عن النبي (ص) قال نزل جبرئيل : فقال : يا محمد إن الله يقرئك السلام ويقول اشتققت للمؤمن اسما من اسمائي سميته مؤمناً فالمؤمن مني وانا منه من استهان بمؤمن فقد استقبلني بالمحاربة .

يا عبدالله وحدثني أبي عن آبائه عن علي عن النبي (ص) انه قال يوماً : لا تناظر رجلا حتى تنظر في سريرته فان كانت سريرته حسنة فان الله عز وجل لم يكن ليخذل وليه وان كانت سريرته ردية فقد يكفيه مساويه فلو جهدت ان تعمل به أكثر ما عمل به من معاصي الله عز وجل ما قدرت عليه .

يا عبدالله . وحدثني أبي عن آبائه عن علي عن النبي (ص) انه قال : أدنى الكفر ان يسمع الرجل من أخيه الكلمة فيحفظها عليه يريد ان يفضحه بها اولئك لا خلاق لهم .

يا عبدالله . وحدثني أبي عن آبائه عن علي (ع) انه قال : من قال في مؤمن ما رأت عيناه . وسمعت اذناه ما يشينه ويهدم مروته فهو من الذين قال الله عز وجل : « ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم » .

« يـا عبدالله . وحـدثني أبي عن آبائـه عن عـلي (ع) انـه قـال : من روى عن أخيه المؤمن رواية يريد بها هدم مروءته وشينـه . اوثقه الله بخـطيئته يـوم القيامـة حتى يأتي بالمخرج مما قـال ولن يأتي بـالمخرج منـه ابدا ومن ادخـل على أخيـه المؤمن سروراً فقـد ادخل عـلى أهل بيت نبيـه سروراً . ومن ادخـل على أهـل بيت نبيه سـروراً فقد ادخـل على رسـول الله سروراً ومن ادخـل عـلى رسـول الله سـروراً فقـد سر الله ومن سر الله فحقيق على الله ان يدخله جنته .

ثم إني اوصيـك بتقوى الله وايثـار طـاعتـه والاعتصـام بحبله فـانـه من اعتصم بحبـل الله فقد هـدي الى صراط مستقيم فـاتق الله ولا تؤثر أحـداً عـلى رضـاه وهـواه فانه وصية الله عز وجل الى خلقه لا يقبـل منهم غيرهـا . ولا يعظم سـواها واعلم ان الخلق لم يوكلوا بشيء أعظم من تقـوى الله فانـه وصيتنا أهـل البيت فان استـطعت ان لا تنال من الدنيا شيئاً يسأل الله عنه غداً فافعل » .

الى هنا تنتهي رسالـة الامام الى النجـاشي ولما وصلت اليـه قال : « صـدق والله الذي لا إله إلا هو مولاي فما عمل أحد بما في هذا الكتاب إلا نجا »(١) .

وتضمنت هـذه الرسـالة دسـتـور الحكم الإسلامي ومكـارم الاخـلاق التي تحقق التكافل الإجتماعي بين المسلمين وتوحد بين قلوبهم ومشـاعرهم وتجعلهم صفـاً واحداً لا يمكن أن يتضعضع أو ينفذ اليه نافذ وعلينا أن نشـير الى الواجبـات التي ألقاهـا على الحكام ليقوموا بها في دور حكمهم وهي :

١ ـ حقن الدماء ، فلا يجوز إراقتها فإن الإسلام قد اهتم اهتمـاماً بـالغاً بـدماء الناس ، وجعل إراقتها من أعظم المفاسد والكبائر في الأرض .

٢ ـ كف الأذى عن الناس وعدم التعرض لهم باي مكروه أو ارهاق .

٣ ـ الـرفق بالـرعيـة وان لا يكـون الحـاكم فـظاً غليظ القلب شـرس الاخـلاق والطباع فإن ذلك يوجب بعد المواطنين وعدم عرض مهامهم عليه .

---

(١) المكاسب للشيخ الانصاري .

٤ ـ التأني بالامور والتروي في شؤون الرعية ، فإن التهور يوجب الوقوع في الخطأ ويعرض البلاد للهلاك والازمات .

٥ ـ حسن معاشرة الرعية مع لين في غير ضعف ، وشدة في غير عنف وهذا هو منطق الاستقامة والعدل .

٦ ـ إيقاف الرعية على طرق الحق ، وارشادها الى محاسن الأعمال .

٧ ـ التجنب عن سعاة السوء ، وعدم الاختلاط بهم ، فإنهم لا يألون جهداً في الوصول الى السلطة بالطرق الملتوية وأهم ما عندهم التجسس على الناس وادخال الضرر عليهم .

٨ ـ الاتصال باهل الدين وذوي الإيمان والمروءة فإنهم دعاة الخير والمعروف .

٩ ـ عدم السماح باعطاء أموال الدولة الى الممزحين والمضحكين فإن ذلك يوجب شيوع البطالة بين الناس .

١٠ ـ ان يصرف من أمواله الخاصة على أعمال البر والخير التي يعود نفعها اليه كالحج والصدقة ، فلا يجوز ان ينفق على ذلك من أموال المسلمين .

١١ ـ التجنب من كنز الأموال وادخارها لأنه يوجب تعطيل الايدي العاملة ونشر الفقر في البلاد .

وساق الامام (ع) بعد هذه المواد التي يتركز عليها نظام الحكم في الاسلام الآداب الخلاقة التي تحفظ وحدة المسلمين وتجمعهم على صعيد المحبة والالفة والتوادد وهي :

١ ـ ان لا يخيف مؤمناً ويذعره حتى بالنظر اليه بنظرة الغضب والانتقام .

٢ ـ اغاثة الملهوفين وتفريج كربهم ، ودفع الغائلة عنهم ، وأدخال السرور على المسلمين بالاحسان اليهم .

٣ ـ السعي لقضاء حوائج المسلمين .

٤ ـ اطعام الجائعين ، ومنح الثياب للعراة ، وبذل المال للمحتاجين في سبيل الله .

٥ ـ الحث على التزاور والتآلف والتوادد بين المسلمين .

٦ ـ عدم تتبع عثرات الخاطئين وفضحهم أمام المجتمع فإن ذلك يوجب انتشار الحقد والكراهية في النفوس ، وشل التعاون بين الناس .

هذا نموذج يسير من الآداب الرفيعة التي احتوت عليها رسالة الإمام (ع) ولو سار المسلمون على ضوئها لكانوا قادة الامم وهداة الشعوب .

لقد اتضح من البحوث التي مرت ان الإسلام مبدأ ونظام ، وعقيدة ودولة وان سياسته البناءة لو طبقت على مسرح الحياة لأنقذت الامم والشعوب من الظلم والجور ، ولسيطر السلام والامن على جميع انحاء العالم وما بقي ظل للاستعباد ولا أثر للاستبداد في الحكم .

وقبل أن ننهي المطاف عن السياسة الإسلامية نقدم الى القراء بعض البحوث التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بها وهي :

١ ـ ارتباط الدين بالدولة :

ان المبادىء الأصيلة التي أعلنها الرسول (ص) لا بد لها من دولة تتبناها وتعمل على حمايتها من عسف الطغاة المتجبرين الذين ينطلقون وراء منافعهم ووراء اطماعهم .

ان المثل الكريمة التي رفع شعارها الإسلام تتصادم ـ بوضوح ـ مع أطماع النفعيين واتجاهات المخربين والإنتهازيين فإنها تنشد حماية الضعيف من القوي وبسط مفاهيم العدل على الناس والقضاء على الغبن الإجتماعي ، ومن الطبيعي أن القوى المعادية لها تعمل على شل فعالياتها وتجميد طاقاتها واقصائها عن واقع الحياة .

ان اقامة الدولة على ضوء نظام الإسلام انما هو شأن من شؤون الحياة

الإسلامية العامة وضرورة لا يمكن الاستغناء عنها باي حال من الأحوال يقول بعض الكتاب المعاصرين :

« أما الإسلام فالدولة هدف من أهم أهدافه ، وركن من أقوى الأركان التي يعتمد عليها وضرورة تقتضيها طبيعته ، إنه لا يخفى قبل كل شيء ان الإسلام ثورة فكرية وهي تهدف الى انقاذ الإنسان من غوائل الفتن وجرائر المحن وتخليص البشرية من مخالب العناء والشقاء ولا يخفى انه كان على الإسلام ان يغزو بعقائده الجديدة العالم كله لأن رسالته ستظل الى ان يرث الله الأرض ومن عليها ومن ثم كانت رسالة الإسلام في حاجة الى قوة تحمي العقيدة من نزوات الجهل والحمق والاستبداد . ولن يكون أثر للقوة مهما بلغت إذا لم تشرف وتهيمن عليها دولة ذات منهاج وانظمة وذات سيادة موحدة واتجاهات متحدة[1] .

ان اقامة الدولة حكم من احكام الإسلام وشأن من شؤونه ووسيلة لحماية أهدافه الضخمة التي اعلنها الإسلام فإنه لا يمكن تنفيذ الكثير منها إلا بالقوة الحاكمة فانا نرى كثيراً من الموبقات والمنكرات منتشرة في البلاد الإسلامية كالربا وبيع الخمور والمسكرات . والتبرج والاستهتار الفاحش فلو كانت هناك دولة تتبنى الإسلام لما رأينا امثال هذه الصور في البلاد .

ان نكبة المسلمين وتأخرهم في مضمار هذه الحياة له اسبابه وعوامله ومن أهمها اهمال الدول القائمة في بلادهم امور الدين وعدم اعتنائها بقضاياه واهدافه ولو انها تبنت الإسلام وطبقته على شعوبها لثبتت قواعدها واستقامت امورها وما بليت بالزعازع وما منيت بالاضطرابات والفتن والكوارث يقول بعض الكتاب :

« ان سنن الإسلام السياسية لتعقد على دعائم متينة محكمة جداً ولو حفظت هذه السنن وسيست بها الحكومة الإسلامية ما أصاب دول الإسلام ما اصابها .

لا ريب ان من علل ضعف المسلمين اهمال هذا النظام وتركه فإن اراد المسلمون ان ينالوا مجدهم في المستقبل فليرجعوا الى قواعد حكومتهم الاولى ولا

---

(١) الاسلام وجهاً لوجه ص ٣٧ .

يحسبوا ان ذلك رجوع الى الوراء فهو تقدم وكمال .

« لقد أخذ المسلمون نظاماً سياسياً من الحكومات المستبدة الاجنبية المخالفة لهم كل المخالفة فاشرفوا بدولتهم على الزوال »[1] .

إن اعادة الحياة الإسلامية الجافلة بالشرف والمجد وان تقدم المسلمين وسيادتهم لا يمكن حصوله إلا بتطبيق اهداف الإسلام وتعاليمه على حياتهم وتبني حكوماتهم لصيانة كرامة الدين والتزامها بشؤونه واحكامه .

٢ ـ فصل الدين عن الدولة :

ان الإسلام لما غزى بمبادئه الرفيعة جميع انحاء المعمورة وكانت كلمته العليا في جميع المجالات حقدت عليه القوى الكافرة فشنت عليه الحروب الصليبية . وأخذت تعمل متضامنة على غزو البلاد الإسلامية وتقطيع أوصالها والاجهاز على كيانها الفكري وقد ساعدها على الغزو والاحتلال ضعف المسلمين وانحراف ساستهم عن طاقات الإسلام وعدم وعيهم لاهدافه فتمكن المستعمرون على احتلال البلاد الإسلامية وتمزيقها الى دويلات خاضعة لإرادة المستعمر ومنفذة لمخططاته وخاضعة لإرادته .

ان المستعمرين حينما استولوا على البلاد الإسلامية وتصرفوا في شؤونها وامورها زجوا بعملائهم وعبيدهم في الميادين العلمية والثقافية فاخذ هؤلاء العبيد ينالون من كرامة الدين ويتهمونه بشتى التهم والظنون وقالوا فيه انه كالمسيحية لا علاقة له بنظم الحياة وواقعها فللمسلمين ان يختاروا نوع الحكم الذي يريدونه لأن دينهم بعيد كل البعد عن شؤون الحكم وقد اعلن ذلك أحد قضاة مصر قبل حفنة من السنين في كتاب اسماه « الإسلام واصول الحكم » وقد زعم فيه ان اصول الحكم ليست من الإسلام في قليل ولا في كثير وللمسلمين ان يختاروا نوع الحكم الذي يرضي أذواقهم ويتفق مع ميولهم فان أرادوا كانوا ملكيين وان أرادوا أن يكونوا جمهوريين أو

---

(١) اتحاد المسلمين ص ٥١ ـ ٥٢ .

فاشيين أو شيوعيين كل ذلك متروك لاجتهادهم . والدين لا يلزمهم بشيء ولا يحاسبهم منه على شيء فان اصول الحكم كانت عند محمد (ص) أهون من جناح بعوضة هذا بعض ما ذكره المؤلف من المفتريات في كتابه وقد ترجم الكتاب الى اللغة الانجليزية . ويعد من المراجع المهمة لعلم الإجتماع الإسلامي في دراسات الجامعات الأمريكية . لا لأنه يعرض فكرة جديدة على الغرب في الدراسات الإسلامية بل لأنه صدر من عالم أزهري مسلم[1] وفيه طعن على الإسلام وتشويه لجماله أمام الطلاب الغربيين الذين يدرسون الإسلام والشعوب الإسلامية .

والف قاض آخر في لبنان كتابين باللغة الفرنسية ذكر فيهما قصة القضاء في الإسلام وإنه لم يعرف في عهد الرسول (ص) ولا في عهد الخلفاء وإنما هو شيء اوجده الامويون في الشام أما قبل ذلك فإن العرب كانت في خلافاتها ترجع الى طريقة التحكيم[2] .

إن هذه الإتهامات كانت بايعاز من المستعمرين أنفسهم فإنهم لا يرون طاقة ضخمة تقف في وجوههم سوى الإسلام فلذا بذلوا جميع امكانياتهم لمحاربته وتشويه حقائقه ، وابعاده عن المسلمين ليخلو لهم الجو في استغلال ثروات البلاد واستغلال امكانياتها واستعباد المسلمين بتجريدهم عن الرصيد الكبير الذي يمدهم بالعزة والقوة .

أما ما ذكره القاضي المصري في ان المسلمين لهم الخيار في اختيار الحكم الذي يتفق مع ميولهم سواء أكان ذلك الحكم شيوعياً أو فاشياً فانه صريح في الدعوة إلى الالحاد والمروق من الدين لأن هذه المبادىء المادية لا تؤمن بالله ولا بمعاني الخير وقد ركزت مبادئها على جحود الله وعدم الإيمان بوجوده فاول ما يفترق به المسلمون عن هذه المبادىء الشاذة هي اعتراف المسلمين بالله وانكار هذه المبادىء له بالاضافة إلى ان كافة التشريعات الموجودة في هذه المذاهب تتنافى مع احكام

---

(١) الفكر الاسلامي الحديث ص ٢٣٨ .
(٢) عبقرية الاسلام في اصول الحكم .

الدين وصريح القرآن والله تعالى يقول في كتابه « ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون » .

لقد رأينا الشيوعية ايام قاسم العراق ، تنادي بالاباحية وتنادي بنبذ الأديان وتنادي بهدم ما بناه الدين من القيم والاخلاق فكيف يسوغ للمسلمين أن يعتنقوا الشيوعية والله يقول في كتابه « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » .

وأما ما ذكره القاضي اللبناني من أن القضاء لم يعرف في عهد الرسول صلى الله عليه واله وسلم ولا في عهد خلفائه فان تاريخ الإسلام يفضح هذه الادعاءات فقد تشكل القضاء في عهد الرسول (ص) وكان بنفسه هو الذي يتولى حل الخصومة ويحكم بين الناس على ضوء القرآن وأحكام الإسلام وكذلك الحال في عهد خلفائه وقد نصبوا القضاء للمسلمين في جميع انحاء البلاد الإسلامية .

إن الإسلام منذ بزوغ نوره وتأسيس دولته عني بالقضاء عناية بالغة فوضع أُسسه وأشاد صروحه وبين أحكامه وليس للامويين ولا لغيرهم فيه أي ضلع وكتب القضاء الإسلامي شاهدة على ذلك وحافلة بالاخبار الكثيرة والنصوص المتواترة على قدم القضاء في الإسلام .

إن الاستعمار قد حمل معول الهدم على جميع القيم الدينية وبذل المزيد من الجهود على فصل الدين عن الدول الإسلامية وتجريدها من جميع المحتويات الدينية ، وصرفها عن التفكير في قضاياه ليتسنى له البقاء والسيطرة على البلاد الإسلامية وانا على ثقة ان هذه المحاولات لا بد ان تفشل وتذهب ادراج الرياح وان الفكرة الإسلامية باصالتها وسلامة مقاصدها لا بد ان تتبلور في المحيط العالمي وتكون ملجأ للشعوب والامم التي ترزح تحت كابوس الفتن والشقاء من جراء هذه المبادىء المادية التي ليس فيها أي وعي سليم .

٣ ـ الاسلام والمسيحية :

واشاع المستعمرون واذنابهم ان الاسلام كالمسيحية يدعو الى الترهب والزهد وتقتصر رسالته على الانظمة الروحية ولا تتعدى ذلك فليس فيه أي تنظيمات ادارية أو مالية أو عسكرية وليس فيه ما يعود الى تنظيم الدولة وضرورة اقامتها وتكوينها على أساس خاص واسلوب معين ان هذه الاقاويل لا يعضدها أي دليل أو برهان فقد انكرت أبسط الضروريات لان تشريعات الإسلام صريحة واضحة قد حفلت بالتشريع المدني والجنائي وحقوق الفرد والجماعة وبينت اصول الحكم وتنظيماته وليس هو كالمسيحية فإنها كما ذكروا بعيدة كل البعد عن شؤون الحياة ونظم الدولة فقد دعت الى الترهب والتبتل فقد جاء في الاصحاح السادس « انكم لا تقدرون ان تخدموا الله والمال لذلك اقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسامكم بما تلبسون » وحثت على الرهبانية والتبتل فقد جاء في انجيل متى (ع) « يوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات من استطاع أن يقبل فليقبل » .

وجاء فيها ما يدعو الى التجرد عن جميع متع الحياة فقد جاء في الاصحاح العاشر « لا تقتنوا ذهباً ولا فضة ونحاساً في مناطقكم ولا مزوداً للطريق ولا ثوبين ولا احذية ولا عصا » وقد استجاب المسيحيون الاولون الى هذه الدعوات واعرضوا عن شواغل الكون وصدوا عن سبيل النظر فيه اظهاراً للغنى بالإيمان والعبادة عن كل شيء .

ان المسيحية بالشكل الذي أبرزه القساوسة والرهبان كانت حجر عثرة في طريق التقدم الإنساني وكانت مصدراً للقضاء على كل نزعة حرة تجديدية فقد كان من ضحايا أباطيلهم العالم الفلكي (جاليلو) الذي حكمت عليه محكمة التفتيش بحرق جثته وهو حي لما نادى بدوران الأرض حول الشمس وكان الحكم الصادر عليه باسم الديانة المسيحية .

والتزمت بالخضوع للظلم وبالصبر على الجور والاستبداد فقد قال أحد مطارنة

« رانسي » أيام القرون الوسطى .

« أيها التبع الزموا ـ كما قال الرسول ـ الخضوع في كل حين لاسيادكم ولا تنتحلوا الاعذار من قسوتهم أو بخلهم ، الزموا الخضوع ـ كما قال الرسول ـ لا للخيرين ولا للمعتدين من الأسياد فحسب بل لاولئك الذين ليسوا كذلك إن الكنيسة لتصب اللعنة على اولئك الذين يدفعون التبع الى عدم الطاعة واصطناع وسائل التحايل وهي تصبها من باب اولى على اولئك الذين يعلمونهم المقاومة السافرة ان الله نفسه قد أراد ان يكون بين البشر سادة وتبع حين يلزم الاسياد بتبجيل الاله وحبهم له وذلك وفقاً لما قاله الرسول عندما صاح « ايها التبع اطيعوا أسيادكم الزمنيين في خوف ورعب »[1] .

ان هذه النظم التي اعلنتها الديانة المسيحية بشكلها المنحرف لا يقرها الإسلام بحال بل يشجب جميع صورها فهو لا يسمح بالترهب والتبتل والانصراف عن الدنيا فقد ذم المبتدعين لذلك قال تعالى : ﴿ **ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها** ﴾[2] .

انهم ابتدعوا ذلك وادخلوا في دينهم من الفضول والزوائد ما ليس فيه وقد أنكر القرآن الكريم أشد الإنكار على الذين حرموا على انفسهم الطيبات من الرزق قال تعالى : ﴿ **قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة** ﴾[3] .

الإسلام نهى عن الترهب ومنع منه ولم يسمح به فقد ورد ان ثلاثة اشخاص جاءوا الى بيوت أزواج النبي (ص) يسألون عن عبادته فلما اخبروا بها قالوا : واين نحن من النبي (ص) وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فانبرى أحدهم فقال لصاحبيه ·

---

(١) يوم الاسلام ص ١٨٠ .

(٢) سورة الحديد : آية ٢٧ .

(٣) سورة الاعراف : آية ٣١ .

« أنا اصلي الليل أبداً »

وانطلق الثاني يقول :

« وأنا اصوم الدهر أبداً »

فقال الثالث :

« وانا اعتزل النساء فلا اتزوج أبداً »

فبلغ النبي (ص) ذلك فقام مغيظ الى المسجد فاعتلى اعواد المنبر واخذ يبين للمسلمين بعد هؤلاء عن الصواب وعدم التقاء خطتهم بواقع الإسلام فقال (ص) :

« ما بال أقوام قالوا كذا وكذا أما والله إني لاخشاكم لله واتقاكم لكني أصوم وأفطر واصلي وأرقد وأتزوج النساء وتلك سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني »[1]

هذا هو رأي الإسلام وهو صريح واضح يقضي بالمنع من التجرد عن الدنيا ورفض ملاذها وزينتها لقد ورد أن الإمام الصادق عليه السلام سأل عن رجل فقيل له اصابته الحاجة فقال (ع) :

ـ فما يصنع اليوم ؟

ـ يعبد ربه عز وجل

ـ فمن أين قوته ؟

من عند بعض اخوانه

والله الذي يقوته اشد عبادة منه[2]

ان الإسلام بنى حضارته الخالدة على التوازن في العمل للدنيا والآخرة فلا

---

(١) العمل وحقوق العامل في الاسلام ص ١١٣ .

(٢) نفس المصدر .

يصح للمسلم ان يترك دنياه لآخرته ولا آخرتـه لدنيـاه وهو بـذلك لا التقـاء له بـواقع المسيحية ولا بنظمها .

وأمـا محاربـة المسيحية للعلم ومنـاهضتها لـرجال الفكـر والـوعي فـان الإسـلام يشجب ذلك ويرى عدم مشروعيته لقد رفع الإسلام شأن العلم وجعل طلبـه فريضـة على كل مسلم ومسلمة ، ونطق القـرآن الكريم في بيـان خطره وفي تبجيـل حملته قـال تعالى :﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات** ﴾[1]

ويقـول تعالى : ﴿ **هـل يستوي الـذين يعلمون والـذين لا يعلمـون** ﴾[2] ويقـول النبي (ص) « العلم رأس الخير كله والجهل رأس الشر كله »

لقـد اعتنى الإسلام بـالعلم عنايـة بالغـة وركز اهتمـامه الشـديد عـلى الاشـادة بحملتـه لاجل تقـدم المجتمع الإسـلامي وازدهاره فـانـه لا يمكن ان يحقق أي هـدف من أهـدافه الا اذا سـادت فيه العلوم والمعـارف وانتشر الوعي بـين افراده وانـدحـرت فيه قوى الجهل وسنتعرض في غضون هذا الكتاب الى مدى اهتمـام الإسلام بـالعلم وحرصه البالغ على تسلح الامة بالثقافة والعلم والعرفان .

وأما مهادنـة المسيحية للظلم واقـرارها للخضـوع والخنوع وامـرها بـالصبر عـلى الاعتـداء والعدوان فـان الإسلام لا يقـر ذلك بـوجه من الـوجوه فقـد الـزم بمقـاومـة الباغي والمعتدي يقول الله تعالى :﴿ **ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثـل ما اعتـدى عليكم** ﴾ وقد ذكرنـا في البحوث السـابقة مـدى مناهضـة الإسلام للظلم ومحـاربته لـه بجميع اشكاله والوانه .

ان الأثـافي التي تعتمـد عليهـا الـديـانـة المسيحيـة والتي لا نشك في ان القسم الكثير منها من وضـع القساوسـة المرتـزقين قـد اوجبت فشل المسيحيـة لأنها تطلب من البشر فـوق ما يـطيقـون احتمـالـه فقـد دعتهم الى التجـرد من الـدنيـا ونكـران المتع والـرغائب والـرضوخ للظلم وهي دعـوات قاسيـة لا تحتملها الحيـاة ولا تستقيم عليها

---

(١) سورة المجادلة : آية ١١ .

(٢) سورة الزمر : آية ٩ .

طبائع الناس وقد قيل في المسيحية إنها عقبة في سبيل نمو قواعد القانون الدولي العام[1]

وعلى أي حال فإن الإسلام لا يقر أغلب النظم المسيحية فإذا نادى المسيحيون بانفصال دينهم عن الدولة أو باستيراد المبادىء لهم فهو حق لأن دينهم لم يتعرض لشأن من شؤون الحكم ولم يبين أي قاعدة من قواعد الدولة والسياسة أما الإسلام فإنه قد وضع جميع المناهج الحية ووفر للمسلمين جميع ما يحتاجونه من النظم والمواد ومن ثم كان استيراد المبادىء وجلب الأنظمة مصادماً لدينهم ومنافياً له يقول الاستاذ عبد المجيد اللبان :

« وبهذا يمتاز الإسلام عن بقية الأديان فإن المسيحية ليس فيها قانون ينظم الدولة ، وليس فيها شريعة مدنية أو جنائية تنظم حياة الفرد فلا حرج إذاً على أي مجتمع مسيحي أن يضع لنفسه من النظم ما يشاء ، ويعيش في ظلالها وادع النفس مرتاح الضمير ، أما الإسلام فشأنه غير شأن المسيحية ففيه نظام للدولة ، وفيه قوانين مدنية وجنائية وهو يطالب معتنقيه بشدة وصراحة ألا يهملوا تشريعاته ويستبدلونها ومن ثم كان اقتباس النظم والشرائع الغربية المخالفة للاسلام يصطدم في نفس المسلم بإيمانه الديني . . »[2]

إن المسيحية ليس فيها أي تنظيم أو إصلاح لشأن من شؤون الحياة فلا ينافيها انفصال الدين عن الدولة أما الإسلام فإنه قد عالج جميع مشاكل الحياة ووصف لها الحلول الحاسمة ولم تقتصر تعاليمه على جانب من جوانب الحياة بل شملت وامتدت الى جميع ألوانها وصورها فالدعوة الى العلمانية والى انفصال الدين عن الدولة يتصادم مع الإسلام تصادماً صريحاً واضحاً يقول الاستاذ اللبان : « الإسلام لا يعترف بمبدأ الانفصال بين الدين والدولة بل يبسط رواقه على الحياة الدينية والدنيوية معاً فهو يقدم لمعتنقيه العقائد والعبادات والأخلاق كما يقدم لهم مختلف الشرائع والقوانين ومهمة الدولة في الإسلام ليست التشريع ولكن تطبيق القوانين

---

(١) القانون الدولي العام ص ٥٦ .

(٢) الفلسفة والمجتمع الإسلامي ص ١٨٥ .

الشرعية ، وليس للدولة ميدان خاص مستقل عن الدين تتمتع فيه بحق وضع القوانين كما هو الحال في المسيحية ، وقد عاش المسلمون قروناً طويلة على هذا النحو . »[1]

إن الدعوة للعلمانية التي رددها الخارجون عن الإسلام كالشيوعيين إنما يقصد منها القضاء على الإسلام وإقصائه عن الحياة ، وخلق قاعدة سياسية في بلاد المسلمين تتولى وضع المناهج لحياتهم الفكرية والاقتصادية .

إن المؤسف والمحزن أن تنطلق في بلاد المسلمين أمثال هذه الأقاويل المنكرة التي يرددها المارقون والتي كانت بوحي من الأجنبي وبإيعاز من المستعمر وليس المقصود منها إلا قلع جذور الإسلام ومحو سطوره وآثاره من البلاد ، فحري بالمسلمين أن يهبوا لحماية دينهم الذي عاشوا تحت ظلاله قروناً طويلة ، وقد رفع لهم في تلك العصور لواءً خفاقاً ومناراً شاهقاً ، وبنى لهم مجداً لا يضارعه مجد ، وسن لهم أسمى الأنظمة والقوانين . ويقول محمد علي جناح في بيان الاهداف الأصيلة التي أعلنها القرآن ، في رسالته التي بعثها الى الزعيم الهندوكي غاندي :

« القرآن نظام جامع لحياة المسلمين وفيه أحكام لجميع مستلزمات حياتهم الدينية والاجتماعية والاهلية والجنائية والعسكرية والاقتصادية ، وهو مجموعة للاحكام المقنعة الكافية لكل فعل وقول وحركة للانسان من المناسك الدينية الى شؤون الحياة اليومية ومن حقوق الجماعة الى حقوق الافراد وواجباتهم ومن قانون المكافأة في الدنيا الى قانون المجازاة والمحاسبة على الأعمال في اليوم الآخر ومن ثم فإذا انا صدقت بأن المسلمين امة مستقلة وفق جميع الأقدار والقيم التي يعتدبها في الحياة الدنيا وما بعدها . . »

ان الإسلام قد احاط بكل منهج من مناهج الحياة وحفل بجميع مقومات النهوض والارتقاء للمجتمع الإنساني فحري بالمسلمين ان ينهجوا نهجه ويترسموا خطاه ويسيروا على ضوء أحكامه يقول الاستاذ « فمبري » مخاطباً احد ادباء الأتراك .

---

(١) الفلسفة والمجتمع الإسلامي .

« ان فقهكم الإسلامي واسع جداً الى درجة اني اقضي العجب كلما فكرت في انكم لم تستنبطوا منه الأنظمة والاحكام الموافقة لزمانكم وبلادكم ! ! »

ان الفقه الإسلامي باصالته وسماحته قد شمل جميع ما يحتاج اليه المسلمون من الأنظمة والقوانين فقد شرع لهم النظام التجاري والنظام المالي ، والأنظمة الادارية ، وبين جميع ما يتصل بالفرد والدولة من الحقوق والواجبات كما اوضح الحقائق الاساسية التي تقوم عليها الحياة العامة ولكن من المؤسف ان جملة من الحكومات القائمة في البلاد الإسلامية قد أهملته في جميع المجالات ولم تطبق منه قليلاً ولا كثيراً على واقع شعوبها واخذت تستورد الأنظمة التي لم تبتن على اسس سليمة ولا تتفق بأي حال مع اتجاهات المجتمع الإسلامي ولا تنسجم مع ميوله واهدافه .

ان الجماهير الإسلامية تطالب بالحاح من حكومتها المتحررة أن تحل الأنظمة الإسلامية محل الأنظمة الجائرة التي حملها المستعمرون الى بلادهم وان تقضي على جميع المبادىء والاسس التي لوثت بها القوى الكافرة بلادهم .

إن التخلص من الاستعمار لا يكون بجلاء قواته وسلب نفوذه من البلاد فحسب وإنما يكون بالتخلص من احتلاله العسكري والفكري والثقافي والاقتصادي فهو إنما غزى المسلمين من جميع هذه النواحي فيجب استئصالها من البلاد .

انا على ثقة ان الحكومات الماثلة في بلاد المسلمين إذا التزمت جانب الإسلام وعملت لصالحه لا بد ان تسود كلمتها وتظفر بالنصر والعز والكرامة « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ان وعد الله حق وان الله لا يُخلف الميعاد .

من خلال التاريخ

١ ـ مولد الدولة الاسلامية
٢ ـ الدستور الاول لحكومتها
٣ ـ الولاة والعمال
٤ ـ ارسال السفراء
٥ ـ اعلان حقوق الانسان

من خلال التاريخ الإسلامي الذي غير مجرى تاريخ الحياة وطوّر مفاهيمها وألوانها وخلق وعياً أصيلاً في ربوع العالم انطلقت فيه الإنسانية من عقال الجهل الى ميادين الحضارة والرقي والابداع وبناء كيانها الاجتماعي الأصيل .

من خلال هذا التاريخ الذي هو مصدر النور على الكون نقتبس اضواءاً من دعوة الرسول الأعظم (ص) تدلنا ان الإسلام دين ودولة ، ومبدأ ونظام وإلى القراء ذلك .

١ ـ مولد الدولة الاسلامية

أطل الإسلام على عالم مريض متفسخ تسوده الفوضى والقلق والاضطراب ، ويتحكم فيه الجهل والاستبداد والطغيان .

ان جميع شعوب الأرض كانت تعاني أمرَّ الوان الاسفاف والسقوط والتردي قد انحدرت الى مستوى سحيق ليس فيه بصيص من النور والكرامة وليس فيه أي وسيلة من وسائل النهوض والارتقاء وعلينا قبل العرض لمولد الدولة الإسلامية أن نشير الى بعض الشعوب المعذبة التي انعدمت فيها جميع الروابط الإنسانية والقيم الأخلاقية الأصيلة قبل بزوغ نور الإسلام فيها وهي .

١ ـ سوريا

كانت سوريا قبل فجر الدعوة الإسلامية تتسكع في الظلام وتتخبط في الجهالة والشقاء يقول (توماس أرنولد) المؤرخ الإنجليزي « كان أئمة اللاهوت في الشام وفي سائر بلاد المسيحية طبعاً قد استبدلوا بديانة السيد المسيح (ع) عقائد ميتافيزيقية عويصة وكان الناس في الواقع مشركين يعبدون زمرة من الشهداء

والقديسين والملائكة . كما كانت الطبقات العليا مخنثة يشيع فيها الفساد والطبقات الوسطى مرهقة بالضرائب ولم يكن للعبيد أمل في حاضرهم ولا في مستقبلهم فازال الإسلام ـ بعون من الله ـ هذه المجموعة من الفساد والخرافات .

لقد كان ثورة على المجادلة الجوفاء في العقيدة وحجة قوية ضد تمجيد الرهبانية باعتبارها رأس التقوى . . »[1]

ان الحياة العامة في البلاد السورية لم تكن قائمة على أُسس متينة فقد كان الناس فيها يعيشون بالاوهام والخرافات وتعاني الطبقة الوسطى الضرائب الشاقة التي فرضت عليها .

٢ ـ مصر

وكانت مصر قبل اشعاع الإسلام عليها من اشقى بلاد الله بسبب اكراهها على انتحال النصرانية وسيطرة الدولة الرومية عليها يقول الدكتور غوستاف لوبون :

ولقد اكرهت مصر على انتحال النصرانية ولكنها هبطت بذلك إلى حضيض الانحطاط الذي لم ينتشلها منه سوى الفتح العربي ، وكان البؤس والشقاء مما كانت تعانيه مصر التي كانت مسرحاً للاختلافات الدينية الكثيرة في ذلك الزمن ، وكان أهل مصر يقتتلون ويتلاعنون بفعل تلك الاختلافات ، وكانت مصر التي اكلتها الانقسامات الدينية وانهكها استبداد الحكام تحقد اشد الحقد على سادتها الروم وتنتظر ساعة تحريرها من براثن قياصرة القسطنطينية الظالمين »[2]

ان مصر كانت مغرقة بالاضطهاد والظلم قد استنزفت الدولة الرومية جميع امكانياتها يقول مؤلفو تاريخ العالم للمؤرخين .

---

(١) الدعوة الى الاسلام ص ٦٧ ـ ٦٨ ترجمة الدكتور حسن ابراهيم حسن .

(٢) حضارة العرب .

« ان مصر كانت تضيف الى مالية الدولة البيزنطية مجموعاً كبيراً من حاصلها ومنتجاتها وكانت طبقات الفلاحة المصرية ـ مع حرمانها من كل قوة سياسية ومن كل نفوذ ـ مرغمة على اداء الخراج للدولة الرومية ككراء الأرض فضلا عن الضرائب وكانت ثروة مصر في هذا العهد الى الانتقاص والانحطاط هكذا كانت مصر فانقذها الله بالاسلام كما انقذ بقية الشعوب والامم فرجعت لها حريتها وكرامتها واستقلالها .

٣ ـ الهند :

وكانت الهند كبقية الشعوب في تخلفها وانحطاطها وتدهور كيانها الخلقي والاجتماعي ، قد سادت فيها الوثنية والالحاد . يقول الاستاذ الندوي في حديثه عن الهند :

« وقد بلغت الوثنية أوجها في القرن السادس فقد كان عدد الآلهة في « ويد » ثلاثة وثلاثون، وقد أصبحت في هذا القرن ٣٣٠ مليون وقد أصبح كل شيء رائع وكل شيء جذاب وكل مرفق من مرافق الحياة إلهاً يعبد. وهكذا جاوزت الأصنام والتماثيل والآلهة والآلهات الحصر وأربت على العد فمنها أشخاص تاريخية وأبطال تمثل فيهم الله ـ زعموا ـ في عهود وحوادث معروفة ومنها جبال تجلى عليها بعض آلهتهم ومنها معادن كالذهب والفضة تجلى فيها إله ، ومنها نهر الكنج الذي خرج من رأس «مهاديو» الإله، ومنها آلات الحرب وآلات الكتابة وآلات التناسل وحيوانات البقرة والاجرام الفلكية وغير ذلك وأصبحت الديانة نسيجاً من خرافات وأساطير. وأناشيد وعقائد وعبادات ما أنزل الله بها من سلطان ولم يستسغها العقل السليم في زمن من الأزمان . »[١]

هكذا كانت الهند في وثنيتها وانحرافها وانعدام الوعي والتفكير من جميع طبقاتها حتى انبثق الإسلام فيها فصلحت امة من الناس ونبذت تلك الأوهام والخرافات .

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : ص ٤٧ .

٤ ـ الصين :

وكانت الصين تتخبط في دياجير الظلمة قد اقبر فيها الوعي وسادت فيها الوحشية والهمجية وعمت فيها الديانة البوذية وانتشرت فيها العادات السيئة حتى دخلها الإسلام فغير قسماً كبيراً من أوضاعها وعاداتها .

٥ ـ آسيا الوسطى :

وهكذا كانت آسيا الوسطى غارقة في الجهل والشقاء يقول الاستاذالندوي : « أما الامم الاخرى في آسيا الوسطى وفي الشرق كالمغول والترك واليابانيين فقد كانت بين بوذية فاسدة ووثنية همجية لا تملك ثروة علمية ولا نظاماً سياسياً راقياً . »[١]

إن أغلب شعوب الأرض قد فقدت جميع مقومات الحياة وانعدمت منها جميع وسائل الحضارة والرقي خصوصاً العالم العربي فقد عاش قبل الإسلام في فترة مظلمة وسحيقة للغاية ونشير الى بعض الأوضاع التي كانت سائدة فيه وهي :

١ ـ عبادة الأصنام

وعكف المجتمع الجاهلي على عبادة الأوثان فكان لكل قبيلة أو ناحية أو مدينة صنم خاص . قال الكلبي : كان لأهل كل دار من مكة صنم في دارهم يعبدونه فإذا أراد أحدهم السفر كان آخر ما يصنع في منزله أن يتمسح به وإذا قدم من سفره كان أول ما يصنع إذا دخل منزله أن يتمسح به أيضاً »[٢] .

وروى ابن هشام ان الرجل إذا نزل منزلاً أخذ أربعة أحجار فيجعل أحسنها

---

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٤٦ .
(٢) الاصنام ص ٣٣ .

في نظره ربا ويجعل الثلاثة الباقية اثافي لقدره[1] . وكان في جوف الكعبة المكرمة وفي فنائها ثلاث مائة وستون صنماً[2] . فأي سخرية بالعقل وضلالة في الفكر أكبر من هذا الصنيع الأمر الذي يدل على انعدام التفكير والوعي .

٢ ـ وأد البنات

وبلغت كراهة العرب الى البنات انهم كانوا يئدونها وهي حية ذكر الهيثم بن عدي ـ على ما نقله عنه الميداني ـ أن الوأد كان مستعملاً في قبائل العرب قاطبة فكان يستعمله واحد ويتركه عشرة ، وكانت مذاهب العرب مختلفة في الوأد فمنهم من كان يئد البنات من أجل الغيرة ولحوق العار به ومنهم من كان يئدها فيما إذا كانت زرقاء أو شيماء (سوداء) أو برشاء (برصاء) أو كسحاء (عرجاء) ومنهم من كان يقتل أولاده خشية الإنفاق وخوف الفقر وهم الطبقة الفقيرة[3] فجاء الإسلام فحطم هذه الأوضاع وأقصاها وقد نعى القرآن الكريم هذه الصفة المرذولة . قال تعالى : ﴿ **وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت** ﴾ . كما نهى عن قتل الأولاد من خشية الفقر قال تعالى : ﴿ **لا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم وإياكم** ﴾ .

لقد نسف الإسلام هذه الأوضاع الهزيلة وقضى عليها ولم يعد ببركته أي وجود لها في المجتمع العربي .

٣ ـ العصبية القبلية

وعرفت الامة العربية بالعصبية القبلية واشتهرت بهذه الصفة التي مبعثها الجهل وعدم النضوج الفكري ، ومن أقوالهم في ذلك « أُنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » فكانوا يتناصرون ظالمين أو مظلومين وقد أثارت هذه العصبية الحروب

---

(١) سيرة ابن هشام .

(٢) الجامع الصحيح للبخاري .

(٣) بلوغ الأرب في أحوال العرب للآلوسي .

الطاحنة التي أريق فيها سيل عارم من الدماء .

هذه بعض الأوضاع السائدة في العـالم العربي وهي تنم عن التفسخ والانحلال والضعـة والهوان وليست الشعـوب الاخـرى أرقى حيـاة وتفكيـراً من العـرب فجميـع الامم قد ساد عليها الجهل والشقاء والذل والانحطاط .

وقـد أراد الله تعالى أن يغـير مجرى تـأريـخ الحيـاة وأن ينقـذ الانسـان من محنتـه وشقائه فأرسل رسوله محمد (ص) بالهدى ودين الحق فانبـرى (ص) الى العالم وهـو يحمل بيده مشعل النور والهـداية الى تلك الشعـوب المضطهـدة في عيشها والسقيمة في أفكارها فأرشدها الى طريق الخير وقادها الى شاطىء الأمن والسلامة .

لقـد انطلق الإسـلام في دعوتـه الخالـدة كالمـارد الجبار وهـو يبني أُسسـاً للحيـاة الحرة الكريمة ويضع الخطوط العريضة لسلوك الانسان في حياته الدنيا .

لقـد حمل الاسـلام معول الهـدم على معـالم الجاهليـة الـرعنـاء فنسف أوهـامهـا وحطم أفكارها السحيقة والى ذلك البناء وهذا الهدم يشير الحديث الشريف .

« إن الله بنى في الإسلام بيوتاً كانت خربة في الجاهلية وهدم بيوتـاً كانت عـامرة في الجاهلية » .

إن الإسلام أشاد صروح العدالـة وبنى معالم الحيـاة الكريـمة التي يرفـرف عليها لـواء العلم والفضيلة ويسود فيهـا التعاون والايثـار ، لقد أقـام الإسلام ذلـك وشيـده بعدما لم يوجد له أي ظل في واقع الحياة .

وأمـا البيوت التي حـطمها الإسـلام فهي : بيـوت الـظلم والاستغـلال وبيـوت الاستبـداد والتحكم الفردي تلك البيـوت التي كـانت عـامـرة في الجـاهليـة فـأبـادهـا الإسلام ولم يبق لها أي أثر أو وجود .

ولما أعلن الرسول الكريم دعوته نفر منها العتاة والطغـاة المستغلون الذين كـانوا يعيشـون عـلى مـوائـد النهب والسلب لأنها تتنـافى مـع مصـالحهم ، وتتصـادم مـع أطماعهم فاتهموا النبي (ص) بالشعـوذة تارة وبـالسفه والجنـون تارة اخـرى ولما رأوا

هـذه الاتهامـات لا تجدي شيئاً ، ولا تنطلي دعـاياتهم عـلى العقول السليمـة والأفكار المستقيمة ، وأن مبادىء محمد (ص) قد غـزت المشاعـر والعواطف وآمن بهـا الفقراء والضعفـاء والمحرومـون الذين يمثلون الأكثـرية السـاحقـة في مكـة أجمـع أمـرهم على اغتيـال النبي (ص) والهجوم عليـه في فـراشـه ، فـأوحى الله إليـه بـذلـك ، وأمره بـالهجرة الى يثـرب وأن يترك في فـراشه ابن عمـه الإمام امـير المؤمنـين (ع) حـارس الإسلام والمنافح عنه في جميع المواقف .

وتوجه النبي (ص) الى يثـرب فأقـام فيها داعيـاً الى الله ومبشراً بـدينه القـويم يضـع الخطوط والتصـاميم الى بناء مجتمـع جديـد يؤمن بـالله ولا يشـرك بـه وأعلن في ذلـك الـوقت حكـومـة الإسـلام العـادلـة التي تنبض بـالعـدل والحق يقـول الاستـاذ (ماكدونالد) :

(هنـا ـ أي في المدينـة ـ تكـونت الـدولـة الاسـلاميـة الاولى ووضعت المبـادىء الأساسية للقانون الاسلامي) .

وأول تصميم قـام بـه النبي (ص) انـه وحـد صفـوف المسلمـين ونشر الحب والـوئام فيـما بينهم وأزال البغضاء والكـراهية مـا بين الأوس والخـزرج تلك الكراهيـة التي كانت مشبوبة الاوار فيما بينهـما زمناً طـويلاً فـوحد كلمتهم ، وجعلهم يـداً واحدة على أعدائهم من المشركين ثم آخى بين المهاجرين والأنصار فصـاروا إخوانـاً في الدين وفي كل شيء ويداً واحدة في الجهاد والدفاع عن دين الله .

لقد بدا التآلف بين المسلمين بأوسـع مجالاتـه ، وأعمق آثاره ، فـاترعت قلوبهم بحب الإسلام ، وذهلوا من أجله عن أرحامهم وأنسـابهم وانطلقـوا في ميادين الجهـاد يـذبـون عن دينهم ، وينـافحـون من أجله وينـاضلون في سبيله حتى حـاز أعـظم الانتصارات وسرت موجته الندية الى جميـع الآفاق ، فبـادرت الشعوب المضـطهدة الى اعتناقه لأنها وجدت فيه الحماية لها من الاستغلال والاستبداد والتحكم .

لقـد ولدت الـدولة الإسـلامية العـظمى في يثرب ، وكـان النبي (ص) نفسـه يتـولى ادارة وشؤون الدولـة والحكم على غـرار الأنبياء السـابقين فقـد كـان داوود نبيـاً

وملكاً .. قال تعالى : ﴿ **يا داوود إنا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق** ﴾ .

وأخذ النبي (ص) يضع أسمى المبادىء لسياسة الدولة الإسلامية ويرسم لها أرقى البرامج التي تسير عليها في الحرب والسلم ، كما رسم لها الخطوط العريضة التي تحمي المواطنين من الفقر والجهل والمرض ، وسوف نوافي القراء عن بعضها عند التعرض لسياسة الإسلام الداخلية .

٢ ـ الدستور الاول لحكومتها

وأعلن النبي (ص) الدستور الأول للدولة الاسلامية الكبرى وذلك عندما آخى بين المهاجرين والأنصار ووادع فيه اليهود وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وقد جاء فيه بعد البسملة ما نصه :

« هذا كتاب من محمد النبي (ص) بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ، انهم امة واحدة من دون الناس .والمهاجرون من قريش على ربعتهم[١] يتعاقلون بينهم ، وهم يفدون عانيهم[٢] بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم[٣] الاولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى ، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو الحرث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى ، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة منهم تُفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون

---

(١) الربعة : الحال التي جاء الاسلام وهم عليها .

(٢) العاني : الاسير .

(٣) معاقلهم : جمع معقلة من العقل وهو الدية .

معاقلهم الاولى وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وان المؤمنين لا يتركون مفرحاً بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل .

ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه ، وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم او ابتغى دسيعة[1] ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين وان ايديهم عليه جميعاً لو كان ولد احدهم ، ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر ، ولا ينصر كافر على مؤمن ، وان ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم ، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس ، وإنه من اتبعنا من يهود فان له النصرة والاسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم ، وان سلم المؤمنين واحدة . لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله الا على سواء وعدل بينهم ، وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضاً ، وإن المؤمنين يبيء[2] بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله ، وإن المؤمنين المتقين على احسن هدى وأقومه ، وانه لا يجير مشرك مالا لقريش ، ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن وإنه من اعتبط[3] مؤمناً قتلاً عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول ، وإن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم إلا قيام عليه ، وإنه لا يحل لمؤمن أقرَّ بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً ، ولا يؤويه ، وإنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل ، وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده الى الله عز وجل والى محمد (ص) وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يهود بني عوف امة مع المؤمنين : لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ[4] إلا نفسه وأهل بيته ، وإن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف ، وإن ليهود بني الحرث مثل ما ليهود بني عوف ، وإن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف ، وإن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف ، وإن ليهود بني

(١) الدسيعة : ما يخرج من حلق البعير إذا رغا وتستعار للعطية .

(٢) يبيء : يمنع .

(٣) اعتبطه : قتله من غير سبب يوجب قتله .

(٤) وتغ : إذا هلك .

الأوس مثل ما ليهود بني عوف ، وإن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف ، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته ، وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم ، وإن لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف وإن البر دون الاثم وإن موالي ثعلبة كأنفسهم وإن بطانة يهود[1] كأنفسهم ، وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد (ص) وإنه لا ينحجز على ثأر جرح وإنه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته إلا من ظلم ، وان الله على من أبر هذا وان على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وان بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وان بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم ، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه وان النصر للمظلوم ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة ، وإن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وإنه لا تجار حرمة إلا بإذن أهلها ، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار[2] يخاف فساده فإن مرده الى الله عز وجل والى محمد رسول الله (ص) وإن الله على من اتقى ما في هذه الصحيفة وأبره وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها ، وإن بينهم النصر على من دهم يثرب[3] وإذا دعوا الى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه ، وإنهم إذا دعوا الى مثل ذلك فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين : على كل اناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم ، وإن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البر الحسن من أهل هذه الصحيفة .

وان البر دون الاثم : لا يكسب كاسب على نفسه ، وإن الله على من أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره ، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم ، وإنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم وأثم وان الله جار لمن بر واتقى ومحمد رسول الله (ص)[4] .

---

(١) البطانة : خاصة الرجل وأهل سره .

(٢) الاشتجار : الاختلاف .

(٣) دهم يثرب : أي فاجأها .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ / ١١٩ ـ ١٢٣ .

وخلاصة هذا الكتاب الشريف فيما يلي :

١ ـ جعل المسلمين امة واحدة على اختلاف شعوبهم وقبائلهم .

٢ ـ اقرار المهاجرين من قريش على عاداتهم وسننهم في احكام الديات والدماء ، وقد نسخ ذلك أخيراً بفرض الحدود والديات على اسلوب خاص وضعه الاسلام وبينته بالتفصيل كتب الفقه الإسلامي .

٣ ـ مسؤولية المهاجرين عن فداء اسيرهم وتخليصه من ايدي المشركين .

٤ ـ المسؤولية الشاملة لجميع الطوائف والقبائل بأن تفدي أسيرها بالقسط والمعروف .

٥ ـ اقرار القبائل التي وردت اسماؤها في الصحيفة على عاداتهم وان كل طائفة مسؤولة منهم عن فداء عانيها .

٦ ـ قيام المؤمنين باعانة المثقل منهم بالديون من أجل الفداء .

٧ ـ انكار البغي والظلم وشجبه في جميع المجالات ومناهضة القائم به وان كان ولداً لأحدهم فإنهم مسؤولون جميعاً لو أخلوا به .

٨ ـ عدم قود المؤمن بالكافر لو قتله ، فتؤخذ منه الدية لا غير .

٩ ـ منح ادنى المسلمين ان يجير أي شخص يشاء .

١٠ ـ عدم السماح للمشركين بأن يجيروا مالاً أو دماً للمشركين من قريش .

١١ ـ إن القاتل للمؤمن من غير سبب يقاد به إلا أن يرضى اولياء المقتول بالدية فتؤخذ منه .

١٢ ـ عدم السماح للمسلمين بنصرة المحدثين والمبتدعين في الإسلام ولزوم مقاومتهم .

١٣ ـ قيام النبي (ص) بحل المشاكل والخصومات التي تحدث بين المسلمين أو بينهم وبين اليهود .

١٤ ـ منح اليهود الحقوق العامة من الأمن والحرية وغير ذلك بشرط أن يسايروا المسلمين ، ولا يعيثوا فساداً في الأرض .

١٥ ـ اعتبار الجار كالنفس غير مضار ولا آثم .

هذه بعض البنود التي احتوت عليها الصحيفة التي تعتبر أول دستور للدولة الإسلامية ، وقد تعرض جماعة من الكتاب الإسلاميين الى شرحها وايضاح مضامينها .

٣ ـ الولاة والعمال

ولما ظهر أمر الإسلام واندحرت القوى المعادية له ، ودخل الناس في دين الله افواجاً أخذ النبي (ص) يرسل الولاة والعمال الى البلاد والقرى التي آمنت بالاسلام ، وكانت مهمتهم القيام بالامور التالية .

١ ـ تعليم احكام الاسلام كالصلاة والزكاة والصوم ، ونشر الأخلاق والآداب التي جاء بها الإسلام وتعليم القرآن الكريم .

٢ ـ جباية الضرائب الإسلامية كالزكاة وانفاقها على الفقراء والمعوزين وما شاكل ذلك من المصالح العامة .

٣ ـ فصل الخصومة بين الناس وحل مشاكلهم والقضاء على الظلم والطغيان .

وقد ألم ببعض هذه الجهات العهد الذي كتبه النبي (ص) الى عمرو بن حزم حينما بعثه والياً وقد جاء فيه بعد البسملة ما نصه :

« هذا بيان من الله ورسوله ، يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعهد عهد من محمد النبي رسول الله (ص) لعمرو بن حزم حين بعثه الى اليمن أمره بتقوى الله في أمره كله « فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » أمره بأن يأخذ بالحق كما أمره الله ، وان يبشر الناس ، ويأمرهم به ويعلم الناس القرآن ، ويفقههم فيه ، وينهى الناس فلا يمس القرآن انسان إلا وهو طاهر ويخبر الناس بالذي لهم ، والذي عليهم ، ويلين للناس في الحق ويشتد عليهم في الظلم ، فان الله كره الظلم ونهى عنه فقال : ﴿ **الا لعنة الله على الظالمين** ﴾ ويبشر الناس بالجنة وبعملها وينذر الناس

بالنار وبعملها ، ويستألف الناس حتى يفقهوا في الدين ، ويعلم الناس معالم الحج وسنته وفريضته ، وما أمر الله به والحج الاكبر . . »[١] .

هذه بعض فصول العهد وهي تدل على مدى اهتمام النبي (ص) بنشر الدعوة الإسلامية وتبليغ احكامها وفروضها وبعث (ص) معاذ بن جبل واليا وزوده بوصية والزمه أن يسير على ضوئها وهي تكشف عن واجبات العمال وهذا نصها :

« يا معاذ ، علمهم كتاب الله وأحسن أدبهم على الاخلاق الصالحة وأنزل الناس منازلهم ـ خيرهم وشرهم ـ وأنفذ فيهم أمر الله ولا تحاش في أمره ولا ماله أحداً فإنها ليست بولايتك ولا مالك ، وادِّ لهم الامانة في كل قليل وكثير ، وعليك بالرفق والعفو في غير ترك للحق يقول الجاهل قد تركت من حق الله واعتذر الى أهل عملك من كل أمر خشيت أن يقع اليك منه عيب حتى يعذروك وأمت أمر الجاهلية الا ما سنه الإسلام وأظهر أمر الاسلام كله صغيره وكبيره وليكن أكثر همك الصلاة فإنها رأس الاسلام بعد الاقرار بالدين وذكر الناس بالله واليوم الآخر واتبع الموعظة ، فإنه أقوى لهم على العمل بما يحب الله ثم بث فيهم المعلمين واعبد الله الذي اليه ترجع ولا تخف في الله لومة لائم .

واوصيك بتقوى الله وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الامانة وترك الخيانة ولين الكلام وبذل السلام وحفظ الجار ورحمة اليتيم وحسن العمل وقصر الامل وحب الآخرة والجزع من الحساب ولزوم الايمان والفقه في القرآن وكظم الغيظ وخفض الجناح .

وإياك أن تشتم مسلماً أو تطيع آثماً أو تعصي إماماً عادلا أو تكذب صادقاً أو تصدق كاذبا واذكر ربك عند كل شجر وحجر ، واحدث لكل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية »[٢] .

---

(١) سيرة ابن هشام .
(٢) تحف العقول ص : ٢٥ ـ ٢٦ .

وحفلت هـذه الوصيـة بمكارم الاخـلاق ومحاسن الاعمـال وتتلخص في الامـور التالية :

١ ـ القيـام بتعليم المجتمـع لكتـاب الله الكـريم وتـربيتـه بـالآداب الفـاضلة والأخلاق الحسنة .

٢ ـ تنفيذ أحكام الله ، وعدم اختشاء الناس في ذلك .

٣ ـ الرفق بالرعية والعفو عن المخطىء في غير ترك للحق .

٤ ـ القضاء على معالم الجاهلية وعاداتها إلا ما أقره الاسلام .

٥ ـ اظهار الدعوة الاسلامية وبيان جميع شؤونها .

٦ ـ الاهتمام بأمر الصلاة فإنها رأس الاسلام .

٧ ـ وعظ المجتمع وتحذيره من المعاصي والجرائم .

٨ ـ نشر التعليم وتثقيف المجتمع بالعلوم النافعة .

٩ ـ الصلابة في الحق ، وعدم اختشاء أي فرد في سبيل إقامة العدل والحق .

هـذه بعض الامور التي يجب عـلى الولاة تنفيـذها وتـطبيقها عـلى مسرح الحيـاة العـامة في البـلاد ، وحفلت وصية النبي (ص) بلزوم تـوفر بعض الصفـات الرفيعـة في الولاة والحكام وهي :

١ ـ الصدق في الحديث ، والتجنب عن الكذب في جميع المجالات .

٢ ـ الوفاء بالعهد والوعد .

٣ ـ اداء الامانات الى أهلها .

٤ ـ التجنب عن الخيانة سواء أكانت خيانة للامة أو لبعض أفرادها .

٥ ـ لين الكلام ، وحسن الأخلاق مع الرعية .

٦ ـ المحافظة على الجار والبربه واسداء المعروف عليه .

٧ ـ الحنان على الأيتام والرفق بهم والعطف عليهم .

٨ ـ الإتيان باحسن الأعمال المقربة الى الله .

٩ ـ التفقه في القرآن الكريم ومعرفة احكامه .

١٠ ـ الاتصاف بالحلم وكظم الغيظ .

١١ ـ خفض الجناح للرعية وعدم التكبر عليها .

١٢ ـ التجنب عن الشتائم .

١٣ ـ ترك الإتصال بالفجار والآثمين .

١٤ ـ اطاعة الامام العادل والانصياع لأوامره .

١٥ ـ أن لا يكذب الصادقين ويصدق الكاذبين .

لقد حفلت هذه الوصية باروع النصائح ، وأهم الإرشادات التي لو طبقها الحكام والامراء على حياتهم وعلى شعوبهم لكانوا من أرقى أمثلة التكامل الانساني ، ولسادت الرفاهية والخير على جميع الامم والشعوب .

لقد كان الرسول (ص) لا يبعث والياً إلا اذا توفرت فيه الصفات الخيرة ليكون قدوة للناس وهاديا لهم على طرق الخير ، وكان يفتش عن أعمالهم ويسمع ما ينقل اليه من أخبارهم وقد عزل العلاء بن الحضرمي عامله على البحرين لأن وفد عبد القيس شكاه ، وولى أبان بن سعيد ، وقال له : « استوص بعبد القيس خيراً وأكرم سراتهم[1] وكان يستوفي الحساب على العمال يحاسبهم على المستخرج والمصروف[2] .

وقد استعمل رجلاً من الازد على الصدقات فلما حاسبه فقال :

الأزدي هذا لكم ، وهذا أُهدي لي .

---

(١) طبقات ابن سعد .

(٢) الحسبة في الاسلام لابن تيمية .

فتألم النبي (ص) من كلامه وانطلق يقول :

ما بال الرجل نستعمله على العمل مما ولانا الله فيقول : هذا أُهدي لي ؟

أفلا قعد في بيت أُمه وأبيه فنظر أيهدي إليه أم لا والذي نفسي بيده لا نستعمل رجلاً على العمل مما ولانا الله منه شيئاً الا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبته إن كان بعيراً له رغاء ، وإن كانت بقرة لها خوار وإن كانت شاة تمغر ، ثم رفع يديه الى السماء وقال : اللهم هل بلغت قالها مرتين أو ثلاثا . »[1] .

وقد امتنع أكثر عمال النبي (ص) من قبول الهدايا إليهم فهذا عبدالله بن رواحة كان النبي (ص) يبعثه كل عام الى يهود خيبر ـ وكانت قراهم من أهم قرى الحجاز ـ ليخرص عليهم تمرهم فإذا مضى وخرص تمرهم ضمنوه منه وقد أراد اليهود أن يرشوه فجللوا له حلياً من حلي نسائهم وقالوا له :

هذا لك ، واخفف عنا وتجاوز في القسم .

فلذعه منطق الخيانة واندفع وهو ثائر مغيظ يقول لهم .

يا معشر اليهود إنكم لمن ابغض خلق الله تعالى إلي ، وما ذاك بحاملي على أن أحيف عليكم ، وأما ما عرضتم علي من الرشوة فإنها السحت وإنا لا نأكلها .

ودلت هذه البادرة على مدى اهتمام الإسلام بالعدل ، فان اليهود الذين هم خصوم الإسلام واعداؤه لا يجور عليهم عبدالله بن رواحة ولا غرابة في ذلك لأنه خريج مدرسة النبي (ص) ـ ولا يحيف بهم لأن الإسلام لا يسمح له بذلك ولا يسمح بأخذ الرشوة منهم ، ولما سمع اليهود مقالته انبروا يظهرون الاعجاب قائلين :

(بهذا قامت السموات والأرض)[2] .

لقد نصب رسول الله (ص) الولاة من المؤمنين من اصحابه الذين هذبهم

---

(١) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ص ٢٤٨ .

(٢) تيسير الوصول لابن الديبغ ، المعارف لابن قتيبة .

الإسلام وانطبعت مثله في قلوبهم ومشاعرهم ، وتجردوا عن لهو الدنيا وزخارفها ولم يركنوا في دور حكمهم وولايتهم الى أي طريق ملتو ، وأعلنوا الى الجماهير عدم حاجتهم الى أحد من الناس فهذا عتاب بن أُسيد استعمله النبي (ص) والياً على مكة ومنحه من الرزق في كل يوم درهما فقام خطيباً يعلن ترفعه عما في ايدي الناس قائلاً :

« أجاع الله كبد من جاع على درهم ، فقد رزقني رسول الله درهما كل يوم فليست بي حاجة الى أحد » .

ويعتبر هذا الراتب من أول الرواتب التي وضعت للعمال في عهد النبي (ص) وقد جعل (ص) مقداراً معيناً من الطعام راتباً لبعض اصحابه عوضاً عن النقود كما اتفق ذلك مع قيس بن مالك الأرحبي من همذان لما استعمله على قومه فاقطعه من ذرة نسار مائتي صاع ، ومن زبيب خيوان[1] مائتي صاع جار له ولعقبه من بعده[2] .

وبعث (ص) الى جميع القرى والبلدان التي آمنت به العمال والولاة والمرشدين فبعث المهاجر بن أبي أمية الى صنعاء وزياد بن لبيد الى حضر موت وعدي بن حاتم الى طيء وكان كل من بعثه أمره باقامة الحق والعدل ونشر الإسلام وتعليم المجتمع لأحكام الدين وفرائضه وتغذيته بمكارم الأخلاق ومحاسن الاعمال ، وارشاده الى طريق الخير والصواب .

الى هنا ينتهي بنا الحديث عن الولاة والعمال .

---

(١) خيوان مخلاف باليمن ومدينة بها .

(٢) اسد الغابة ٤ / ٢٢٤ الاصابة .

٤ ـ ارسال السفراء :

ولما ظهر أمر الإسلام في يثرب بعث النبي (ص) السفراء والوفود الى ملوك العالم وامرائه يدعوهم الى دين الله والدخول في حظيرة الإسلام ويحذرهم مغبة عدم الاجابة والانصياع لدعوته ، وكان ذلك من أعظم الحوادث التي قام بها النبي (ص) في نشر الإسلام ، فقد كانت تلك السفارات من أهم الوسائل في اداء رسالة الإسلام وابلاغ صوته الى الملوك والامراء الذين حكموا العالم آنذاك فقد أنذر ملك الفرس وقيصر الروم ، وكانا يقتسمان سواد العالم القديم بأسره فقد كان الأول يبسط نفوذه على شمال شرقي الجزيرة ويدين له أغلب أمراء العرب وحكامهم بالولاء والطاعة وكان الثاني يبسط حكمه على الشام وما إليها جنوبا حتى شمالي الحجاز لقد انذر النبي (ص) هؤلاء الملوك وغيرهم من الشخصيات البارزة في العالم وهو دليل على ما تجيش به نفسه العظيمة من قوة الايمان برسالته ، وعظيم الارادةفي اعماله ونقدم الى القراء عرضاً لذلك .

١ ـ الى كسرى ملك الفرس :

وبعث النبي (ص) الى كسرى ملك الفرس عبدالله بن حذافة السهمي وزوده بالرسالة الآتية وهذا نصها .

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله ، ادعوك بدعاية الله ، فإني أنا رسول الله الى الناس كافة ، لانذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، اسلم تسلم ، فان

أبيت فعليك إثم المجوس »[1] .

ولما قدم سفير النبي (ص) على كسرى أمر أن يقبض منه الكتاب فأبى عبدالله إلا ان يدفعه الى نفس كسرى فدنا سنه وناوله الكتاب فأمر ان يقرأ له فلما قرىء له فإذا فيه من محمد الى كسرى عظيم فارس فاغضبه ذلك حينما بدأ الرسول بنفسه وصاح وأخذ الكتاب فمزقه قبل ان يعلم ما فيه وأمر باخراج حامل الكتاب فاخرج ومضى الى النبي (ص) فأخبره بالأمر فدعا عليه قائلاً :

اللهم ، مزق ملكه[2] .

فمزق الله ملكه ، فقد استولت الجيوش الإسلامية الظافرة على ملكه ، وذهب ادراج الرياح .

٢ ـ الى المقوقس :

وارسل النبي (ص) حاطب بن ابي بلتعة الى المقوقس عظيم القبط وكان نصرانياً يدعوه إلى الإسلام وزوده بهذه الرسالة :

« **بسم الله الرحمن الرحيم** من محمد بن عبدالله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى ، **أما بعد** : فاني ادعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم (واسلم) يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم القبط « **ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** »[3] .

فجاء حاطب حتى دخل مصر فلم يجده هناك فذهب الى الاسكندرية فاخبر أنه في مجلس مشرف على البحر فركب حاطب سفينة وحاذى مجلسه وأشار بالكتاب اليه فلما رآه المقوقس أمر باحضاره فلما جيء به نظر الى الكتاب وفضه وقرأه فالتفت

---

(١) البداية والنهاية ٤ / ٢٦٩ ، اعجاز القرآن : ص ١١٢ .

(٢) الكامل ٢ / ٨٠ تاريخ اليعقوبي ٢ / ٦١ .

(٣) سيرة زيني دحلان هامش السيرة الحلبية ٣ / ٧٠ خطط المقريزي ١ / ٢٩ .

الى حاطب فقال له :

ـ ما منعه ان كان نبياً ان يدعو على من خالفه ، وأخرجه من بلده الى غيرها ان يسلط عليهم ؟

فأجابه حاطب :

ألست تشهد ان عيسى بن مريم (ع) رسول الله فماله حيث أخذه قومه فأرادوا ان يقتلوه ، ان لا يكون دعا عليهم ان يهلكهم الله تعالى حتى رفعه الله اليه ؟

وبهر عظيم القبط بهذا المنطق الرصين فقال له :

انت حكيم من عند حكيم[1] .

ثم قابله بالحفاوة والتكريم ، وارسل الى النبي (ص) هدايا وبعث الى النبي (ص) بهذه الرسالة .

« **بسم الله الرحمن الرحيم** ، لمحمد بن عبدالله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك . **اما بعد** فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو اليه وقد علمت ان نبياً قد بقي وقد كنت أظن انه يخرج بالشام وقد أكرمت رسولك وبعثت اليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم ، وبثياب ، واهديت إليك بغلة لتركبها والسلام عليك »[2] .

وقدم حاطب إلى يثرب ومعه الهدايا فقدمها الى النبي (ص) وعرض عليه الكتاب فقال (ص) ظن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه[3] .

وأخذ المقوقس يتطلع الاخبار عن النبي (ص) فوفد عليه جمع من ثقيف وفيهم المغيرة بن شعبة وكان ذلك قبل اسلامه فلما دخلوا عليه قال لهم :

---

(١) اسد الغابة السيرة الحلبية ٣ / ٢٨١ .

(٢) طبقات ابن سعد ١ / ٢٦ السيرة الحلبية ٣ / ٢٨١ .

(٣) السيرة الحلبية وطبقات ابن سعد .

ـ كيف خلصتم لي وبيني وبينكم محمد واصحابه ؟ .

ـ لصقنا بالبحر

ـ كيف صنعتم فيما دعاكم إليه ؟

ـ ما تبعه منا رجل واحد

ـ كيف صنع قومه ؟

ـ تبعه أحداثهم ، وقد لاقاه من خالفه في مواطن كثيرة .

ـ ماذا يدعو ؟

أن نعبد الله وحده ونخلع ما كان يعبد آباؤنا ، ويدعو الى الصلاة ، والزكاة ، ويأمر بصلة الرحم ، ووفاء العهد ، وتحريم الزنا والربا والخمر .

فانطلق المقوقس يبدي اكباره واعجابه بهذه التعاليم الرفيعة قائلاً :

هذا نبي مرسل الى الناس كافة ، ولو أصاب القبط والروم لاتبعوه ، وقد أمرهم بذلك عيسى ، وهذا الذي تصفون منه بعث به الانبياء من قبله ، وستكون له العاقبة حتى لا ينازعه أحد ويظهر دينه الى منتهى الخف والحافر . .

فتأثر أولئك القوم من كلامه وقالوا له :

لو دخل الناس كلهم ما دخلنا معه .

فاستهان بهم ورد عليهم هذا المنطق قائلاً لهم :

« أنتم في اللعب »[1]

ولكنه لم يؤمن بدين الإسلام حتى غزته الجيوش الإسلامية فاحتلت بلاده وأصبحت خاضعة لحكم الإسلام .

---

(١) الاصابة .

٣ ـ الى قيصر ملك الروم :

وارسل النبي (ص) دحية بن خليفة الكلبي الى هرقل ملك الروم وزوده بهذه الرسالة .

« **بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله الى هرقل عظيم الروم سلام** على من اتبع الهدى ، أما بعد :

فإني ادعوك بدعاية الإسلام ،اسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان توليت فإنما عليك اثم الاريسين « **ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** »[1] .

ووصلت سفارة النبي (ص) الى ملك الروم فأخذ الكتاب فقرأه ثم قال هل يوجد أحد من قوم هذا الرجل الذي يزعم إنه نبي ؟ فقالوا له نعم وكان ابو سفيان قبل اسلامه حاضراً هناك مع جماعة من اصحابه فدعوا الى مقابلة هرقل فلما مثلوا عنده قال لهم :

ـ ايكم أقرب نسباً من هذا الرجل الذي يزعم إنه نبي ؟

فانبرى إليه أبو سفيان فعرفه انه أقرب إليه من غيره فأخذته الخدم والغلمان فاجلسوه بين يديه ثم التفت الى ترجمانه وأمره ان يوجه إليه الأسئلة الآتية ليجيب عليها .

ـ كيف حسبه فيكم ؟

ـ هو ذو حسب

ـ هل كان من آبائه ملك ؟

---

(١) السيرة الحلبية ٢ / ٢٧٥ كنز العمال ٢ / ٢٧٥ صبح الاعشى ٦ / ٣٧٦ .

ـ لا

هل كنتم تتهمونه بالكذب

ـ لا

ـ من يتبعه اشراف الناس أم ضعفاؤهم ؟ .

ـ بل ضعفاؤهم

ـ أيزيدون أم ينقصون ؟

ـ بلْ يزيدون

ـ هل يرتد أحد من دينه بعد أن يدخل فيه

ـ لا

ـ فهل قاتلتموه ؟

ـ نعم *

ـ فكيف كان قتالكم اياه ؟

ـ يكون الحرب بيننا وبينه سجالا يصيب منا ونصيب منه

ـ فهل يغدر ؟

ـ لا

ـ كيف عقله ورأيه ؟

ـ لم نعب له عقلاً ولا رأيا قط

ـ فما يأمركم به ؟

ـ يأمر بالصلاة ، وبالزكاة والعفاف وان نعبد الله وحده لا شريك له ويأمرنا بالوفاء بالعهد واداء الامانة .

وجرى حديث بينه وبين ابي سفيان ابدى فيه ملك الروم اكباره واعجابه بالنبي (ص) فأساء ذلك أبا سفيان وانطلق وهو خائف مرعوب يقول :

« لقد امر أمر ابن أبي كبشة [١] أصبح ملك الروم يهابه [٢] .

وقابل ملك الروم سفير النبي (ص) بالتكريم والحفاوة ودعا الروم الى الإسلام فأبوا وأرادوا مناجزته فكتب الى رسول الله (ص) رسالة يبدي فيها اسلامه وامتناع الروم من الإيمان به وهذا نص رسالته :

« الى احمد رسول الله الذي بشر به عيسى من قيصر ملك الروم إنه جاءني كتابك مع رسولك واني اشهد أنك رسول الله نجدك عندنا في الانجيل بشرنا بك عيسى بن مريم واني دعوت الروم الى أن يؤمنوا بك فأبوا ولو اطاعوني لكان خيرا لهم ولوددت أني عندك فاخدمك واغسل قدميك »[٣]

لقد كانت هذه الرسالة ذات أثر عميق في تقوية معنويات المسلمين وبعث النشاط والعزم في نفوسهم كما كانت ذات معنوية في البلاط الروماني وفي الكنيسة ايضاً فقد أوجدت فيهما تهيباً للاسلام وخوفاً منه .

٤ ـ الى النجاشي الاول :

وارسل النبي (ص) جعفر بن عمه ومعه جماعة الى النجاشي الأول ملك الحبشة يدعوه إلى الاسلام وزوده بهذه الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى النجاشي الأصحم ملك الحبشة سلام عليك فإني أحمد إليك الله الملك القدوس المؤمن المهيمن ، واشهد ان عيسى بن مريم روح الله ، وكلمته التي القاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة

---

(١) امر : كثر أي ارتفع شأنه .
(٢) صحيح مسلم ٥ / ١٦٣ السنن الكبرى للبيهقي / ١٧٧ .
(٣)) السيرة الحلبية ٣ / ١٧٧ .

فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه واني أدعوك الى عبادة الله وحده لا شريك له والموالاة على طاعته ، وأن تتبعني فتؤمن بي وبالذى جاءني فاني رسول الله وقد بعثت إليكم ابن عمي جعفرا ومعه نفر من المسلمين . فإذا جاءوك فاقر ودع التجبر واني ادعوك وجنودك الى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت فاقبلوا والسلام على من اتبع الهدى »[1]

ولما انتهى اليه الكتاب أخذه ووضعه على عينيه ونزل عن سريره وجلس على الأرض اجلالاً واعظاماً ثم اسلم ودعا بحقٍّ من عاج وجعل فيه الكتاب[2] وارسل الى النبي (ص) هداياورسالةأعرب فيها عن اسلامه وإيمانه بالرسول (ص) وكان ذلك فتحاً كبيراً للمسلمين وانتصاراً رائعاً لهم كما افزع القوى الكافرة المعادية للإسلام .

٥ ـ الى ملك غسان :

بعث النبي (ص) شجاع بن وهب الى الحارث بن أبي شمر يدعوه الى الإيمان بالله وزوده بهذه الرسالة :

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحارث بن ابي شمر سلام على من اتبع الهدى وآمن به وصدق واني ادعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبقى ملكك »[3]

ولما وصلت إليه رسالة النبي (ص) وقرأها اندفع وهو غضبان فقال لشجاع بن وهب :

من ينتزع ملكي ؟ ها أنا سائر إليه ولو كان باليمن جئته ثم أمر بعرض جيوشه عليه وقال له : أخبر صاحبك بما ترى من الجيوش والخيول واني سائر إليه .

---

(١) اسد الغابة ١ / ٦٢ البداية والنهاية ٣ / ٨٣ .

(٢) الطبقات الكبرى وسيرة زيني دحلان على هامش السيرة الحلبية ٣ / ٦٧ .

(٣) الطبري ٢ / ٢٩٢ ونقل عن المواهب اللدنية ٣ / ٨٠ .

وكتب الى قيصر ملك الروم يخبره الامر فوصلت رسالته الى قيصر وكان عنده سفير النبي (ص) دحية بن خليفة الكلبي فلما اطلع قيصر على رسالته كتب إليه بالخلود الى السكون والاعراض عن ذلك ولما وصل جواب قيصر إليه ذهل وداخله الفزع والخوف فاستدعاه سفير النبي (ص) فأكرمه وحفل به وأمر له بالهدايا والأموال[1]

٦ ـ الى ملك اليمامة :

وبعث النبي (ص) سليط بن عمرو الى هوذة بن علي الحنفي ملك اليمامة يدعوه الى الاسلام وارسل إليه هذه الرسالة .

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى هوذة بن علي سلام على من اتبع الهدى واعلم أن ديني سيظهر الى منتهى الخف والحافر فاسلم تسلم واجعل لك ما تحت يديك » [2] .

والتقى سليط بعاهل اليمامة فدعاه الى الاسلام وقال له :

« يا هوذة انما السيد من متع بالايمان ثم زود بالتقوى وإن قوماً سعدوا برأيك فلا يشقون به واني آمرك بخير مأمور به وانهاك عن شيء منهي عنه آمرك بعبادة الله وأنهاك عن عبادة الشيطان فإن في عبادة الله الجنة وفي عبادة الشيطان النار فان قبلت نلت ما رجوت وآمنت ما خفت وإن أبيت فبيننا وبينك كشف الغطاء وهول المطلع »[3] .

فطلب منه الامهال وان يجعله في فسحة من أمره حتى يستشير قومه ويجيب فامهله سليط ومضت على ذلك أيام فطلبه وكتب الى النبي الجواب وهذا نصه :

---

(١) الطبقات الكبرى ١ / ٢٦١ .
(٢) السيرة الحلبية ٣ / ٢٨٦ وعن صبح الاعشى ٦ / ٣٧٩ .
(٣) السيرة الحلبية .

« الى رسول الله (ص) ما أحسن ما تدعو إليه وأحمله وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب مكاني فاجعل لي بعض الأمر اتبعك »[1] .

وقد أراد من النبي (ص) أن يجعله شريكاً له في السلطة وورد سفير النبي الى يثرب فاجتمع بالرسول (ص) وعرفه بالأمر فقال (ص) : لو سألني سيابة من الأرض ما فعلت باد ، وباد ما في يديه ، لقد باد ملكه فقد استولت عليه الجيوش الاسلامية واحتلت مملكته ورفع عليها لواء الاسلام .

٧ ـ الى ملكي عمان :

وأرسل النبي (ص) في ذي القعدة سنة ثمان من الهجرة عمرو بن العاص الى جعفر وعبد ملكي عمان يدعوهما الى الاسلام وزوده برسالة وهذا نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله الى جعفر وعبد ابني الجلندي سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوكما بدعاية الاسلام اسلما تسلما إني رسول الله الى الناس كافة لانذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين انكما إن اقررتما بالاسلام وليتكما ، وان أبيتما أن تقرا بالاسلام فان ملككما زائل عنكما وخيلي تحل بساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما »[2] .

وخرج عمرو يطوي البيداء حتى انتهى الى عمان فاجتمع بمليكيها فجرى بينه وبينهما حديث أسفر عن دخولهما في حظيرة الاسلام وإيمانهما بالنبي (ص)[3] .

ولم تقتصر السفارة النبوية على ما تقدم من الملوك والامراء فقد أوفد بعوثاً وكتباً أُخرى الى كوكبة من زعماء الجزيرة المحليين ونشير الى بعضهم .

١ ـ اكثم بن صيفي :

وارسل النبي (ص) الى حكيم العرب أكثم بن صيفي رسالة يدعوه فيها الى

---

(١) الطبقات الكبرى ١ / ٢٦٢ .

(٢) المواهب اللدنية ٣ / ٤٤٠ .

(٣) السيرة الحلبية ٣ / ٢٨٤ الطبقات الكبرى ١ / ٢٦٢ .

الاسلام وهذا نصها :

« **بسم الله الرحمن الرحيم** من محمد رسول الله الى اكثم بن صيفي احمد الله إليك ان الله أمرني أن أقول لا إله إلا الله أقولها وآمر الناس بها الخلق خلق الله والأمر كله لله خلقهم وأماتهم وهو ينشرهم وإليه المصير أدبتكم بآداب المرسلين ولتسئلن عن النبأ العظيم ولتعلمن نبأه بعد حين »[1]

وبعث رجلين من خيرة قومه ليطلعا على اسس الدعوة الاسلامية ويقفا على البرامج التي يدعو اليها النبي (ص) فقصدا يثرب ، ولما انتهيا اليها تشرفا بمقابلة الرسول (ص) فقالا له :

نحن رسولا أكثم بن صيفي وهو يسألك من أنت ؟ وما أنت ؟ وبما جئت ؟

فقال (ص) : أنا محمد بن عبد الله وأنا عبد الله ورسوله ، ثم تلا عليهم هذه الآية ﴿ **ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي لعلكم تذكرون** ﴾ .

فرجعا الى اكثم وأخبراه بما قال النبي (ص) فالتفت الى أصحابه وقال لهم : يا قوم أراه يأمر بمكارم الاخلاق وينهى عن ملائمها ، فكونوا في هذا الأمر رؤساء ولا تكونوا فيه أذناباً وكونوا فيه أولاً ولا تكونوا فيه آخراً [2] .

٢ ـ زياد بن جهور :

وارسل النبي (ص) الى زياد بن جهور الرسالة الآتية وهذا نصها :

« **بسم الله الرحمن الرحيم** من محمد رسول الله الى زياد بن جهور سلم انت فاني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو اما بعد فاني أُذكرك الله واليوم الآخر أما بعد فليوضعن كل دين دان به الناس إلا الاسلام فاعلم ذلك [3] .

---

(١) كنز الفوائد ص ٢٤٩ .

(٢) اسد الغابة ١ / ١١٢ .

(٣) المعجم الصغير للطبراني ص ٨٤ اسد الغابة ٢ / ٢١٨ .

لقد بعث النبي (ص) برسائل عدة الى الزعماء والوجوه والشخصيات البارزة في العالم العربي وغيره يدعوهم فيها إلى الإسلام فأجاب جماعة منهم وامتنع آخرون وكانت هذه الرسائل تحمل موجة المد الاسلامي إلى الشعوب المتعطشة لهدى الاسلام المترع بروح الرفق والسماحة والاخوة والايثار يقول الاستاذ محمد عبد الله عنان عن هذه السفارات النبوية :

« كانت هذه السفارات والكتب النبوية عملاً بديعاً من أعمال الدبلوماسية بل كانت أول عمل قام به الاسلام في هذا الميدان . وليس أسطع من هذه السفارات دليلاً على ما كانت تجيش به نفس النبي العربي من فيض في الايمان والشجاعة ذلك النبي الذي لم يكن قد نجا بعد من اضطهاد قومه ولم يكن له سلطان يعتد به أو قوى يخشى بأسها يقدم في ثقة وشجاعة على دعوة قيصر الدولة الرومانية وعاهل الدولة الفارسية ، وباقي الملوك والامراء المعاصرين الى اعتناق دعوة لم تكتمل بعد في مهدها على ان هذه الدبلوماسية الفطنة التي لجأ إليها النبي في مخاطبة ملوك عصره لم تذهب كلها عبثاً كما رأينا . ولا ريب ان النبي لم يكن يتوقع أن يلبي اولئك الملوك الأقوياء دعوته وهو ما يزال يكافح في بثها بين قومه وعشيرته بيد ان إيفاد هذه البعوث كان عملاً متمماً للرسالة النبوية وكان العالم القديم الذي يتجه إليه النبي العربي بدعوته يقوم على اسس واهية تنذر بالانهيار من وقت إلى آخر . وكانت الأديان القديمة قد أدركها الانحلال والوهن فكانت الدعوة الإسلامية تبدو في جدتها وبساطتها وقوتها ظاهرة تستحق البحث والدرس ولم يكن عسيراً أن يستشف اولو النظر البعيد ما وراء هذه الدعوة الجديدة من قوى تنذر بالانفجار وقد كان الانفجار في الواقع سريعاً جداً فلم تمض أعوام قلائل على إيفاد هذه البعوث حتى كان الإسلام قد غمر قلب الجزيرة العربية وانساب تيار الفتح الإسلامي إلى قلب الدولتين الرومانية والفارسية ، وأخذ العرب أبناء الدين الجديد وحملة الرسالة المحمدية يعملون بسرعة خارقة في انشاء الدولة الإسلامية الكبرى [1] .

إن بعث النبي (ص) السفراء والوفود إلى العالم الخارجي وإلى الزعماء

---

(١) مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام ص ٢٠٨ .

المحليين في الجزيرة العربية كان له أثره العميق في تطوير الدعوة الإسلامية وذيوعها كما كان له أثره الفعال في ارهاب القوى المعادية للإسلام والحاقدة عليه فقد انتج أعظم الانتصارات واستجابت جملة من الملوك والامراء والوجوه إلى دعوة النبي (ص) وآمنوا بها وأخذوا يعملون على نشر طاقاتها ومفاهيمها بين اخوانهم وقومهم .

٥ ـ اعلان حقوق الانسان :

واعلن الاسلام منذ بزوغ نوره حقوق الانسان وأشـاد صروحهـا ودعا المجتمـع الإسلامي إلى تطبيقها على مسـرح الحياة لقـد أعلن الاسلام حقـوق الانسانِ ، ورفـع شعارها وتبناها في جميع المجالات فهو السابق لتأسيسها والمـطبق لبنودهـا من غير ثـورة أو حرب على عكس أوروبا فهي انما هتفت بهـا ودعت إليها نتيجة للاضـطهاد البـالغ الـذي واجهته شعـوبها من جـراء الحكم الأسود الـذي خيم عليها وقبـل التحدث عن تلكم الحقوق وايضاح مضامينها نقدم عــرضاً موجزاً لحالـة اوروبا قبـل اعلانها لـذلك ثم نـذكر بعض تلك الحقـوق التي أعلنتها فـرنسا وأقـرتهـا هيئـة الامم المتحـدة ونبـين رأي الإسلام الناصح فيها وإلى القراء ذلك :

١ ـ الوضع في أوروبا:

لقد حفل تاريخ اوروبا ـ قبل عصر النهضـة العلمية ـ بالمآسي والمهازل والخـطوب فقد كانت الحيـاة العامـة يسودهـا الغبن الاجتماعي ويسيـطر عليها الـظلم والطغيـان فقـد كان طـابع الحكم فيهـا استبداديـاً لا بصيص فيـه من نـور العـدل ولا ظـل فيـه للأمن والاستقرار فالهيئة الحاكمة كانت القوة القـاهرة لإرادة الشعب والمحتكـرة لجميع السلطات التشريعية والتنفيذية والقضـائية وكلمـة الملك القانـون الذي لا يمكن تغييـره ولا تبديله يقول « لويس » الرابع عشر :

« الدولة أنا » .

إن الدولة بجميع امكانياتها يعتبرها (لـويس) ماثلة في شخصـه فما يقـوله فهـو

الحد الفصل في جميع الامور وليس للرعية ارادة واختيار ، فان أعلن الحرب وساق الجحافل الى المجازر فعلى الشعب الطاعة والخضوع وقد عبر ملك بريطانيا (تشارد) الذي خلعه برلمانهم عن مدى استهتاره بحقوق الانسان بقوله :

« القانون في فمي وكثيراً ما يكون سراً كامناً في صدري »[1]

لقد نظر الحاكمون في اوروبا إلى رعاياهم نظرة مليئة بالاستخفاف والامتهان ففرضوا عليهم نفوذهم وسلطانهم واستبدوا في شؤونهم وحاربوا كل نزعة اصلاحية في البلاد كما احاطوا نفوسهم بهالة من التقديس والاكبار واعتبروا انهم غير مسؤولين ولا محاسبين عن أي جريمة . أو ذنب يصدر منهم وقد أعلن « غليوم » الالماني في خطابه سنة (١٨٩٧) جاء فيه :

« إن غليوم الأول قد أقام كنزاً واسع النطاق يجب علينا حفظه مقدساً هذا الكنز هو الملك المستمد من معونة الله . الملك القائم على المسؤولية العظمى أمام الخالق دون سواه تلك المسؤولية التي لا يمكن لأي وزير أو مجلس نواب أن يرفعها عن عاتق ولي الأمر » .

وكان من الطبيعي أن يؤدي هذا الحكم الفردي إلى خنق الحريات واضطهاد الشعب وتكبيله بالقيود والأغلال وكانت فرنسا أعظم دول اوروبا محنة وأكثرها بلاءً وشقاءً فقد ذكر المؤرخون لها أنها كانت بأقصى مكان من الذل والهوان فليس فيها حرية سياسية ولا مساواة اجتماعية ولا نظام عادل للضرائب فالامتيازات قد اختصت بها بعض الهيئات وحرمت منها الأكثرية الساحقة ونشير إلى بعض الطبقات التي ظفرت بها وهي :

١ ـ النبلاء .

٢ ـ أرباب الكنيسة .

٣ ـ المشرعون .

---

(١) الدستور البريطاني تأليف ايرون الكسندر ترجمة محمد بدران ص ٣٩ .

٤ ـ نقابات طوائف العمال .

وقد أقصت هذه الامتيازات العدالة الاجتماعية ونقلت شطراً كبيراً من الضرائب إلى أكتاف الفقراء كما حرمت أبناء الطبقة الوسطى من المناصب الرفيعة في الدولة كقيادة الجيش والاسطول والقضاء والكنيسة[1] وقد أدت هذه الأوضاع إلى تأزم البلاد واضطرابها في جميع المجالات فكان الفرد يلقى في غياهب السجون بلا ذنب وساد نظام الاقطاع في أوساطهم وعم الظلم والجور في جميع انحاء البلاد .

٢ ـ الثورة الفرنسية :

وتفجرت الأوضاع السائدة في فرنسا بالثورة العارمة فقد ثار الشعب الفرنسي في يوم ١٧ يونيه (١٧٨٩) وقرر نواب الشعب انهم أعضاء (الجمعية الوطنية) وقرروا عدم شرعية الضرائب التي فرضتها الحكومات الملكية وانتشرت المظاهرات في جميع انحاء البلاد وهي تهتف بسقوط الهيئة الحاكمة فقوبلت بالنار وصوبت الحكومة مدافعها على الثوار ولكنهم استمروا في ثورتهم العارمة التي غيرت مجرى التأريخ الاوربي وبعد صراع رهيب بين الحكومة والشعب سقطت الحكومة بأيدي الثوار وقد ارتكب في تلك الحوادث من القتل والتنكيل ما لا يوصف لفظاعته ومرارته وألفت مئات الكتب في تصوير الجرائم والموبقات التي وقعت في الثورة وأنها من أغرب الثورات التي شاهدها العالم .

٣ ـ اعلان حقوق الانسان :

تمخضت تلك المجازر الرهيبة التي وقعت في اثناء الثورة الفرنسية عن اعلان (حقوق الانسان) فقد قررت الجمعية الوطنية في ٢٦ اغسطس سنة (١٧٨٩) تلك الحقوق ورأت ان ما ينزل بالمجتمع الانساني من المصائب والشقاء يرجع الى سبب واحد وهو جهل هذه الحقوق أو تجاهلها أو العبث بها فأصدرت

---

(١) تأريخ أوروبا في العصر الحديث تأليف هـ . ا . ل . فشر ص ٥ ـ ٦ .

الجمعية بها بياناً عاماً يكون أساساً لمطالب الشعب وقواماً لنصوص الدستور وضماناً لسعادة المجموع وخلاصة هذه الحقوق الامور التالية :

١ ـ الحرية .

٢ ـ المساواة .

٣ ـ الإخاء .

وجميع المواد التي ذكرت فانها ترجع إلى هذه المبادىء الثلاثة وقد اعتز بها كتّاب اوروبا وزعموا انها سرت سريان الضوء في جميع الشعوب الأوربية ، وانها أهم مكسب ظفرت به الانسانية في عصورها الأخيرة لقد أعلن الإسلام هذه المبادىء وسبق الى تأسيسها ودعا إلى تطبيقها ونقدم إلى القراء هذه المبادىء التي أعلنتها فرنسا مع بيان رأي الاسلام فيها :

١ ـ الحرية :

جاء في وثيقة اعلان حقوق الانسان عن الحرية ما يلي :

المادة :

١ ـ يتولد الناس ويعيشون احراراً متساوين في الحقوق والكرامة مزودين بالعقل والضمير وعليهم أن يعامل بعضهم بعضاً بروح الاخوة .

وقد ألمت المادة الرابعة بتحديد الحرية فقد جاء فيها :

« الحرية تنحصر في إمكان عمل كل ما لا يضر بالغير . فلكل امرىء ان يتمتع بحقوقه الطبيعية في الدائرة التي لا تؤذي تمتع الناس بتلك الحقوق وتحديد هذه الدائرة موكول الى القانون » .

انه ليس من الحرية في شيء أن يعمل الانسان عملاً يؤدي الى الاضرار بالغير فليس الانسان مطلق العنان في تصرفاته وفي أعماله بل لا بد أن تتفق مع سنن القانون ولا تشذ عن نواميس الحياة وقبل التحدث عن مدى الحرية التي منحها

الاسلام للانسان نذكر بيان معناها في « اللغة » والى القراء ذلك .

١ ـ في اللغة :

الحرية في اللغة تطلق على الخلوص من العبودية فيقال هو حر أي غير مسترق ، وتطلق على الخلوص من القيد والأسر .

٢ ـ في الاسلام :

الحرية في الاسلام تطلق تارة ويراد بها الخلوص من العبودية فيقال : حر ـ أي غير مملوك ـ وأخرى يراد بها الرضا والاختيار ، فيقال فلان حر في تصرفاته أي غير مكره فيها ـ كما أنها تطلق ويراد منها تخليص النفس من الأوهام والخرافات ، كما يقال : فلان متحرر من الأوهام وقد بذل الاسلام جميع طاقاته على تحقيق ذلك وعلى تنوير العقول بقوة الايمان بالله فان المجتمع الجاهلي كان قبل بزوغ نور الاسلام أسيراً للعادات الخرافية والامور الوهمية فجاء الاسلام فحطم تلك القيود والاغلال ودعا المجتمع الى التحرر والانطلاق والى ايقاظ عقولهم وتحرير أفكارهم وقد نعى الذين يتبعون آباءهم ويقلدونهم في عاداتهم الجاهلية قال تعالى :

﴿ واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ﴾[1] .

كما انه دعا الى التفكير في جميع المجالات ولم يسغ إلغاء الطاقات العقلية التي وهبها الله للانسان وجعل الذين يهملون عقولهم ولا يسترشدون بتفكيرهم مثلهم كمثل الحيوان السائم قال تعالى :

﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾[2] .

---

(١) سورة البقرة : آية ١٧٠ .

(٢) سورة الاعراف : آية ١٧٩ .

ان الاسـلام قرر حـريـة الفكـر وانـطلاق النفس من كـل خـرافـة ووهم وأقـام الحـرب العوان عـلى عبادة الاوثـان والأصنام ودعـا بقوة الى نبـذ ما كـان عليه السلف الجـاهلي من ضـلالات وتقاليـد ليست من الحق في شيء فقد دعـا الى توحيـد الله لأنه فاطر السموات والأرض وواهب الحياة قال تعالى : ﴿ **هـو الذي أنشـأكم وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة قليلا ما تشكرون** ﴾[1] .

إن الاسـلام قرر العبـودية لله وحـده وهي التحرر الـواقعي من الخضـوع للغـير وهي معنى التحـرر بكل مـا وسعته هـذه الكلمة من معنى ، وقـد ازدرى الاسلام بمن يخضع لغير الله ويظن انه يستجيب له قال تعالى :

﴿ **إن الـذين تدعـون من دون الله عباد أمثـالكم فادعـوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين** ﴾[2] .

ويـأمر الله رسـوله محمـداً (ص) أن يخاطب قـومه بقـوله : ﴿ **قـل افرأيتم مـا تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هـل هن كاشفـات ضره أو أرادني بـرحمة هـل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله** ﴾[3] .

ان الاسلام رفع شعار العبودية لله تعالى وحـده لأنه المحيي والمميت والـرازق ، واليـه تـرجـع جميـع شؤون العبـاد ومن هنـا كـان أسمى صفـات الـرسـل هي نعتهم بـالعبوديـة لله قال تعـالى : ﴿ **واذكر عبـدنا أيـوب إذ نادى ربـه** ﴾[4] وقـال تعـالى في وصف نبيـه محمد (ص) : ﴿ **وإن كنتم في ريب ممـا نزلنـا على عبـدنا فـأتوا بسـورة من مثله** ﴾[5] .

إن الاقرار بالعبودية لله انما هو تحرير للانسان من عبودية الأفـراد وارتقاء لـه إلى

---

(١) سورة الملك : آية ٢٣ .
(٢) سورة الاعراف : آية ١٩٤ .
(٣) سورة الزمر : آية ٣٢ .
(٤) سورة ص : آية ٤١ .
(٥) سورة البقرة : آية ٢٣ .

سلم الكرامة وتقوية له على مجابهة أحداث الحياة وجعله فرداً صالحاً في المجتمع الانساني الرفيع .

إن الحرية التي منحها الإسلام للإنسان ذات محتويات أربعة ويتفرع على كل واحد منها أنواع مختلفة وهي كما يلي :

١ ـ حرية العقيدة :

إن الحرية الدينية في أرحب مفاهيمها قد تبناها الإسلام ودعا إليها وخطة الرسول الكريم (ص) كانت هي ابلاغ مبادئه إلى المجتمع فان شاءوا آمنوا بها وإن شاءوا تركوها قال الله تعالى :

﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾[١] .

إن خطة الرسول (ص) هي الاداء والتبليغ يقول تعالى :

﴿ فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر ﴾[٢] .

ويقول تعالى : **﴿ نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ﴾**[٣] .

وليس على الاسلام من ضرر وبأس أن أصر المتسبون الى المسيحية وغيرها على بقاء عقيدتهم يقول تعالى مخاطباً لنبيه الكريم : **﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾**[٤] .

إن الاسلام قد تبنى سياسة التسامح الديني مع كل الشعوب التي امتد إليها الفتح الاسلامي يقول جولد تسيهر .

---

(١) سورة الكهف : آية ٢٩ .

(٢) سورة الغاشية : آية ٢١ ، ٢٢ .

(٣) سورة ق : آية ٤٥ .

(٤) سورة يونس : آية ٩٩ .

« سار الاسلام لكي يصبح قوة عالمية على سياسة بارعة ففي العصور الاولى لم يكن اعتناقه أمراً محتوماً فان المؤمنين بمذاهب التوحيد أي الذين يستمدون شرائعهم من كتب منزلة كاليهود والنصارى والزرادشتية كان في وسعهم حتى متى دفعوا ضريبة الرأس (الجزية) أن يتمتعوا بحرية الشعائر وحماية الدولة الاسلامية ، ولم يكن واجب الاسلام أن ينفذ الى اعماق أرواحهم انما كان يقصد الى سيادتهم الخارجية . بل لقد ذهب الاسلام في هذه السياسة الى حدود بعيدة ففي الهند مثلا كانت الشعائر القديمة تقام في الهياكل والمعابد في ظل الحكم الاسلامي »[1] .

ويذكر دوزي عن أهمية هذا التسامح في حديثه عن فتح الاندلس فيقول :
«ولم تكن حال النصارى في ظل الحكم الاسلامي مما يدعو الى كثير من الشكوى بالنسبة لما كانت عليه من قبل أضف الى ذلك أن العرب كانوا يتحلون بكثير من التسامح فلم يرهقوا أحداً في شؤون الدين . . ولم يغمط النصارى للعرب هذا الفضل بل حمدوا للعرب تسامحهم وعدلهم وآثروا حكمهم على حكم الجرمان والفرنج »[2] .

ان الاسلام ألزم المسلمين باحترام حق الغير في عقيدته فليس لأحد أن يكره غيره على اعتناق عقيدة خاصة وإذا أراد أن يعارضه في عقيدته فعليه أن يقنعه بالتي هي أحسن ويبين له الوجه في خطأ عقيدته عن اقتناع فان ثاب الى الحق فذاك وإلا فليس عليه الضغط ولا مجال ولا حق لأحد في استعمال القوة في هذا السبيل .

ومن مظاهر هذه الحرية التامة في المجال العقائدي التي أعلنها الاسلام أنه لا يلزم غير المسلمين بتطبيق أحكام الشريعة الاسلامية على واقع حياتهم لا سيما في الأحوال الشخصية فانهم يرجعون الى أحكام دينهم في هذا الموضوع .

ومهما يكن من أمر فان التاريخ لم ينقل أن الرسول (ص) قتل كتابياً لأنه لم يسلم ، أو عذبه أو سجنه او منعه من التعبد على طريقته نعم فرض عليهم الجزية وبعض الامور الاخرى التي ذكرتها كتب الفقه الاسلامي بالتفصيل وسنتحدث عنها

---

(١) مواقف حاسمة ص ٢٠ .
(٢) مواقف حاسمة ص ٢٠ ـ ٢١ .

في غضون هذا الكتاب ويتفرع على حرية العقيدة ما يلي :

أ ـ حرية الفكر :

وصف (ملتون) الشاعر الانكليزي الشهير الحرية الفكرية بقوله : « هي حرية اكتساب المعرفة وحرية النطق بها واعلانها ومناقشتها حسب ما يمليه عليه الضمير وهي فوق كل الحريات » .

ان الاسلام بكل اعتزاز وفخر فتح آفاق الكون أمام العقل ليتدبر ما فيه ويفكر في شؤونه ، ودعاه الى الانطلاق والى بث نشاطه وفعالياته ونعى عليه الخمول والجمود وقد استطاع رجال الفكر الاسلامي في هذا الجو العلمي ـ الذي فتحه الاسلام ـ الى الانطلاق في جميع ميادين العلوم فكانت بغداد والكوفة ويثرب منطلقاً الى البحوث الاسلامية والى المجادلة في علوم العقائد وغيرها حتى ازدهرت الحياة العلمية وبلغ المسلمون الذروة في علومهم ومعارفهم .

إن الحرية الفكرية قد رفع شعارها الاسلام لأنها المصدر الوحيد للتطور الفكري الذي هو احدى النواميس الاصيلة في هذا الوجود .

(ب) ـ حرية التعبير عن الرأي :

إن حرية التعبير عن الرأي نطقاً أو كتابة متممة لحرية الفكر ، ولكنها مشروطة بأن لا تكون منطلقاً الى بث المبادىء الهدامة والافكار المجافية لوحدة الامة وتراصها أو فيها اثارة للفتن أو القذف والتحقير لاي شخص أو جماعة أو تكون منافية للاخلاق والآداب العامة فان ذلك لا يسمح به الإسلام باي وجه من الوجوه لأنه يؤدي الى المفاسد والمشاكل بين صفوف المجتمع .

إن الإسلام اباح حرية ابداء الرأي وجعله حقاً طبيعياً لكل انسان فله حرية التكلم بما شاء ، وحرية المحاججة وحرية النقد للحكم القائم إذا شذ عن طريق الحق ولكنه لم يسمح بأن تستعمل هذه الحرية في العدوان على الغير يقول عبد القادر عودة .

« وحرية القول في الحدود التي وضعتها الشريعة تعود دون شك على الأفراد بالنفع والتقدم وتؤدي الى نمو الاخاء والحب والاحترام بين الأفراد والهيئات وتجمع كلمة الامة على الحق دون غيره وتجعلهم في حالة تعاون دائم وتقضي على النعرات الشخصية الطائفية » .

إن الإسلام أكمل الحرية ، واضفى عليها أروع المعاني حينما قيدها بعدم الإساءة الى الآخرين فقد حفظ بذلك توازن المجتمع ووحدة صفوفه وقضى على جميع الوان الشغب وضروبه .

٢ ـ الحرية السياسية

إن الحرية السياسية جزء أساسي من الحرية الإنسانية وقد عرفها (جون برجس) بقوله :

(الحرية السياسية ان يكون المرء عضواً فعالاً في الهيئة ذات السيادة في الدولة ، وفي الهيئة الداخلية بحيث تكون الفرصة متاحة له لأن تكون إرادته مسموعة وان يكون له أثر على سن القوانين ورسم سياسة للحكومة وذلك باستعمال حقوقه في حرية الكلام وحرية اقتراع القوانين) .

إن الإسلام منح الحرية السياسية للفرد ، والزم الدولة بتهيئة جميع وسائلها للمواطنين ، ولكن الحرية في سن القوانين ، ورسم سياسة للدولة ـ كما يراها (جون برجس) لا يتفق ذلك في ظل الحكومة الإسلامية الملزمة بأن تسير على ضوء الشريعة الإسلامية وليس لأحد حق التدخل في سن القوانين وتشريعها فإن الإسلام قد وضع جميع المناهج الحية للدولة ، واغناها عن سن القوانين واستيرادها .

وعلى أي حال فان الحرية السياسية يتفرع عليها ما يلي :

(أ) حرية الاجتماع :

جاء في اعلان حقوق الإنسان الدولي عن حرية الاجتماع ما نصه :

الفقـرة (١) من المادة الحـاديـة والعشـرين : ان لكـل إنسـان الحق في حـريـة الاجتماع وتكوين الجمعيات السلمية » .

إن حـريـة الإجتمـاع أمـر سـائـغ في الشـريعـة الإسـلاميـة ، فقـد نـدبت الى الإجتمـاع وحثت عليه وأمـرت به في جميـع المجالات ولكن يشتـرط فيـه أن لا يكـون مخلا بالآداب الإسـلامية ولا منـافياً للمصـالح العـامة أو يكـون منطلقـاً الى الشهوات فـإن الإسلام لا يسمـح بذلـك ولا يسيغه وذلـك لمـا فيـه من الاضـرار البـالغـة عـلى المجتمع .

(ب) ـ تأليف الجمعيات :

لا مـانع في الإسـلام من عقـد الجمعيـات وتـأسيسهـا فيـها اذا كـانت جمعيـات تعـاونية أو خيـرية أو تـطالب بالمصلحـة العامـة للبـلاد فـان ذلـك من أهم الأهـداف الاصيلة التي ينشدها الإسلام أما إذا كـانت تلك المؤسسات تتنـافى مقرراتهـا ومبادؤهـا مع الشريعة الإسلاميـة كالمؤسسـات الشيوعيـة التي تبث الافكار الإلحادية بين صفوف المجتمع فإن الاسلام لا يسيغها ويهيب بالمسلمين الى الاجهاز عليها وازالـة آثارهـا من البلاد .

٣ ـ الحرية المدنية :

ان الحرية المدنية هي إعـطاء الفرد الحـرية التـامة في مجـال العمل والسكنى التي تتفق مع ميوله ورغباته ، ونشير الى ما يتفرع عليها وهي :

(أ) ـ الحرية الشخصية :

ونعني بها حريـة الفرد في اختيـار العمل الـذي يريـده لكسب معيشته ، فله أن يمـارس الزراعـة والتجـارة وسـائـر الحـرف والمهن مـا لم يكن ذلـك العمـل محـرمـاً في الإسلام كصنع آلات اللهو والدخول في معامـل الخمر وغـير ذلك من المحـرمات فقـد نهي عن مزاولتها .

كما ان له الحرية في اختيار من يشاء من النساء لتكون زوجة له على أن لا تكون من المحرمات كالاخت والام والبنت وما ماثل ذلك من المحرمات المنصوص عليها .

كما أن له الحرية التامة في اختيار العلم الذي يزيد التخصص به ، ولا يحق لأحد التدخل في اموره وقسره على شيء من هذه الأشياء .

(ب) ـ حرية المسكن :

إن الانسان حر في اختيار البلد الذي يقيم فيه والمسكن الذي يريد أن يسكن فيه ما لم يكن ذلك البيت مغصوباً فانه يمنع من سكناه .

إن له الحرية في سكنى وطنه والنزوح عنه الى جهة أُخرى وليس لأحد أن يرغمه على الاقامة في بلد خاص .

٤ ـ الحرية الاقتصادية :

إن الحرية الاقتصادية هي اباحة تصرف الفرد في ملكه حيثما شاء فله أن يمارس أي لون من ألوان التجارة والصناعة ، التي تزيد في اتساع ثروته ، وعلى الدولة أن تقوم بحمايتها لتزدهر البلاد وتتقدم صناعتها وتجارتها ، وقد حدد الاسلام الحرية الاقتصادية ، وفرض عليها بعض القيود لأجل المصلحة العامة وذلك كمنعه من الربا والاحتكار والاستغلال والغش وغير ذلك من الامور التي توجب الضرر العام على المواطنين ويتفرع على هذه الحرية .

١ ـ الملكية الفردية :

ونعني بها ـ كما ذكرنا ـ حرية الشخص في استغلال ملكه والتصرف فيه حيث ما شاء وقد حدد الاسلام حرية التملك ونهى عن بعض وسائله لأجل المصلحة العامة كما سنذكر ذلك في غضون هذا الكتاب .

هذه بعض ألوان الحرية التي منحها الاسلام للانسان وقد سبق اوروبا في تأسيسها واعلانها يقول عبد القادر عودة .

« لقد سبقت الشريعة الاسلامية القوانين الوضعية في تقرير نظرية الحرية بأحد عشر قرناً لأن القوانين الوضعية لم تبدأ بتقرير هذه النظرية، إلا في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن التاسع عشر اما قبل ذلك فلم تكن هذه القوانين تعترف بالحرية بل كانت أقسى العقوبات تخصص للمفكرين ودعاة الاصلاح ولمن يعتقد عقيدة تخالف العقيدة التي يعتنقها اولوا الأمر ، هذا هو الواقع وهذه حقائق التأريخ فمن شاء بعد ذلك أن يعرف كيف نشأت الاكذوبة الكبرى التي تقول إن الاوربيين هم أول من دعا للحرية فليعلم أنها نشأت من الجهل بالشريعة الاسلامية وقد يعذر الاوربيون عن هذا الجهل أما نحن فلن نجد لأنفسنا عذراً »[1]

لقد منح الاسلام الحرية التامة للانسان واعتبرها ضرورة من ضرورات الحياة التي لا يستغنى عنها وبهذا ينتهي بنا المطاف عن الحرية في ظل النظام الاسلامي ، وبقي أن نشير إليها في ظل الأنظمة القائمة في العالم من الرأسمالية والشيوعية وإلى القراء ذلك .

في ظل النظام الرأسمالي :

إن أهم صور الحرية التي عني بها النظام الرأسمالي هي الحرية الاقتصادية فقد ضمن هذا النظام للفرد الحرية التامة في جميع مجالات الأرباح والتوسع المالي ، واعتبر الدولة مسؤولة عن حماية هذه الحرية للفرد وتهيئة جميع الوسائل التي تؤدي الى زيادة ارباحه وانتاجه .

إن حرية الفرد في استحصال الثروة هي الحجر الاساسي التي تبتني عليها الرأسمالية وقد ذهب إليها علماء الاقتصاد كآدم سميث ومالثوس وريكاردو ، واضرابهم ويسمى هذا المذهب بالمذهب الفردي لأنهم يعتبرون الفرد محور الحركة الاقتصادية الذي تدور عليه جميع اوضاعها واطوارها . . . فالحرية الاقتصادية عند الرأسماليين سبب لتنمية الانتاج ووسائله واتساع الثروة العامة في البلاد وعلى الدولة

---

(١) التشريع الجنائي في الاسلام ١ / ٣٦ ـ ٣٧ .

أن تـرفع جميـع الموانـع التي تؤثر عـلى حريـة الفرد فـان هذه الحـرية عنـدهم من أهم وسائل الحياة التي يجب الحفاظ عليها .

إن هذه الحرية التي ضمنها النـظام الرأسمـالي للمواطنـين قد عـادت بالاضـرار الهـائلة عـلى المجتمـع الانسـاني فقـد تكـدست ثـروات المجتمـع عنـد فئة قليلة من الرأسماليين أخذت تتحكم في مصير العالم وتزجه في الحـروب المدمـرة من أجل زيـادة أربـاحهـا فقـد كـان لهـا ضلع كبير في اثـارة الحـرب العـالميـة الاولى والثـانيـة ، لأن بضائعهم أخذت تتزاحم في الاسواق العالمية فلم يجدوا مجالاً لتصـريفها . إلا بـاشعال نار الحرب في العالم .

إن الحـرية الاقتصادية التي تبنـاهـا النـظام الـرأسمـالي قـد أدت الى اضـطهـاد العمال وارهاقهم فقد قامت الشركات الرأسمالية باحتكـار جهودهم ونهب امكـانياتهم وعانت الأغلبية الساحقة منهم أمرّ الوان البؤس والشقـاء فقد الم بهـا المرض والحـرمان وسـدت في وجوههـا جميع نـوافذ الحيـاة فلم تظفـر بالـراحة ولا بـالدعـة ولا بـالعيش الـرغيد الامـر الذي ادى الى شيـوع الاضرابـات العامـة في صفوف العمـال مطالبـين بـزيادة الاجـور وتحسين حـالتهم الاقتصاديـة وقـد ذكـرنـا سـوء حـالهم ومـا منـوا بـه بالتفصيل في كتابنا « العمل وحقوق العامل في الإسلام » .

في ظل النظام الشيوعي :

وصودرت جميع الحريات في ظـل النظام الشيـوعي فلم يعدلهـا اثر في ظـل ذلك النـظام الرهيب الـذي فرض طـاعته بقـوة الحديـد والنـار فـالشعب الخـاضـع للحكم الشيوعي لا يتمتع بأي لون من ألـوان الحريـة ، قد تسلطت عليـه زمرة حـاقدة تحصي عليه أنفاسه ، وتحاسبه على كل همسة تتنـافى مع التعـاليم الشيوعيـة ، وحسابهـا القتل والاعتقال ، والسجون .

ان الحريات التي يتغنى بها كل شعب من حرية الاديـان وحريـة النقد ، وحـرية الصحافة ، وحـرية الاجتمـاع ، وحريـة النقل والانتقـال لا وجود لهـا في ظل النـظام الشيوعي وقد ادلى لينين بعدم السماح للمواطنين في اعطائهم الحرية يقول :

« نحن لا نستطيع أن نأخذ بآراء المخبولين الذين يطالبون بالحرية فنحن في ظل ديكتاتورية البروليتريا لا نستطيع أن نمنح المواطنين حريتهم السياسية »[1] .

ان اقصاء الحريات العامة في النظام الشيوعي أمر ضروري فان الشعب إذا منح حرياته فلا يعقل أن يخضع لذلك النظام الرهيب الذي تمجه الطباع وتأباه الافكار ، فليس فيه قانون يحمي جماهير الشعب ويحقق رغباتهم في التمتع بالحرية وقد صرح بذلك لينين بقوله :

« يقع كثير من الناس في خطأ فاحش هو الاعتقاد بأن القوانين يجب أن تحمي الحريات ونحن نرد على هؤلاء البلهاء قائلين بأن القوانين لا توضع لحماية الحريات ، وانما توضع لحماية الدولة »[2] .

وتحدث (مسيمو) عن الحرية في ظل الحكم الشيوعي فقال :

« إنه لا وجود عندهم لحرية القول أو لحرية الاجتماع ، ولا لأي اجراءات تمكن المواطنين من ممارسة أية رقابة على السلطات العامة والخطب التي تمثل رأي جانب واحد تأخذ عندهم مكان المناقشات العامة فحكومة الاقلية الصغيرة التي تتألف من الهيئة التنفيذية للحزب الشيوعي لا تدير شؤون الدولة فحسب بل تمتد سلطتها الى ادارة دفة الاقتصاد والتعليم فهم يتحكمون في النشاط الديني والثقافي وفي أوقات الفراغ ، وهم يدعون أنهم يقومون بهذا العمل نيابة عن الشعب مع أنه لا وجود عندهم لانتخابات حرة تمكن الشعب من التعبير عن رغباته الحقة ، ويقولون ايضاً انهم يعملون على اسعاد رعاياهم »[3] .

ان الاستعباد يسير مع الحكم الشيوعي جنباً الى جنب ، وقد برهنت اعمالهم على وجود نقص مركب وعقدة نفسية عندهم مصدرها ضعف القاعدة التي يستندون إليها فالتجأوا الى الارهاب والعنف والتهديد في جميع شؤونهم ، وعلينا أن نشير الى

---

(١) العمل وحقوق العامل في الاسلام ص ١٩٦ نقلا عن النظام الشيوعي .
(٢) النظام الشيوعي ص ٢٨ .
(٣) مذهب الاحرار ص ٥٩ .

بعض الامور التي صودرت فيها الحرية ، واقصي ظلها عن المجتمع الخاضع للنظام الشيوعي وهي :

١ ـ التنكر للاديان :

وتنكر الشيوعيون لجميع الأديان ، واعتقدوا أنها خرافة ، وانها من وضع الإنسان فلم يعد ثمة مجال للتبشير في الاديان أو للاعلان عن بعض مبادئها ، فقد جاء في المادة الرابعة والعشرين من دستور ستالين على منع الحرية الدينية منعاً باتاً من البلاد ، ونصت القوانين الموضوعة عام (١٩٣٩) على ما يلي :

١ ـ ضرورة تسجيل الجمعيات والمنظمات الدينية .

٢ ـ منع الهيئات الدينية في تشكيل انفسها في جماعات تعاونية أو جماعية .

٣ ـ حظر الاجتماعات الدينية الخاصة ، واجتماعات المصلين .

٤ ـ عدم السماح للهيئات الدينية بالاحتفاظ عندها باي نوع من أنواع الكتب الدينية .

٥ ـ حظر بناء امكنة جديدة لممارسة الشعائر الدينية .

وصرح لينين عن خطة الحزب الشيوعي مع الأديان بقوله :

« إن من اهداف حزب العمال الديمقراطي الاشتراكي في روسيا هو أن يحارب بلا هوادة كل نزعة دينية في أفئدة العمال إن منهاجنا يتضمن بالتالي الدعوة للالحاد »[١] .

وقال ستالين : « نحن ملحدون . . ونحن نؤمن بأن فكرة الله خرافة ونحن نؤمن بأن الإيمان بالدين يعرقل تقدمنا . . . ونحن لا نريد أن نجعل الدين مسيطراً علينا لأنا لا نريد أن نكون سكارى »[٢] .

---

(١) الاشتراكية والدين تأليف لينين

(٢) النظام الشيوعي ص ٥٣ .

إن الشيوعية والدين ضدان لا يجتمعان فإذا ولج أحدهما خرج الآخر من النافذة ـ كما يقول شكسبير ـ وقد بذلت الحكومات الشيوعية جميع جهودها على اقصاء الدين عن شعوبها والتنكيل برجاله وزعمائه الروحانيين والفت مئات الكتب في السخرية بالأديان والتهجم عليها كما استخدمت جميع أجهزة الدعاية لهذا الغرض واصدرت عشرات الصحف والمجلات والنشرات التي تحمل طابع الكفر والالحاد بالله ، فالحرية الدينية التي هي ضرورة من ضرورات الحياة لا وجود لها في ظل ذلك الحكم الأسواد المبني على العنف والطغيان والاستبداد .

٢ ـ الرقابة على الصحافة :

وفرضت السلطات الشيوعية الرقابة الشديدة على الصحافة فلا تطبع أي صحيفة أو نشرة الا بمراقبة السلطة لجميع موادها خوفاً من أن يكون فيها شيء يتنافى مع التعاليم الشيوعية لقد اقصيت الحرية عن الصحافة وكبلت بالقيود والاغلال فلا تمثل الا الوجهة الماركسية ، ولا تعبر عن رغبات شعوبهم وأماني رعاياهم ونسوق الى القراء كلمات اقطاب الحزب في هذا الموضوع ، قال ستالين : سنة (١٩٢٧) : « يجب أن تخضع الصحافة ودور النشر خضوعاً مطلقاً لا تساهل ولا تسامح فيه ـ للأجهزة الشيوعية » وقال ستالين : سنة (١٩٢٧) : « ويجب أن يكون مفهوماً اننا لن نصرح في أي وقت من الاوقات بأننا نؤمن بمنح حرية الصحافة إلا للطبقة التي نحكم باسمها » وقال ستالين : سنة (١٩٣٩) » : إن الصحافة مجرد جهاز مساعد أو جهاز إضافي من أجهزة الحزب الشيوعي . . ونحن لا نستطيع أن ندع الصحافة تفلت من أيدينا ، لأن الصحافة هي التي تنشر آراءنا وتساعدنا على تثقيف الناس بطريقة شيوعية » .

وقال لينين سنة (١٩٢٠) : « يجب أن يكون مفهوماً أن حرية الصحافة لا تعني في نظرنا إلا حرية اختيار الوسيلة التي يلجأ إليها الصحفيون في التبشير بمبادئنا الشيوعية ، ولا تعني هذه الحرية باية حال من الأحوال الحق في الترويج للآراء التي لا تتفق مع الآراء الماركسية » .

وقال لينين سنة (١٩٢٠) : « هناك حمقى وجهلاء يظنون أن حرية الصحافة تعني حرية نشر الآراء أيا كان لونها وانني أرد على هؤلاء الحمقى والجهلاء قائلاً ان حرية نشر الآراء المعارضة لآرائنا لا تعني إلا حرية السماح لاعدائنا بالقضاء على آرائنا ومذهبنا » .

وقال لينين سنة (١٩٢٠) : « دعوني اوضح لكم بصراحة أن الشيوعي الثوري المحترف هو ذلك الذي لا يؤمن بمنح الصحفيين ـ داخل بلادنا ـ الحرية في قول كل شيء . . . ذلك ان الصحافي غير المتمرس بالشيوعية ومبادئها لا يستطيع أن يعرض مبادئنا عرضاً سليما وإذا تركنا لمثل هذا الصحفي الحبل على الغارب فانه قد يلحق بنا الضرر في الوقت الذي يخيل إليه انه يدافع عنا . . . ولهذا يجب أن يكون اعضاء الحزب (الشيوعي) هم وحدهم الذين يتمتعون بحرية الصحافة » .

وقالت جريدة (برافدا) الناطقة بلسان الحزب الشيوعي السوفيتي في عددها الصادر في ١٨ اكتوبر سنة (١٩٤٦) : « تعلمنا من ستالين ان الصحافة هي الجهاز الذي يدرب الناس على الأخذ بتعاليم ماركس ولينين . . . ويجب على الصحافة أن تكون صحافة شيوعية حتى تكون الآراء التي تنشرها متمشية تماماً مع العقلية التي تملي عليها ما تكتب »[١] .

الى غير ذلك من التصريحات التي اعترف بها اعضاء القيادة العليا للحزب الشيوعي ، وهي تدل بوضوح على استهانة هذا الحزب بحقوق الانسان وكرامته وتجاهله لأبسط القضايا العادلة ، فأي مهزلة يبلغ اليها العقل البشري أفظع من هذه المهزلة التي انتهى إليها الحزب الشيوعي المجافي للعلم والثقافة ، ومع ذلك يهتف الشيوعيون بأنهم من أنصار العلم ومن دعاة التقدم .

وكما فرضت روسيا الرقابة على الصحف والمجلات وسائر ما ينشر في البلاد كذلك فرضت الرقابة الشديدة على دور العلم ومعاهد الثقافة فقد بثت فيها العيون والجواسيس وهي تحصي على الهيئات العلمية انفاسها وتراقب جميع شؤونها

---

(١) اقتبسنا هذه التصريحات من النظام الشيوعي ص ٣٥ ـ ٣٧ .

خـوفاً من أن يكـون فيها عنصر معـاد للسلطة الحـاكمـة أو يـدعـو الى تفنيـد المبـادىء الماركسية .

لقـد ارصدت روسيـا وسائـر الدول الشيـوعية الأمـوال الـطائلة من ميـزانيـاتهـا العـامة للتجسس عـلى شعوبهم ومـراقبة أعمـالهم ، وسائـر تصرفـاتهم ، وقـد انهكت شعـوبها بـذلك ، وارهقتهـا الى ابعد الحـدود فخيم عليها الخـوف والذعـر والفـزع ، وأصبـح الشعب لا يعرف معنى لحـرية الفكـر والقول قـد أكـرهـه النـظام عـلى طـراز خاص في الحياة والتفكير .

٣ ـ استعباد العمال .

إن العامل في ظـل النظام الشيـوعي لا كرامـة له ، ولا حـرية ولا اختيـار له ، قـد احاط بـه الارهاب والعنـاء فقد فـرضت عليه القـوانين القـاسيـة التي لا تـطاق ، فليس لـه الحريـة في الانتقال من مكـان الى آخـر وليس لـه أن يختـار عمـلا يتفق مـع ميـوله ورغبـاته ، وانمـا أمر ذلـك كله بيد الحـزب ، ونشير الى بعض التشـريعات التي صـدرت في حق العمال وهي تكفي لاظهـار مـدى القسـوة في معـاملتهم فقـد صـدر مرسوم في ١١ اكتـوبر سنـة (١٩٣٠) ينص على أن العـامل يجب أن يقبـل أي عمل يعهـد بـه إليـه في أي بلد وفي أي مكـان ، وصـــدرت مـراسيم في ٢٤ ستمبـــر سنـة (١٩٣٠) و ٩ اكتـوبر سنـة (١٩٣٠) و ١٠ اغسـطس سنـة (١٩٤٠) تنص هـذه المـراسيم على تحـريم تخلي العـامل عن عمله من تلقـاء نفسه والا فـإنه يعـد هـاربـاً ، ويحكم عليه بأن يقضي عشرة اعوام في معسكرات العمل الاجباري .

وينص المـرسوم الصـادر في ١٦ ديسمبر سنـة (١٩٣٢) والمـرسـوم الصـادر في ٢٦ يونيو سنة (١٩٤٠) على أن العامل إذا غـاب يومـاً واحداً فـإنه يفصـل من عمله ويحـرم من بطاقـة الاتحاد المثبتـة لمهنته والتي تعـطيه حق السكنى والغـذاء ، ويتعـرض للحكم عليه بالسجن مدة تتراوح ما بين ستة اشهر الى سنة .

وينص المـرسوم الصـادر في اول يونيـو سنة (١٩٣٢) والمـرسـوم الصـادر في ٣ يـونيو سنـة (١٩٤٢) على أن العمـال مسؤولون مـالياً عن أي ضـرر يخل بـالمصنع أو

بالأدوات بحسب تقدير مدير العمل فقط ، وقد يصل ما يقتطع من أجر العامل الى عشرة أمثال ما تلف أوضاع .

وينص القانون السوفيتي الأعلى الصادر في ٢٦ يونيو سنة (١٩٤٠) على أن من حق مدير العمل أن يفرض عقوبة السجن على العامل لمدة اربعة اشهر من دون تحقيق ولا محاكمة .

وبعد سن هذه القوانين القاسية فأين الحياة الحرة الكريمة التي يتمشدق بها الشيوعيون ، وأين الوطن الحر والشعب السعيد في ظل هذه الاحكام الجائرة التي تحمل طابع الموت والدمار ، وقد اوضحنا حالة العمال وما يقاسونه من العذاب الأليم في ظل الحكم الشيوعي في كتابنا « العمل وحقوق العامل في الإسلام » .

إن المبدأ الشيوعي قد تنكر لجميع مظاهر الحرية الشخصية ، فلم يقر حرية الرأي ، ولا حرية العقيدة والقول ولا الحرية المدنية وقد حارب بذلك اهم وسائل الحياة لأن الإنسان الذي يعيش من دون حرية انما يعيش عيشة السجين والمعتقل .

إلى هنا ينتهي بنا الحديث عن الحرية ، وقد رأينا ان الإسلام اقر جميع مظاهرها والوانها ، وهو السابق لتأسيسها قبل ان تعلنها الثورة الفرنسية ، وتقرها هيئة الامم المتحدة .

٢ ـ المساواة :

إن الإسلام أسبغ نعمة المساواة على الإنسانية بصورة لم يسبق لها نظير في تاريخ المجتمع العالمي ، فقد أعلن المساواة العادلة ما بين الافراد والجماعات ، وما بين الاجناس فلا فضل لابيض على اسود ، وما بين الحاكم والمحكوم فلا ميزة لحاكم على محكوم فالناس في شريعة الإسلام سواسية كاسنان المشط لافضل لبعضهم على بعض إلا بالتقوى يقول الاستاذ جيب :

« ان الإسلام هو الدين الوحيد الذي ما زال في قدرته أن ينجح نجاحاً باهراً في تأليف العناصر والاجناس البشرية المتنافرة في جبهة واحدة اساسها المساواة ، وإذا

وضعت منــازعـات الشــرق والغـرب مــوضـع الــدرس فـلا بــد من الالتجـاء الى الإسلام »[1] .

ويقول جواهر لال نهرو :

إن نظرية الاخوة الإسلامية والمساواة التي كـان المسلمون يؤمنـون بها ويعيشــون فيها أثرت في اذهان الهندوس تأثيراً عميقاً ، وكان أكـثر خضوعـاً لهذا التـأثير البؤسـاء الذين حرم عليهم المجتمع الهندي المساواة والتمتع بالحقوق الإنسانية » .

إن الإسـلام قد قضى عـلى جميع الفـوارق الجنسية والفـوارق العصبيـة التي هي المصدر في تناحـر الطبقـات واوجد نـوعاً من الـروابط المقدسـة بين المسلمـين وغيرهم اساسها المساواة العادلة بينهم يقول الفيلسوف الانجليزي « توماس كارليلي » :

« إن في الإسلام خلة من أشرف الخلال واحبها وهي المساواة بين الناس » .

وليس المقصـود من المسـاواة التي أعلنهـا الإسـلام هي المسـاواة الـطبيعيــة بـين الناس وهي تساويهم في اللون والشكل فإنها غـير ملحوظـة في نظر الإسـلام ولا يعقل ارادتها ووجودها فان النـاس قد خلقـوا غير متسـاويين في اللون والشكـل والتكوين ، والعقـل والذكـاء وفي الاخلاق والميـول والطبـائع ويستحيـل التسـاوي بينهم من هـذه الجهة .

كـما ان المقصود من المسـاواة ليس هو المسـاواة بين النـاس في المعيشة فـان ذلك أمر غير ممكن وفي الحديث « لو تسـاويتم لهلكتم » وقد أرادت روسيـا في عهد ستـالين تطبيق المساواة في الاجور على مسـرح الحياة العمـالية في بـلادها ففشلت في ذلـك لأنه أوجب شـل الحـركـة الاقتصـاديـة وذيـوع الكسـل والخمـول بـين صفـوف العمـال ، وتعـرضت البلاد للمجـاعة الشـاملة فقرر ستـالين عـلى إلغاء ذلـك وخطب بعـد حملة التطهير الدامية التي حصد بها رؤوس خصومه ومعارضيه في هذا الرأي قال :

« إن هؤلاء يحسبون أن الاشتراكية تستلزم المسـاواة في الاجر ألا مـا أسخفه من

---

(١) حيثما يكون الإسلام .

رأي إن المساواة التي نادوا بها أضرتنا أكبر الإضرار »[1] .

وقرر ستالين في المؤتمر الذي عقده سنة (١٩٣١) ان الانهيار الاقتصادي الذي منيت به روسيا كان من جراء تطبيق المساواة بين العمال في الأجر فقال :

« إن سير التقدم قد تعثرت خطاه نظراً للطريقة التي يسير إليها العمل من إهمال وتكاسل ، وأضاف يقول : إذا أردنا المقدرة الصناعية فلا بد أن يكون الأجر على درجات تحدد الفروق بين العمال تحديداً دقيقاً ، ويجب ان يحدد الأجر لا بحسب حاجة العامل بل بحسب ما أتم من عمل » .

لقد عدل الشيوعيون عن مبدأ المساواة في توزيع السلع الاستهلاكية حسب حاجة الأفراد وقد ألغوا بذلك الشعار الذي طبلوا له وأغروا به السذج والبسطاء « من كل حسب حاجته » وأصبح المبدأ المعمول به عندهم « من كل حسب قدرته ولكل حسب ما يؤديه من عمل »[2] .

إن المساواة في الاجور بين العمال أنفسهم وبين غيرهم من سائر الطبقات الاجتماعية أمر غير ممكن ، ولا تحتمله الحياة ، وعلينا أن نشير الى بعض مظاهر المساواة التي منحها الاسلام للانسان وهي :

١ ـ المساواة الاجتماعية :

إن الإسلام قرر المساواة الاجتماعية بين المسلمين جميعاً وفرضها عليهم قال تعالى : ﴿ **يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم** ﴾[3] .

لقد روى ابن عباس أن السبب في نزول هذه الآية أن أحد الموالي خطب امرأة من بني بياضة فأشار النبي (ص) على أهلها أن يزوجوها منه فقال له :

---

(١) العمل وحقوق العامل في الاسلام ص ٢١٩ .

(٢) العمل وحقوق العامل في الاسلام ص ٢١٠ .

(٣) سورة الحجرات آية ١٣ .

« يا رسول الله ، أنزوج بناتنا موالينا ؟ » .

فنزلت على النبي هذه الآية الكريمة وقد حطمت العادات الجاهلية التي تقضي بتفوق بعض الطبقات على بعض ، وعدم صلاحية الموالي للمصاهرة فألغى الاسلام ذلك واعتبر المسلمين اسرة واحدة لا فضل لأحد منهم على أحد ، وقد سار أئمة أهل البيت (ع) على هذه الخطة المثالية ، وضربوا للناس أمثلة عملية على ذلك ، فقد أعتق الامام زين العابدين (ع) جارية له ، وبعد العتق تزوج بها ، وقد انتهز ذلك عبد الملك بن مروان فبعث الى الإمام رسالة يندد فيها بصنع الامام ويعيب عليه ذلك وقد جاء فيها :

« أما بعد : فقد بلغني تزويجك مولاتك ، وقد علمت أنه كان في اكفائك من قريش من تمجد به في الصهر وتستنجبه من الولد فلا لنفسك نظرت ولا على ولدك أبقيت والسلام . . . »

ولما مثلت هذه الرسالة بين يدي الامام (ع) نظر إليها فرأى روح الجاهلية ماثلة في سطورها وحروفها فرد عليه برسالة بين فيها مبادىء الإسلام وأهدافه وهذا نصها :

اما بعد : فقد بلغني كتابك تعنفني بتزويجي مولاتي ، وتزعم أنه كان في نساء قريش من أمجد به في الصهر واستنجبه في الولد ، وأنه ليس فوق رسول الله (ص) مرتقى في مجد ولا مستزاد في كرم ، وإنما كانت ملك يميني خرجت مني بأمر أراده الله عزّ وجل التمست فيه نوابه ثم ارتجعتها على سنته ومن كان زكياً في دينه فليس يخل به شيء من أمره ، وقد رفع الله بالإسلام الخسيسة ، وأتم به النقيصة ، واذهب اللوم فلا لوم على امرىء مسلم إنما اللوم لوم الجاهلية »[1] .

ودل الإمام (ع) خصمه العنيد على الشرف الواقعي والفضل الحقيقي فانه يحوم حول طاعة الله والتمسك بمعالم الدين وأهدافه ، وأي نقص على الإمام حينما تزوج بأمة مسلمة بعدما اعتقها فإنه لم يخالف بذلك كتاب الله ولا سنة نبيه ، فقد

---

(١) حياة الامام موسى بن جعفر ١ / ١٣ ـ ١٤ .

جعل الاسلام المسلم كفء المسلمة ، لقد زوج رسول الله (ص) بنت عمته زينب وأمها بنت عبد المطلب من غلامه ومملوكه وعتيقه زيد بن حارثة ، وقد قضى بذلك على يسئة التعالي بالانساب .

إن الاسلام قد قضى على نخوة الجاهلية وتفاخرها بالآباء والأنساب يقول النبي (ص) :

« كلكم بنو آدم وآدم من تراب ،ولينتهين قوم يفخرون بآبائهم ،او ليكونن أهون على الله تعالى من الجعلان »[1] .

ويقول (ص) : « يا أيها الناس ، ان الله قد اذهب عنكم عيبة الجاهلية ، وتعاظمها بآبائها ، فالناس رجلان رجل برٌ تقي كريم على الله تعالى ، ورجل فاجر شقي هين على الله تعالى »[2] .

لقد وضع الاسلام قواعد المساواة على أساس الفطرة الانسانية السليمة فلم يميز قوماً على آخرين إلا بالتقوى والعمل الصالح يقول الامام زين العابدين (ع) :

« إن الله خلق الجنة لمن أطاعه ، ولو كان عبداً حبشياً ، وخلق النار لمن عصاه ولو كان سيداً قرشياً » .

ويقول النبي (ص) مخاطباً لاسرته :

« يابني هاشم ، لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بانسابكم تقولون نحن ذرية محمد (ص) » .

وقد قضى النبي (ص) بذلك على داء التفاخر بالانساب الذي كان مستحكماً في ذهنية العرب يقول (ص) مخاطباً لبعض أصحابه : « انظر فانك لست بخير من أحد ولا أسود إلا أن تفضله بتقوى الله » وخاصم عبد أسود من عامة الناس عبد الرحمن بن عوف وهو من كبار الشخصيات اللامعة فغضب عبد الرحمن منه وقال

---

(١) تفسير ابن كثير ، سورة الحجرات .

(٢) رواه ابن أبي حاتم .

له : يا ابن السوداء .

فلم سمع النبي (ص) هذا التنابز منه اندفع وهو مغيظ قائلاً له :

« ليس لابن بيضاء على ابن سوداء سلطان إلا بالحق » .

إن التفاخر بالعنصرية او بالآباء إنما هو سلاح الضعفاء الذين لم يؤتوا موهبة العمل ولو كان لذلك أهمية او قيمة في رفع كيان الشخص لما جعل الله الانسان منوطاً بعمله في ذلك اليوم الذي لا يسأل فيه مولود عن والده ولا والد هو مسؤول عن مولوده .

إن الإسلام جعل أساس التمايز والتفاوت بالتقوى وعمل الخير لا بمجد الآباء والأجداد ، ولا بالمال والمتاع ، ولا بغير ذلك من زخارف الحياة .

إن المساواة التي أعلنها الإسلام تشتمل على جميع عوامل النهوض والارتقاء ، وتحتوي على جميع وسائل التعاون والتآزر والتآلف ، والإنسانية في حاجة لها أكثر من حاجتها الى غيرها من مقومات الحياة لأنها توطد دعائم السلم في الارض وتقضي على اسباب الاعتداء والخصومات فان الحروب بين الدول ، والعداوات الناشئة بين الأفراد والجماعات إنما تنشأ على الأكثر ، وتتولد في الغالب من الفروق البارزة بينها ، ومن تعالي البعض على الآخر وتظاهر قوم على آخرين بالجاه والاعتبار ، ولإبادة هذه الفروق نادى الإسلام بالمساواة ، ودعا إلى الصفاء والوئام حتى لا يبقى في النفوس أثر للحزازات والنعرات .

٢ ـ المساواة أمام القانون :

وألزم الإسلام بالمساواة بين جميع الناس أمام القانون بلا فرق بين الرئيس والمرؤوس ، ولا بين القوي والضعيف والشريف والوضيع وقد أعلن ذلك الرسول الأعظم (ص) وطبقه على واقع الحياة سئل (ص) أن يعفو عن سارقة لشرف أسرتها فأجاب (ص) :

« إنما هلك من كان قبلكم لأنهم كانوا اذا أذنب الضعيف فيهم عاقبوه ، واذا

أذنب الشريف فيهم تركوه ، والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها »[1] .

ولما شعر (ص) بدنو أجله ، ومفارقته لهذه الحياة خرج (ص) وهو مريض فاعتلى اعواد المنبر وخطب بين المسلمين ، وبيّن لهم مدى المساواة التي ينشدها فقال (ص) :

« أيها الناس من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقد مني ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقد مني ، ومن أخذت له مالا فهذا مالي فليأخذ منه ، ولا يخشى الشحناء من قبلي فانها ليست من شأني ألا وإن احبكم إلي من أخذ مني حقاً إن كان له أو حللني فلقيت ربي وأنا طيب » .

ثم نزل عن المنبر فصلى صلاة الظهر ثم رجع الى المنبر واعاد مقالته الاولى[1] لقد اعلن النبي (ص) المساواة العادلة أمام القانون بلا فرق بينهم في ذلك وهذا هو جوهر المساواة واساس التسوية بين الناس ، ويتفرع على التسوية أمام القانون التسوية أمام القضاء فقد جرت السنة الإسلامية على محاكمة الخلفاء والولاة وتقديمهم الى ساحة القضاء فيما اذا كان لهم خصم وإذا كانت لهم دعوى على أحد فإنهم يرفعون أمرهم الى القاضي ليحكم بينهم فهذا الإمام أمير المؤمنين (ع) في ايام خلافته فقد درعا له فوجده عند يهودي فادعى ملكيته فرفع الامام (ع) أمره الى القاضي فحكم لصالح اليهودي فما تأثر الامام (ع) وانصاع للقضاء ، ولقد خاصمه يهودي في ايام الخليفة الثاني عمر بن الخطاب فقال له عمر :

قم يا ابا الحسن وقف مع خصمك .

فتغير وجه الامام (ع) وبعد الانتهاء من المرافعة قال له عمر :

يا ابا الحسن لعله ساءك أمري أن تقف مع خصمك اليهودي .

قال (ع) : « كلا ، وإنما ساءني انك كنيتني ، ولم تساو بيني وبين خصمي ، والمسلم واليهودي أمام الحق سواء » .

---

(١) الخراج لأبي يوسف ص ٥٠ .

(١) الكامل لابن الاثير ٢ / ١٩٤ .

لقد الزم الإسلام بالمساواة العادلة بين الخصمين في مجلس القضاء فلا يصح تقديم احدهما على الآخر ونشير الى بعض تلك الصور الرائعة من المساواة التي نص عليها الفقهاء في كتاب القضاء وهي :

١ ـ التسوية بين الخصمين في السلام ، فليس للقاضي أن يخص أحدهما بالسلام ويعرض عن الآخر كما أنه اذا سلما يجب عليه رد السلام عليهما ، ويلزم بالمساواة بينهما في أداء التحية والتكريم .

٢ ـ المساواة بينهما في الكلام فليس له أن ينطلق في كلامه مع احدهما ويسكت عن الآخر .

٣ ـ المساواة في الإذن بالدخول عليه ، وليس له أن يأذن لشخص ويحجب الآخر .

٤ ـ التسوية بينهما في التكريم فإذا قابل أحدهما بالقيام تكريماً لزمه أن يقوم للآخر .

٥ ـ التساوي بينهما في المجلس فلا يجوز له ان يرفع أحدهما في المجلس على صاحبه بل يتساويان في الجلوس بين يديه .

٦ ـ التسوية بينهما في طلاقة الوجه .

٧ ـ الاستماع لكلامهما ، وليس له ان يسمع كلام أحدهما ولا يسمع كلام الشخص الأخر .

٨ ـ ان يستعمل الانصاف والعدل بينهما .

ويستحب للقاضي أن يساوي بينهما حتى في الميل القلبي كما يكره أن يخص أحدهما بالخطاب وذلك لما فيه من الترجيح الذي أقل مراتبه الكراهة[١] .

إن هذه المساواة التي أعلنها الإسلام وشرعها في عالم القضاء وغيره لا يوجد لها نظير في سائر الأنظمة الاخرى التي فقدت التوازن والعدل ولم تساو بين الناس في

---

(١) اللمعة كتاب القضاء .

المناحي التشريعية ولا في غيرها وعلينا أن نشير الى بعض صور تلك التشريعات المجافية لروح العدل والمساواة وهي :

(أ) تمييز رئيس الدولة :

واعتبرت جملة من الأنظمة رئيس الدولة سواء أكان ملكا أم رئيساً للجمهورية ، غير خاضع للقانون بحجة إنه مصدر السلطات العليا في الدولة وإنه مصدر القانون فلا يخضع له ، وقد اعتبر ذلك الدستور الدانمركي ، والدستور الاسباني قبل اعلان الجمهورية ، واعتبر الدستور الانجليزي ان ذات الملك مصونة ومقدسة لا تسأل عن شيء كما انها لا تخطي ، وفي الدستور البلجيكي والمصري أن ذات الملك لا تمس بشر وكذلك كان الحال في ايطاليا وفي رومانيا قبل الغاء النظام الملكي .

وقد استمر الوضع على صيانة الملك وعدم مسؤوليته عن أي خيانة او جرم حتى القرن التاسع عشر فأعلن الدستور الفرنسي مسؤولية رئيس الجمهورية جنائياً في حالة واحدة وهي الخيانة العظمى للشعب وكذلك إجازة دستور تشكوسلوفاكيا التحقيق مع رئيس الجمهورية في حالة الخيانة العظمى ، وكذا غير هذه الدول قد غيرت بعض الشيء في دساتيرها فيما يتعلق بصيانة رئيس الدولة .

(ب) تمييز رؤساء الدول الاجنبية :

وتعفي القوانين الوضعية رؤساء الدول الأجنبية ملوكاً كانوا أو رؤساء جمهوريات من أن يحاكموا على ما يرتكبونه من الجرائم في أي بلد آخر غير بلادهم سواء دخلوه بصفة رسمية أو متنكرين وهذا الاعفاء يشمل جميع حاشية الملك او رئيس الجمهورية ، ودليل الواضعين لذلك ان محاكمة هؤلاء لا تتفق مع ما يجب من تكريم الضيف وتوقيره واحترامه وهو دليل لا يستقيم مع المنطق بأي وجه لأن رئيس الدولة الذي يلقي بنفسه الى هذا المستوى السحيق قد خرج عن قواعد الضيافة والاحترام ،ومثل هذا يقال في حاشيته .

(ج) ـ تمييز السلك السياسي :

وعفت القوانين الوضعية المفوضين السياسيين الذين يمثلون الدول الأجنبية من

أن يسـري عليهم قانـون الدولـة التي يعملون فيها ، ولا يختص بهم هـذا الاعفاء بـل يشمـل حاشيتهم واعضـاء اسرهم وحجـة الواضعـين لـذلـك ان الممثلين السيـاسيـين يمثلون دولهم أمـام الـدولــة التي يعملون في أرضهـا وليس لــدولـة عــلى اخـرى حق العقاب ، وان الاعفاء ضـروري لتمكينهم من أداء وظائفهم فـان محاكمتهم تؤدي الى تعطيل اعمـالهم ، وهاتـان الحجتان واهيتـان فإن الممثلين السيـاسيين ليسـوا إلا أفراداً من رعـايا دولـة أجنبيـة ، وإن للدولـة حق العقـاب عـلى رعـايـا الـدول الأجنبيـة إذا ارتكبوا جريمة في أرضها ولا يمكن أن يعـطل سريـان القانـون على الممثـل السياسي مـا دام يحترم القانون ويطيعه ولا يعرض نفسه للوقوع تحت طائلته .

(د) ـ تمييز اعضاء الهيئة التشريعية :

وعفت القـوانين الـوضعية ممثـلي الشعب في البلاد النيـابية من العقـاب على مـا يصـدر منهم من الاقوال أثنـاء تأديـة وظائفهم ، وقـد أخـذ الـدستـور المصـري بهـذا الاتجـاه فمنع من مؤاخذة اعضاء البـرلمان عـلى ما يبـدونـه من الافكـار[1] ومعنى هـذا اعفـاؤهم من المسؤولية تجـاه الجرائم القـولية والكتـابية ، والمقصـود من هـذا الاعفـاء اعـطاء اعضاء البـرلمان مقـداراً من الحريـة يساعـدهم على اداء وظـائفهم إلا ان هـذا الاعفاء اعتداء صارخ على مبـدأ المساواة ، لأن هنـاك مجالس نيـابية اخـرى كمجالس المديريات العامة والحال انه ليس لاعضائها حق التمتع بمثـل هذه الحصـانة وهنـاك من المـوظفين الـذين يشتغلون بالمسـائل العـامة التي تهم البـلاد والحال إنـه ليس لهم هـذا الحق .

(هـ) ـ تمييز الاغنياء :

وميـزت القوانـين الوضعيـة الاغنياء عـلى الفقـراء في كثـير من الحـالات ، ومن الأمثلة على ذلك في القانون المصـري ان قانـون تحقيق الجنايـات يوجب عـلى القاضي ان يحكم بـالحبس في كثير من الجـرائم على ان يقـدر للمحكوم عليـه كفالـة ماليـة اذا دفعهـا اجل تنفيـذ الحكم عليه حتى يفصـل في الاستئناف وإن لم يـدفعهـا حبس دون

---

(١) المادة ١٠٩ من الدستور المصري .

انتظار لنتيجة الاستئناف [1] وفي هذا خروج على مبدأ المساواة إذا يستطيع الغني دائماً ان يدفع الكفالة فلا ينفذ عليه الحكم بينما يعجز الفقير عن دفعها في أغلب الأحوال فينفذ عليه الحكم في الحال .

ويجيز قانون تحقيق الجنايات المصري للمتهم المحبوس أن يعترض على حبسه فيوضع اعتراضه أمام القاضي ، وللأخير أن يفرج عن المتهم بضمان مالي [2] وفي هذا خروج على مبدأ المساواة لأن الغني يستطيع أن يدفع الضمان المالي فيخرج من السجن أما الفقير فهو في أغلب الاحوال عاجز عن دفع الضمان فيظل رهين السجون .

(و) ـ تمييز الشخصيات البارزة :

وميزت القوانين الوضعية الشخصيات البارزة في المجتمع على غيرهم ومن امثلة ذلك ان القانون المصري اجاز رفع الدعوى على المتهم من دون استئذان جهة ما ولكن إذا كان المتهم من ذوي النفوذ كما إذا كان موظفاً اداريا أو حاكما أو ضابطاً أو عضواً في البرلمان فإن الدعوى لا تقام عليه الا بعد استئذان بعض الجهات المعينة ، ويجوز للمحكمة أن تحفظ القضية وتكتفي بجزاء اداري يوقع على ذلك الشخص ، وبه ينجو من العقوبة الادارية ، ومثل هذه الاجراءات لا تتخذ بالنسبة الى افراد الشعب العاديين .

كما أنه اجاز القانون المصري لمن وقع عليه ضرر من جريمة أن يطالب بتعويض ما أصابه من الضرر والمحاكم حين تقدر هذا التعويض تراعي مركز الشخص واهميته مثلاً لو ان مدير شركة وعاملا في نفس الشركة اصيبا في حادث واحد باصابات متماثلة فطالبا بتعويض ، لكان التعويض الذي يحكم به لمدير الشركة ضخما كبيرا ، ولكان التعويض الذي يحكم به للعامل تافها ضئيلا ، وقد

---

(١) المادة ١٨٠ من قانون تحقيق الجنايات المصري .

(٢) المواد من ١٠٤ الى ١١٠ من قانون تحقيق الجنايات .

ادلى بهذه الجهات المرحوم عبد القادر عوده[1] وقد علق عليها بقوله :

« هذه هي نظرية المساواة كما تطلع علينا بها القوانين الوضعية الحديثة لا تزال مهيضة الجناح مقصوصة الاطراف لم تسو بين الرؤساء والمرؤوسين والحاكمين والمحكومين ، لم تسو بين الفرد والفرد ولا بين الجماعة والجماعة ولا بين الغني والفقير »

إن هذه القوانين قد ميزت بين الناس ، وجعلتهم طبقات كما اوجبت انهيار المساواة ، وتحطيم اسس العدالة .

إن المساواة العادلة بجميع اشكالها والوانها لا ظل لها الا في الشريعة الإسلامية التي ساوت بين جميع الناس في الحقوق والواجبات والمسؤوليات فلا فضل لاحد على أحد ، ولا ميزة لقوم على آخرين ، فليس في الإسلام رجال لا يخضعون للقانون ، وليس فيه ملوك وامراء ، أو شخصيات لا تطبق عليهم احكام الدين وحدوده فيما إذا شذوا عن الطريق ، إن القانون الإسلامي ينفذ على جميع افراد المجتمع من غير فرق بين أحد وأحد منهم فليس هناك من هو غير مسؤول عن جريمته وخطأه .

لقد اعلن النبي (ص) أروع معاني المساواة بين الرؤساء والمرؤوسين فقد دخل عليه اعرابي فأخذته هيبة النبي فارتعدت فرائصه فالتفت (ص) قائلاً له :
« هون عليك فإنما انا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد »

وتقاضاه غريم له فأغلظ عليه فهم به عمر بن الخطاب فانكر عليه النبي ذلك وقال له :

« مه يا عمر كنت أحوج ان تأمرني بالوفاء ، وكان أحوج الى أن تأمره بالصبر »[2]

---

(1) التشريع الجنائي الإسلامي ١ / ٣١١ ـ ٣١٥ .
(2) زاد المعاد ١ / ٩٥ .

هـذه هي المساواة الـرفيعة التي تحقق العـدل الإجتماعي في البـلاد وتنشر الأمن والسـلام في الأرض ، ولو سـار المسلمـون عـلى ضـوئهـا لكـانـوا سـادة الامم وهـداة الشعوب وقادة العالم الى الخير والرشاد .

٣ ـ المساواة في الضرائب :

إن الضرائب المالية التي فرضهـا الإسلام في أمـوال المسلمين كـالزكـاة والخمس وغيـرهـا تجب عـلى كـل مسلم فيـها إذا تنصبت تلك الفـرائض في امـوالـه ويتســاوى الجميع في دفعها فلا يعفى عنها شخص ، وتختص بآخر .

كما ان الجزية تجب على جميـع الكتابيـين المقيمين في بـلاد الإسلام من غـير فرق بينهم في ذلك أصلاً .

٤ ـ المساواة في التوظيـف :

إن قواعد العدل والمساواة التي أعلنها الإسلام تـوجب المساواة بـين المواطنـين في الـوظـائف والمنـاصب ، فـلا يختص بهـا قـوم دون آخـرين فجميـع من تتـوفـر فيهم الإمكـانيات والشـرائط يتساوون في ذلـك من غير تقـديم لأحـد عـلى آخـر لأن ذلـك يوجب تأخير البلاد وشيوع الاضطراب في جميـع مجالاتهـا ، وسوف نتحـدث عن ذلك بالتفصيل عند عرض شؤون التوظيف في الإسلام .

الى هنا ينتهي بنا الحديث عن بنود المسـاواة وانواعهـا التي اعلنها الإسـلام وهي تهدف الى مصلحة الناس جميعاً من غير تفريق بين أحد واحد منهم .

٣ ـ الاخاء :

ورفعت فـرنسا في ثـورتها الكبـرى شعارات الاخـاء بين جميـع أفـراد البشر بـلا تفـرقـة بـين الابيض والاسـود منهم ، وجعلت ذلــك من جملة حقـوق الإنســان التي أعلنتها وأقرتها هيئة الامم المتحـدة ، ولكن ذلك لم يكن معمـولا به منـذ وقت اعلانـه لأنـه يحتاج الى الـطاقات الـروحية وليس لهـا أثر في قلوب الفـرنسيـين بـل وفي عـامـة الغربيين فإنه في نفس الـوقت الذي أعلنت فيـه فرنسـا الاخوة الإنسـانية ،قد اندلعت

فيها المشاحنات والخصومات وفاضت أرضها في برك من الدماء ، وكان شعار الاخاء عذابا وسجونا ومظالماً في الجزائر وفي افريقيا والهند الصينية وتحولت شعارات الاخاء الفرنسي الى اكذوبة كبرى تثير السخرية والإشمئزاز عند جميع الناس .

إن الإسلام رفع شعار الاخوة الكبرى قبل أن تعلنها فرنسا بقرون وأجيال وبناها على اسس رفيعة واحاطها بسياج واق ، فلم تكن الاخوة الإسلامية شعاراً زائفاً ، وإنما هي حقيقة واقعة وتجربة تاريخية ، وأصل بارز من اصول الإسلام .

إن الاخوة الإسلامية لم تقم على أساس قبلي أو جنسي أو اقليمي ولم تبتن على اسس سطحية وإنما اقيمت وبنيت على انها جزء من اجزاء العقيدة يسأل عنها المسلم ويحاسب عليها ، وبذلك اصبحت الاخوة الإسلامية تشتمل على طاقات هائلة من القوة تمد المجتمع الإسلامي بالوحدة والتفاهم والإيثار والتعاون وتخلق له انموذجاً فريداً من التكافل الإجتماعي كما تسد الطريق أمام اعدائه من أفاعي الجشع والاستعمار .

وبلغت الاخوة الإسلامية القمة في روعتها وعظمتها ، ويظهر ذلك جلياً حينما نقرأ قول النبي (ص) :

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لاخيه ما يحبه لنفسه »

ويصف (ص) المجتمع الإسلامي في تقارب عواطفه ووحدة مشاعره بأنه كالجسم الواحد فقال :

« مثل المؤمنين في توادهم ورحمتهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

لقد أراد الإسلام أن يجعل الاخوة الإسلامية كالاخوة النسبية في قوتها ومكانتها ، قال تعالى : ﴿ انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين اخويكم واتقوا الله ﴾ لقد أوجب تعالى صيانة هذه الأخوة بالاصلاح فيما إذا شجر بينهم خلاف أو عصفت فيهم ريح التفرقة ، وبين (ص) حقيقة تلك الرابطة ، وما تلزمه من حقوق وواجبات فقال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ، ولا يحقره »

إن الاخوة الإسلامية ليست مجرد عاطفة ظاهرة وإنما هي علاقة وثيقة تمتد الى أعماق القلوب ودخائل النفوس فتحتم على المسلمين أن يشتركوا في البأساء والضراء ، وقد أعلن ذلك النبي (ص) بصراحة ووضوح فقد بعث رجلا في حاجة له فأبطأ عليه فلما مثل عنده قال له :

ـ ما ابطأك ؟

ـ العرى

ـ أما كان لك جار له ثوبان يعيرك أحدهما ؟

ـ بلى يا رسول الله

فتألم (ص) واندفع يقول :

« ما هذا لك بأخ ».

ويقول الإمام الصادق (ع) : « المسلم أخو المسلم ، هو عينه ومرآته ودليله لا يخونه ، ولا يظلمه ولا يخدعه ، ولا يكذبه ، ولا يغتابه » إن هذه المظاهر هي التي ينشدها الإسلام ويحث عليها في جميع المجالات ، ويقول الامام محمد الباقر (ع) ! في بيان حقيقة هذه الاخوة :

إن المؤمن أخو المؤمن لا يشتمه ولا يحزنه ، ولا يسيء به الظن » .

لقد بنى الإسلام الاخوة الدينية على اسس عميقة فقد أمر بالاسباب التي تؤدي الى المحبة والتوادد والتآلف ، ونهى عن عوامل العدوان والتباغض ، وبين الحقوق العامة التي تترتب على هذه الاخوة ونشير الى ذلك :

١ ـ عوامل المحبة :

وندب الإسلام إلى بعض الامور التي تجمع المسلمين على صعيد المحبة والاخاء وهي :

(أ) التراحم والتعاطف :

وحث الإسلام على التراحم والتعاطف يقول الامام الصادق (ع) لاصحابه :

« اتقوا الله وكونوا اخوة بررة متحابين في الله ، متواصلين ، متراحمين ، تزاوروا ، وتلاقوا وتذاكروا أمرنا وأحيوه »[1] .

وقال (ع) : يحق على المسلمين الاجتهاد في التواصل ، والتعاون على التعاطف والمواساة لأهل الحاجة ، وتعاطف بعضهم على بعض حتى تكونوا كما امركم الله عز وجل رحماء بينهم متراحمين لما غاب عنكم من أمرهم على ما مضى عليه معشر الانصار على عهد رسول الله (ص)[2] وقال (ع) :

« تواصلوا ، وتباروا ، وتباروا وتراحموا وتعاطفوا » .

ان المجتمع الاسلامي لو سار على هذه النصائح لكان المسلمون يداً واحدة وانسد الطريق امام اعدائهم وخصومهم ، وما وجد في مجتمعهم فقير أو محروم فان التعاون والتواصل من اوثق الاسباب التي توجد التكافل الاجتماعي بين المسلمين .

(ب) ـ التزاور :

وحث الاسلام على تزاور المسلمين بعضهم لبعض لأنه يعقد أواصر المحبة فيما بينهم ، ويوجب المزيد من التعاون والتآلف يقول الامام امير المؤمنين (ع) :

ـ لقاء الاخوان مغنم جسيم وإن قلوا » .

ويقول الامام محمد الباقر الى خيثمة :

« ابلغ من ترى من موالينا السلام ، واوصهم بتقوى الله العظيم وان يعود

---

(١) اصول الكافي ٢ / ٤٧٥ .

(٢) اصول الكافي .

غنيهم على فقيرهم ، وقويهم على ضعيفهم ، وأن يشهد حيهم جنازة ميتهم ، وان يتلاقوا في بيوتهم فان لقيا بعضهم بعضاً حياة لأمرنا رحم الله من احيا أمرنا » .

ويقول الامام جعفر الصادق (ع) :

« تزاوروا فإن في زيارتكم احياءاً لقلوبكم ، وذكراً لأحاديثنا واحاديثنا تعطف بعضكم على بعض فإن أخذتم بها رشدتم ونجوتم ، وان تركتموها ضللتم وهلكتم فخذوا بها وانا بنجاتكم زعيم »

ووردت أخبار كثيرة بهذا المضمون وهي تدعو المسلمين الى ذلك ، وتذكر ما يترتب على الزيارة من الثواب العظيم والأجر الجزيل عند الله تعالى ، والسر في ذلك والغاية منه جلب المسلمين الى التآلف والتعارف الأمر الذي يصلح دنياهم ويوجب المزيد من التعاون فيما بينهم .

(ج) ـ قضاء الحوائج :

وتظافرت الاخبار بالحث على قضاء الحوائج لأجل ربط الصلة بين المسلمين ، والقضاء على عوامل التفرقة ونورد بعض الاخبار الواردة في ذلك يقول النبي (ص) :

« من مشى في قضاء حاجة أخيه ساعة في ليل أو نهار قضاها أو لم يقضها كان خيراً من اعتكاف شهر » .

ويقول الامام أبو جعفر محمد الباقر (ع) :

« تنافسوا في المعروف لاخوانكم وكونوا من أهله ، فإن للجنة بابا يقال له المعروف لا يدخله الا من اصطنع المعروف في الحياة الدنيا فإن العبد ليمشي في حاجة أخيه المؤمن فيوكل الله عز وجل به ملكين واحد عن يمينه وآخر عن شماله يستغفران له ربه ، ويدعوان له بقضاء حاجته » .

وحدث صفوان الجمال قال : كنت مع أبي عبدالله (ع) إذا دخل عليه رجل من اهل مكة يقال له ميمون فشكا تعذر الكراء عليه فقال لي :

ـ قم فأعن أخاك .

فقام صفوان معه وأخذ في تسديد اموره حتى قضى الله حاجته فرجع قافلاً الى الامام فلما استقر به المجلس قال له :

ـ ما صنعت في حاجة أخيك ؟

قضاها الله بأبي أنت وامي

فسر الامام بذلك سروراً بالغاً وانطلق يقول :

« اما انك ان تعين أخاك المسلم ، احب الي من طواف اسبوع بالبيت مبتدياً » وأخذ الامام (ع) يتحدث عن فضيلة قضاء حوائج المسلمين فقال (ع) :

إن رجلاً اتى الحسن بن علي (ع) فقال له : بأبي أنت وامي اعني على قضاء حاجة فانتعل وقام معه فمرّ على الحسين (ع) وهو قائم يصلي ، فقال له : أين كنت عن أبي عبدالله ؟ تستعينه على حاجتك ، قال : قد فعلت فذكر[1] انه معتكف ، فقال له : أما إنه لو أعانك كان خيراً من اعتكافه شهراً[2] .

إن السعي في حوائج الناس ، وقضاء مهماتهم من أهم الامور التي تبعث الحب والوئام بين أفراد المجتمع كما توجب الاتصال الوثيق بين الناس ، وهي في طليعة الاسباب التي تستند إليها الاخوة الإسلامية .

(د) ـ الاغاثة والمواساة :

وتبنت الشريعة الإسلامية الدعوة الخلاقة الى الاحسان الى الناس واغاثة الملهوفين منهم وادخال السرور على النفوس الحزينة المثقلة بمصاعب الحياة ومتاعبها فقد ألحت على ذلك الحاحاً بالغاً ، ودعت إليه في جميع المجالات ، كما دعت المسلمين الى المواساة فيما بينهم في مكاره الدهر ومآسي الحياة لأجل أن ترتفع راية

---

(١) فذكر : مبني للمجهول .

(٢) اصول الكافي .

الأخوة الإسلامية في الأرض ، ويتضامن المسلمون فيما بينهم ونسوق الى القراء بعض الأخبار الواردة في ذلك قال النبي (ص) : « من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب الآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه »[1] .

يقول الامام أبو عبدالله الصادق (ع) : من نفس عن مؤمن كربة نفس الله عنه كرب الآخرة وخرج من قبره وهو ثلج الفؤاد ومن اطعمه من جوع أطعمه الله من ثمار الجنة ومن سقاه شربة سقاه الله من الرحيق المختوم » .

ويقول (ع) : « ايما مؤمن نفس عن مؤمن كربة وهو معسر يسّر الله له حوائجه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر على مؤمن عورة يخافها ستر الله عليه سبعين عورة من عورات الدنيا والآخرة ، والله في عون المؤمن ما كان المؤمن في عون أخيه فانتفعوا بالعظة وارغبوا في الخير » .

ويقول الإمام الرضا (ع) : « من فرّج عن مؤمن فرج الله قلبه يوم القيامة » .

ويقول الامام الباقر (ع) ! « إن احب الأعمال الى الله ادخال السرور على المؤمنين » .

ويقول (ع) : « لا يرى أحدكم إذا أدخل على مؤمن سروراً إنه عليه أدخله فقط بل والله علينا بل والله على رسول الله صلى الله عليه وآله »[2] .

وتظافرت الاخبار وتواترت بذلك وهي تدعو المسلمين الى الاحسان والمواساة فيما بينهم لينتشر الحب ويسود الوئام بينهم فانه من الطبيعي ان الحب امر غير اختياري ولا يحصل إلا من الاسباب الاختيارية ، وأهمها هي التي دعا إليها الإسلام وحث عليها .

---

(١) الجامع الكبير للترمذي .

(٢) اقتبسنا هذه الاخبار من اصول الكافي .

٢ ـ عوامل التفرقة :

ونهى الإسـلام عن الاسباب التي تباعد بـين أفراد المجتمـع فحذر منهـا ، وأمر بالتجنب عنها ، حفظاً على وحدة المسلمين وتضامنهم ، ونقدم الى القراء بعضها .

(أ) ـ السخرية والتنابز :

وحرم الإسلام السخرية والتنـابز بـالالقاب قـال تعالى : ﴿ **يـا ايها الـذين آمنوا لا يسخـر قوم من قـوم عسى ان يكونـوا خيراً منهم ولا نسـاء من نساء عسى ان يكن خيـراً منهن ، ولا تلمزوا انفسكم ولا تنـابزوا بـالالقـاب بئس الاسم الفسـوق بعـد الايمان ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون** ﴾[1] .

اشتملت هـذه الآيـة الكـريمـة عـلى النهي عن ثـلاثـة امـور تؤدي الى تفكـك المجتمع وتفلل وحدته ، وتؤثر العداوات والكراهية في النفوس وهي :

١ ـ السخرية :

إن السخرية تؤدي الى احتقـار الغير والاستهـانة بكـرامته كـما تبعث المستهزأ بـه أن يفتش عن عيوب المستهزىء ويذيعها بين اخوانـه ، وإن لم يجد فيـه عيباً اختلق لـه العيـوب والمساوىء ومن الـطبيعي أنها توجب نشر البغضـاء والكراهيـة وتقـطع روابط المودة بين الناس فلذلك حرمها الإسلام ونهى عنها الكتاب العزيز .

٢ ـ اللمز :

والمراد باللمـز أن يذكـر أحد معـايب غيره بحضـوره ، ويطعن بشخصـه أمامـه وفي ذلك اثارة للعداوات والبغضاء وقـد نسبت الآية الكـريمة اللمـز الى نفس المعتدي لبيـان ان الشخص إذا عاب أخـاه المسلم فقـد عـاب نفسـه وذكـر نقصـان ذاتـه لأنـه بمنزلة نفسه .

---

(١) سورة الحجرات : آية ١١ .

٣ ـ التنابز :

والمراد به أن يدعو أحد أخاه بلقب يكرهه ولا فرق في ذلك اللقب الذي يبغضه بأن يكون صفة له أو لمن يمت به كالابوين والأقارب فإن ذلك موجب لقطع روابط المودة والإتصال بين الناس والإسلام يحرص كل الحرص على جمع شمل الناس وائتلافهم ونشر المودة والحب بينهم .

ورتبت الآية الكريمة الفسق والخروج عن طاعة الله على من يرتكب أحد هذه الامور الثلاثة وإنه إذا لم يرجع عن اقترافها فقد ظلم نفسه وتعرض لسخط الله وغضبه .

(ب) ـ الغيبة :

وحرم الإسلام الغيبة وجعلها من الموبقات والجرائم وهي : أن يذكر المسلم أخاه المسلم في غيبته وعدم حضوره بما يكرهه ويسوؤه سواءاً كان ذلك الانتقاص صراحة أو كناية أو إشارة وسواء ذكره بدينه أو بدنياه وسواء أكان بخلقه أو بخلقته ، لأن في ذلك إثارة للعداوة والبغضاء وتفريقاً لشمل المسلمين وتصديعاً لوحدتهم واتحادهم ، وقد ذم القرآن الكريم المغتاب وجعله كالآكل للحم أخيه المسلم في حال موته قال تعالى : ﴿ **ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتاً فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم**[١] ﴾ .

وروى الامام الصادق (ع) عن آبائه عن رسول الله (ص) أنه قال : « من اغتاب مؤمناً بما فيه لم يجمع الله بينهما في الجنة أبداً ، ومن اغتاب مؤمناً بما ليس فيه فقد انقطعت العصمة بينهما ، وكان المغتاب خالداً في النار وبئس المصير »[٢] .

وخطب (ص) يوماً حتى اسمع العوائق في بيوتها فقال في جملة خطابه .

---

(١) سورة الحجرات : ١٢ .

(٢) المكاسب للشيخ الانصاري .

«يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ، ولا تتبعوا عوراتهم ، فإن من تتبع عورة أخيه يتتبع الله عورته حتى يفضحه في جوف بيته »[1] .

وقال (ص) : « الغيبة أسرع في دين الرجل المسلم من الاكلة في جوفه » وقال (ص) : « ما عمر مجلس بالغيبة إلا خرب بالدين » فنزهوا اسماعكم من استماع الغيبة ، فإن القائل والمستمع لها شريكان في الإثم » .

وقال الامام الصادق (ع) : « من قال في مؤمن ما رأته عيناه وسمعته اذناه فهو من الذين قال الله عز وجل : ﴿ **ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم** ﴾ .

الى غير ذلك من الاخبار التي لا يمكن استيعابها نظراً لكثرتها وتظافرها ، وقد دلت بوضوح على حرمة الغيبة وانها من الموبقات التي تفلل وحدة المجتمع وتنشر الحقد والكراهية في النفوس .

(ج) ـ النميمة :

النميمة وهي ان ينم ـ أي ينقل ـ قول الغير الى المقول فيه فيقول له : فلان تكلم فيك بكذا وهي نوع من افشاء السر وهتك الستر ولا تختص بالقول بل كما تكون به تكون بالكتابة والاشارة وغير ذلك وهي تؤدي الى العداوات واشعال نار الفتن وتسبب المشاكل الكثيرة بين الناس وقد حرمها الاسلام ونهى عنها قال تعالى : ﴿ **هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم** ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ **ويل لكل همزة لمزة** ﴾[3] والمراد بها النمام المغتاب ، وقال الرسول (ص) : « احبكم الى الله أخلاقاً الموطئون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون ، وإن ابغضكم الى

---

(١) جامع السعادات ٢ / ٢٩٨ .

(٢) سورة القلم : ١١ ـ ١٣ .

(٣) سورة الهمزة : آية ١ .

الله المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الملتمسون للبراء العثرات »[1] وقال (ص) : لاصحابه :

- ألا انبئكم بشراركم ؟ .

- بلى يا رسول الله .

- المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبراء المعايب[2] .

وقال (ص) : « من أشار على مسلم كلمة ليشينه بها في الدنيا بغير حق شانه الله في النار يوم القيامة » .

وقال محمد بن فضيل للإمام موسى الكاظم (ع) : « جعلت فداك الرجل من اخواني يبلغني عنه الشيء الذي أكرهه فأسأله عنه فينكر ذلك وقد اخبرني عنه قوم ثقات ، فقال له الامام (ع) :

يا محمد ، كذب سمعك وبصرك عن اخيك فإن شهد عندك خمسون قسامة فقال لك قولاً فصدقه وكذبهم ، ولا تذيعن عليه شيئاً تشينه وتهدم مروءته فتكون من الذين قال الله تعالى :

﴿ ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب شديد ﴾[3] .

الى غير ذلك من الاخبار المتظافرة وهي تحرم على المسلمين الاتصاف بهذه الصفة الممقوتة التي لا تنفك عن الكذب والغدر والخيانة والحسد والنفاق والافساد بين الناس وقطع عرى الاتصال بين الجماعات والافراد :

---

(١) مستدرك الوسائل كتاب الحج ص ١١١ .

(٢) الوسائل كتاب الحج .

(٣) الوسائل .

(د) ـ التقاطع :

ونهى الإسلام عن التباعد والتقاطع وكره ذلك لأنه موجب الى انتشار العداوة والبغضاء ، وقد تظافرت الأخبار في ذم ذلك والتحذير منه قال الرسول (ص) :

« أيما مسلمين تهاجرا فمكثا ثلاثا لا يصطلحان الا كانا خارجين من الإسلام ولم يكن بينهما ولاية ، فايهما سبق الكلام لأخيه كان السابق الى الجنة يوم الحساب » .

وقال (ص) : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث » .

وقال الامام الصادق (ع) : « لا يفترق رجلان على الهجران إلا استوجب أحدهما البراءة واللعنة ، وربما استحق ذلك كلاهما » .

فقال له معتب : جعلني الله فداك هذا للظالم فما بال المظلوم ؟

قال (ع) : « لأنه لا يدعو أخاه الى صلته ، ولا يتعامس له عن كلامه ، سمعت أبي (ع) يقول : إذا تنازع اثنان فسب أحدهما الآخر فليرجع المظلوم الى صاحبه حتى يقول لصاحبه : اي أخي انا الظالم حتى يقطع الهجران بينه وبين صاحبه فان الله تبارك وتعالى حكم عدل يأخذ للمظلوم من الظالم »[1] .

ووردت أخبار كثيرة وهي تشجب التقاطع والتباعد وتدعو الى الإلفة والتوادد لتسود روح الاخوة والمحبة بين المسلمين .

(هـ) ـ عدم التعاون :

ونهى الإسلام عن عدم التعاون ، وكره ذلك لأنه يؤدي الى تباعد المسلمين وعدم اجتماعهم على صعيد المحبة والاخاء ، وقد تظافرت الأخبار بالنهي عن ذلك يقول الامام محمد الباقر (ع) : « من بخل بمعونة أخيه المسلم والقيام في حاجة الا ابتلى بالقيام بمعونة من يأثم عليه ولا يؤجر » .

(١) اقتبسنا هذه الاحاديث من اصول الكافي .

وقال الامام الصادق (ع) لأصحابه :

ـ مالكم تستخفون بنا ؟

فانبرى إليه رجلَ من أهل خراسان فقال له :

ـ معاذ الله أن نستخف بك أو بشيء من أمرك .

فأجابه الامام وهو مغيظ قائلاً له :

إنك أحد من استخف بنا .

ـ معاذ الله ان استخف بك !!

ـ ويحك ألم تسمع فلانا ونحن بقرب الجحفة ، وهو يقول لك : إحملني قدر ميل فقد والله أعييت ، والله ما رفعت له رأساً ، لقد استخففت به ، ومن استخف بمؤمن فبنا استخف وضيع حرمة الله عز وجل »[1] .

وقال أبو الحسن (ع) : « من قصد إليه رجل من إخوانه مستجيراً به في بعض احواله فلم يجره بعد ان يقدر عليه فقد قطع ولاية الله عز وجل .

لقد تظافرت الاخبار الواردة من أئمة أهل البيت عليهم السلام وهي تأمر بالتعاون وتنهى عن عدمه لأنه موجب لانقطاع المودة بين المسلمين ، كما يقضي على الاخوة الإسلامية التي رفع شعارها الإسلام .

(و) ـ الايذاء والتحقير :

ودعا الإسلام المسلمين الى الاتصاف بالاخلاق الرفيعة والمثل العليا واهاب بهم من الاتصاف بالاخلاق المجافية للمودة والمناهضة للتآلف فحرم عليهم ايذاء بعضهم لبعض كما حرم احتقار بعضهم لبعض وذلك لما فيهما من الظلم والاعتداء بالاضافة إلى أنهما يؤديان الى تصديع شمل المسلمين وتفريق كلمتهم ، وقد نطق القرآن الكريم بتحريم ذلك قال تعالى : ﴿ **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير**

---

(١) الوسائل كتاب الحج .

ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ﴾[1] .

وقال رسول الله (ص) : قال الله عز وجل : ﴿ قد نابذني من اذل عبدي المؤمن ﴾ .

وقال (ص) : « المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه » وقال (ص) : « لا يحل للمسلم أن يشير الى أخيه بنظرة تؤذيه » .

وقال الامام أبو عبدالله الصادق (ع) : « من استذل مؤمناً واحتقره لقلة ذات يده ولفقره شهره الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق » .

وقال (ع) : « من حقر مؤمناً مسكيناً أو غير مسكين لم يزل الله عز وجل حاقراً له ماقتاً حتى يرجع عن محقرته إياه »[2] .

إن إيذاء الناس واحتقارهم لا يصدر إلا من النفس الأثيمة التي لا تؤمن بالقيم الإنسانية ولا بالمعاني الخيرة ، والاسلام يربأ بالمسلمين من الاتصاف بهذه الصفة الذمية التي تقضي على أواصر الحب والاخاء .

(ز) ـ التخويف الارهاب :

وحرم الاسلام تخويف المسلم وارهابه وذلك لما فيهما من الظلم والاضرار وقطع عرى الاتصال بين المسلمين ، وقد تظافرت الاخبار في تحريم ذلك يقول النبي (ص) : « من نظر الى مؤمن نظرة ليخيفه بها أخافه الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله » .

وقال الامام الصادق (ع) : « من روع مؤمناً بسلطان ليصيبه منه مكروه فلم يصبه فهو في النار ، ومن روّع مؤمناً بسلطان ليصيبه منه مكروه فأصابه فهو مع فرعون وآل فرعون في النار » .

---

(١) سورة الاحزاب : آية ٥٨ .

(٢) اقتبسنا هذه الاخبار من اصول الكافي وجامع الاخبار .

إلى غير ذلك من الاخبار التي دلت على حرمة ذلك لاجل الحفاظ على تضامن المسلمين ونشر الحب والوئام فيما بينهم .

(ح) ـ السباب :

وحرم الإسلام السباب ونهى المسلمين عنه حتى مع اعدائهم في الدين قال تعالى : ﴿ **ولا تسبوا الذين كفروا فيسبوا الله عدواً بغير علم** ﴾ .

وقال الامام أبو جعفر (ع) : إن رجلا من بني تميم أتى النبي (ص) فقال : اوصني فكان فيما أوصاه أن قال : « لا تسبوا الناس فتكتسبوا العداوة بينهم » وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر وأكل لحمه معصية ، وحرمة ماله كحرمة دمه » .

وقال الامام أبو جعفر (ع) : « ما من إنسان يطعن في عين مؤمن إلا مات بشر ميتة ، وكان قمنا أن لا يرجع الى خير »[1] .

الى غير ذلك من الاخبار التي حذرت من ذلك لأنه موجب لنشر العداوة وذيوع الكراهية والبغضاء في النفوس الأمر الذي يتنافى مع ما اراده الإسلام من الصفاء والوئام والاخاء بين الناس .

(ط) ـ تتبع العثرات والعيوب :

وأحاط الإسلام الاخوة الدينية التي رفع شعارها بسياج واق فحرم جميع ما يوجب صدعها فقد نهى عن تتبع عثرات الناس ونشر عيوبهم لأنه يسبب الفتن ويثير الكراهية في صفوف المسلمين ، وقد نطق القرآن الكريم بتحريم ذلك قال تعالى : ﴿ **ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم** ﴾[2] .

وقال الرسول (ص) : « يا معشر من أسلم بلسانه ولم يسلم بقلبه لا تتبعوا

---

(١) اقتبسنا هذه الاخبار من اصول الكافي .

(٢) سورة الحجرات : آية ١٢ .

عثرات المسلمين ، فإنه من يتبع عثرات المسلمين يتتبع الله عثراته ومن تتبع الله عثراته يفضحه » .

وقال (ص) : « إن أسرع الخير ثوابا البر ، وأسرع الشر عقوبة البغي وكفى بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يعمى عنه ، وأن يعير الناس بما لا يستطيع تركه وأن يؤذي جليسه بما لا يعنيه » .

وقال الامام الباقر (ع) : « من أقرب ما يكون العبد الى الكفر ان يؤآخي الرجل على الدين فيحصي عليه زلاته ليعيره بها يوماً ما »(١) .

وتوافرت الاخبار بمثل هذه المضامين ، وهي تهيب بالمسلمين من أن يتصفوا بمثل هذه الصفات الناقصة التي تنم عن عدم انطباع المثل الخيرة في النفوس ، كما تؤدي في نفس الوقت الى انهيار المجتمع وتفلل وحدته .

(ي) ـ الانتقاص :

إنه ليس من الإسلام في شيء أن يذم المسلم أخاه أو ينتقصه ويحتقره بذنب قد صدر منه أو بسيئة قد ارتكبها فإن ذلك من بواعث البغضاء يقول (ص) : « من أذاع فاحشة كان كمبتدئها ، ومن عيرّ مؤمناً بشيء لم يمت حتى يركبه » .

وقال الإمام الصادق (ع) : « من لقى أخاه بما يؤنبه أنبه الله في الدنيا والآخرة »(٢) .

الى غير ذلك من الأخبار التي حرمت ذلك حفظاً على وحدة المسلمين وتضامنهم وابعادهم عن المستوى السحيق .

(ك) ـ التفاخر :

ونهى الإسلام عن التفاخر بالأنساب لأنه موجب لانتشار الطبقية وتصديع الاخوة الاسلامية فالناس في شريعة الاسلام سواسية كأسنان المشط لا فضل لأحد

---

(١) اصول الحافي والوسائل والبحار .

(٢) اصول الكافي .

على أحد إلا بالتقوى ، والعمل الصالح ، وقد تظافرت الأخبار بالمنع من ذلك فقد ورد أن عقبة بن بشير الأسدي وكان من شخصيات العرب تشرف بمقابلة الامام أبي جعفر (ع) وأخذ يعرف نفسه للامام قائلاً له :

أنا عقبة بن بشير الأسدي ، وأنا في الحسب الضخم من قومي فانبرى إليه الإمام فرد منطقه قائلاً :

« ما تمن علينا بحسبك ، إن الله رفع بالايمان من كان في الناس يسمونه وضيعاً إذا كان مؤمناً ، ووضع بالكفر من كان الناس يسمونه شريفاً اذا كان كافراً فليس لأحد على أحد فضل إلا بالتقوى » .

إن الاسلام رفع مكانة المؤمنين بالله ، وان كانوا ضعفاء ولم تكن لهم منزلة اجتماعية قبل الاسلام فإنه قد ميزهم على غيرهم كما أنه حط من شأن الكافرين والطغاة والجبابرة ، وإن كانت لهم منزلة مرموقة في الاوساط فإن الاسلام قد حمل معول الهدم على ذلك ، وقد تقدم الكلام في بيان ذلك على نحو التفصيل عند البحث عن حقيقة المساواة في الاسلام .

الى هنا ينتهي بنا الحديث عن بعض العلل والأسباب التي توجب تصديع الاخوة الاسلامية وتشتيت شمل المسلمين وقد حرمها الاسلام تحريماً قاطعاً ولم يسغ أي وسيلة تعترض في طريق الاخوة والتعاون .

إن الاخوة التي نادى بها الإسلام قد استندت الى الاسباب الوثيقة واعتمدت على الاسس السليمة ، ولو ان المسلمين أخذوا بتلك العوامل والأسباب وطبقوها على مسرح حياتهم لكانت رابطة الاخوة الاسلامية اقوى من رابطة النسب ، ولساد الحب وانتشر الوئام والصفاء فيما بينهم .

حقوق الاخوة :

ووضع الاسلام للاخوة الدينية حقوقاً الزم المسلمين بمراعاتها ، وتطبيقها ، وقد تظافرت الأخبار في بيانها ونقدم الى القراء بعض الاخبار الواردة في ذلك فقد

روى أمير المؤمنين عن رسول الله (ص) أنه قال :

« للمسلم على أخيه ثلاثون حقاً لابراء له منها إلا بأدائها أو العفو ، يغفر زلته ويرحم عبرته ، ويستر عورته ، ويقيل عثرته ، ويقبل معذرته ويرد غيبته ، ويديم نصيحته ، ويحفظ خلته ، ويرعى ذمته ويعود مرضه ، ويشهد ميته ، ويجيب دعوته ، ويقبل هديته ، ويكافىء صلته ، ويشكر نعمته ، ويحسن نصرته ، ويحفظ حليلته ويقضي حاجته ويستنجح مسألته ، ويسمت عطسته ، ويرشد ضالته ، ويرد سلامه ويطيب كلامه ، ويبر إنعامه ، ويصدق أقسامه ، ويوالي وليه ، ولا يعاديه وينصره ظالماً أو مظلوماً ، فأما نصرته ظالماً فيرده عن ظلمه وأما نصرته مظلوماً فيعينه على أخذ حقه ، ولا يسلمه ولا يخذله ، ويحب له من الخير ما يحبه لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه ، ثم قال أمير المؤمنين (ع) سمعت رسول الله يقول : إن أحدكم ليدع من حقوق أخيه شيئاً فيطالبه بها يوم القيامة فيقضى له عليه[1] .

وقال معلى بن خنيس للامام الصادق (ع) :

ـ ما حق المسلم على المسلم ؟

ـ سبع حقوق واجبات ما منهن إلا وهو عليه واجب ، إن ضيع منها شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته ولم يكن لله فيه من نصيب .

ـ جعلت فداك ، وما هي ؟

ـ يا معلى ، إني عليك شفيق أخاف ان تضيع ولا تحفظ ، وتعلم ولا تعمل .

ـ لا قوة إلا بالله :

ـ أيسر حق منها ان تحب له ما تحب لنفسك ، وتكره له ما تكره لنفسك « والحق الثاني » ان تجتنب سخطه ، وتتبع مرضاته ، وتطيع أمره « والحق الثالث » أن تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك « والحق الرابع » ان تكون عينه

---

(١) المكاسب للشيخ الانصاري .

ودليله ومرآته ، « والحق الخامس » ان لا تشبع ويجوع ، ولا تروى ويظمأ ولا تلبس ويعرى « والحق السادس » ان يكون لك خادم وليس لأخيك خادم فواجب أن تبعثه فيغسل ثيابه ويصنع طعامه ، ويمهد فراشه « والحق السابع » أن تبر قسمه وتجيب دعوته وتعود مرضه ، وتشهد جنازته وإذا علمت ان له حاجة تبادره الى قضائها ولا تلجئه ان يسألكها ، ولكن تبادره مبادرة فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته وولايته بولايتك[1] .

إن هذه الحقوق التي أعلنها الامام (ع) لو أخذ بها المسلمون ، وطبقوا أهدافها على واقع حياتهم لانتشرت الاخوة الإسلامية ، وحققوا جميع ما يصبون إليه في هذه الحياة من التآلف والمحبة والتعاون ، وبين الامام الصادق (ع) في حديث آخر هذه الجوانب فقال :

« حق المسلم على المسلم أن لا يشبع ويجوع أخوه ولا يروى ويعطش أخوه ولا يكتسي ويعرى أخوه ، فما أعظم حق المسلم على أخيه المسلم ، وقال : حب لأخيك ما تحب لنفسك وإذا احتجت فسله ، وإن سألك فأعطه لا تمله خيراً ولا يمله لك ، كن له ظهراً فإنه لك ظهر إذا غاب فاحفظه في غيبته وإذا شهد فزره وأجله وأكرمه فإنه منك وانت منه فإن كان عليك عاتباً فلا تفارقه حتى تسأل سميحته وإن أصابه خير فاحمد الله ، وإن ابتلى فاعضده. وإن تمحل فاعنه وإذا قال الرجل لأخيه اف انقطع ما بينهما من الولاية »[2] .

وسأل ابو المأمون الحارثي الامام الصادق (ع) عن حق المؤمن على المؤمن فقال (ع) :

« إن من حق المؤمن على المؤمن المودة له في صدره والمواساة له في ماله والخلف له في أهله والنصرة له على من ظلمه وإن كان نافلة[3] في المسلمين وكان

(١) اصول الكافي ٢ / ١٦٩ .

(٢) اصول الكافي ٢ / ١٧٠ .

(٣) النافلة : الغنيمة .

غائباً أخذ له بنصيبه ، وإذا مات الـزيارة الى قبـره ، وان لا يظلمـه ، وان لا يغشّه ، وان لا يخونه ، وان لا يخذله ، وان لا يكذبه ، وان لا يقول له اف »[١] .

ودخل عليه رجل فسأله الامام عن إخوانه فـأحسن الرجـل الثناء عليهم وبـالغ في تزكيتهم ومدحهم واراد الامـام أن يتبين حقيقـة الحال في هـذا المديـح والثناء فقـال له :

ـ كيف عيادة أغنيائها لفقرائهم ؟

ـ قليلة

ـ كيف مشاهدة أغنيائهم لفقرائهم ؟

ـ قليلة

ـ كيف صلة اغنيائهم لفقرائهم في ذات أيديهم .

وعرف الرجل مقصد الامام فانطلق يقول :

إنك لتذكر اخلاقاً قل ما هي عندنا !!

فرد عليه الامام (ع) قائلاً : كيف تزعم هؤلاء أنهم شيعة ؟[٢] .

إن تعـاليم أهل البيت عليهم السـلام تلزم بالتعـاون والمواسـاة وتدعـو الأغنيـاء الى العطف على الفقـراء والمحرومـين فإنـه ليس من الإسلام أن تتـرفع الـطبقة الثـرية عن البائسين ولا تقوم بمساعدتهم وبالبـر بهم فان ذلـك يوجب تفـريق كلمة المسلمـين وتصديع شملهم .

لقـد تواتـرت الاخبار في عـرض الحقوق العـامة لـلاخوة الاسـلاميـة وفي بيـان واجباتها ، ودعت المسلمين الى مراعاتها والأخذ بها لأجـل أن تسود المحبـة في نفوسهم وتزداد ثقة بعضهم ببعض .

---

(١) اصول الكافي ٢ / ١٧١ .
(٢) اصول الكافي .

الى هنـا ينتهي بنا الحـديث عن حقوق الانسـان التي أعلنها الاسـلام وهي اوثق بكثير من الحقوق التي اعلنتهـا فرنسـا لأن الاسلام قـد ركز تلك الحقـوق على الاسس السليمـة والاسبـاب الأصيلة ، وقـد نفـذت الى أعمـاق قلوب المسلمين ودخـائـل نفوسهم وعملوا بها قروناً واجيالا .

أما اولئك الذئاب من الغربيين الـذين تهالكـوا على الجشـع والاستعمار والكيـد على الشعوب الضعيفـة فإنهم لم يؤمنـوا لحظة بحقـوق الانسان ولا بحقـه المقـدس في الحياة فقد أشعلوا نار الفتن والحروب في الارض في سبيل اطماعهم ورغباتهم .

إن الغـرب قد أسقط من حسـابه جميـع القيم والاعتبارات مـا عدا اعتبـار المادة فكـل ما يقف أمـامهـا لا أهميـة لـه عنـدهم فقـد نكلوا بـالاخـرار وطـاردوا الابـريـاء وسحقوا الكرامات في سبيل أطماعهم واشباع رغبـاتهم وما أبقـوا للقيم الروحيـة قيمة ولا للمثـل العليا أهميـة فكيف ينشدون حقـوق الانسان ؟ وقـديماً قيـل . (إن فاقـد الشيء لا يكون معطياً له) .

إن حقوق الانسان وكرامته لا تساوي جناح بعوضة عنـد ساسة الغرب الـذين قلعـوا جذور العـدالة الاجتمـاعية من الارض ، وتـآمـروا عـلى غـزو الشعـوب ونهب ثرواتها وامكانياتهـا فقد أخـرجوا تسعمـائة الف نسمـة من العرب من وطنهم فلسـطين وشـردوهم بالصحـاري والقفار يفتـرشون الغبـراء ويلتحفون السـماء في سبيـل اقـامـة دويلة لليهود تحمي أطماعهم وتصون مصالحهم ، إن أعمالهم قد سـودت وجه الـدهر والبستهم جلابيب الخزي والعار فكيف يمكن أن يؤمن هؤلاء بحقوق الانسان .

إن كرامة الانسـان وحقوقـه لا يمكن أن تحقق إلا في ظل حكم الاسـلام العادل الذي ينشد الرحمة والأمن والاستقـرار لجميع النـاس وبهذا ينتهي بنـا المطاف عن هـذا الفصل .

السياسة الداخلية

١ ـ اقامة العدل

٢ ـ ابادة الفقر

٣ ـ بسط الامن

٤ ـ حماية الوطن من الغزو الخارجي

٥ ـ التعليم والاخلاق

٦ ـ العمران والانشاء

٧ ـ الصحة

٨ ـ الغاء التمايز العنصري

إن مهمـة السياسـة الداخليـة في الدول التي لا تحمـل طابـع الإسلام تعـود الى وضع الأنظمة وسن القوانـين التي تحسن الصلات بـين الناس وتنـظيم الاسر ، وربط العائلات بعضها مع بعض وتولية الحكـام الذين يقـومون بتنفيـذ القوانـين ونشر الأمن بـين الناس ومـا شاكـل ذلك من الأعمـال التي تعود بـالخير والـرفاهيـة والتقـدم عـلى الامة .

وأمـا مهمة الـدولة التي تتبنى الإسـلام في سياستهـا الداخليـة فهـو ليس وضـع الأنـظمة وسن القـوانين فـإنها ليس لها مجـال في ذلك اصـلاً فإن الشـارع المقدس قـد سن لها الانظمة الأصيلة وأغناها عن وضع القوانين واستيـراد المبادىء ، وعـلى الدولـة تنفيذ ذلك وتطبيقه على مسرح الحيـاة فمهمة الـدولة التنفيـذ لا التشريـع ، ونص آدم سميث على اهداف الدولة ومهماتها في الحقل السياسي الداخلي ، قـال : « إن للدولـة ثلاثة . أهـداف « الاول » ذلـك الـذي يحمي المجتمـع من الفـوضى أو السـطو عـلى المجتمعات المستقلة الاخرى « الثاني » ذلك الهـدف الذي يسعى لحمـاية كـل عضو في المجتمـع بقدر الامكـان من فقدان العـدل أو كبت أي عضـو منـه أو الـواجب الـذي يؤمن تـطبيق العدالـة بكل دقـة « الثـالث » تحقيق ذلـك الهـدف الـذي يسعى للقيـام بـاعمال معينـة لانشاء منـظمات عـامة لا يمكن أن تكـون مطلقـاً لمصلحـة أي فـرد أو مجموعة من الأفراد »[1] .

---

(١) العلوم السياسية ٢ / ١٨٢ .

إن هـذه الأهـداف والمبـادىء تتحقق بـأروع معـانيهـا عـلى مسـرح السيــاسـة الإسلامية فإنها تقوم بحماية المجتمع من الفوضى وصيانته من التفسـخ والانحلال كـما تحميـه من الغزو الخـارجي والتدخـل الاجنبي في شؤونه ، وتصـون كل فـرد من أفراد المجتمع من الظلم والاعتداء ، وتضمن له حقوقه ، وتسعى لانشاء المنظمـات العامـة التي يعود نفعها لصـالح المجتمـع باسـره ، وعلينا أن نشـير الى بعض المبادىء الـرفيعة التي تتبناها الدولة الاسلامية في سياستها الداخلية وهي :

١ ـ اقامة العدل :

ويجب على الدولة التي تتبنى الإسلام وتسير على منهاجه واحكامه أن تحقق العدل الإجتماعي في البلاد وتبسط ظله الوارف على جميع العباد ، وأن تنصف الناس حتى من الولاة والحكام فيها إذا شذوا عن الطريق وجافوا الحق يقول الامام امير المؤمنين (ع) في عهده لمالك الاشتر :

« أنصف الله وأنصف الناس من نفسك ، ومن خاصة أهلك ومن لك هوى فيه من رعيتك، فإنك الا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله ادحض حجته ، وكان لله حربا حتى ينزع أو يتوب وليس شيء أدعى الى تغيير نعمة الله وتعجيل نقمته ، من اقامة على ظلم فان الله يسمع دعوة المضطهدين ، وهو للظالمين بالمرصاد ، وليكن احب الامور إليك اوسطها في الحق واجمعها لرضى العامة » .

وحفل كلام الامام (ع) بالدعوة الى لزوم نشر العدل والانصاف بين الرعية فإن ترك ذلك يؤدي الى ظلمها وارهاقها في جميع المجالات .

إن الاسلام اول ما يهدف إليه في حكمه اقامة العدل وتطبيق بنوده على واقع الحياة العامة ، وقد بحثنا عن ذلك على نحو التفصيل عند عرض مظاهر السياسية الاسلامية .

٢ ـ ابادة الفقر :

إن الفقر وسوء الحالة الاقتصادية من أهم الاسباب التي تؤدي الى شقاء الإنسان وانحطاطه ، واضطرابه ، جاء في الحديث الشريف « الفقر هو الموت الاكبر » ويقول الامام أمير المؤمنين عليه السلام « ما ضرب الله عباده بسوط اوجع من الفقر » ويقول (ع) : « لو تمثل لي الفقر رجلا لقتلته » ويقول أبو ذر الغفاري صاحب النبي (ص) وخريج مدرسته :

« عجبت لمن لا يجد القوت في بيته كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه » .

وورد في بعض ادعية أهل البيت عليهم السلام (اللهم إني اعوذ بك من الكفر والفقر) .

إن الفقر مرادف للكفر فما دخل الفقر الى بلد الا صحب معه الالحاد والمبادىء الشاذة كما نص على ذلك الحديث الشريف يقول محمد جابر عبد العال :

(إن الازمات الاقتصادية إذا طال أمدها تضعف العقول وتجعلها فريسة للمذاهب الهدامة التي تبرق للناس مورية بحياة سعيدة)[١] .

إن وجود الثراء الفاحش بجانب الفقر المدقع يؤدي حتما الى تأزم الاوضاع وشيوع الاضطرابات ، وانتشار الشذوذ والجرائم ، واقصاء الفضيلة والمثل الخيرة من البلاد ، وقد عمل الاسلام منذ فجر تاريخه على اذابة الفقر وتحطيمه وازالة شبحه ، وذلك بما سنه من النظم الاقتصادية الخلاقة التي لا تبقي أي أثر للفقر والحرمان .

---

(١) حركات الشيعة المتطرفين ص ٢٩ .

لقد قضى الإسلام في أيام حكمه على جميع آثار الفقر فلم يعد في البلاد من يشكو العرى والجوع فقد ذكر المؤرخون في زمن عمر بن عبد العزيز ان رجلا أرسل مع ابنه صدقة ليتصدق بها على فقير ، فطاف احياء دمشق حياً بعد حي يلتمس الفقير والمعوز فلم يجدهما فاضطر الى اعادة المال الى أبيه .

إن مشكلة الفقر من أهم المشاكل العالمية التي أعيت رجال الاقتصاد والفكر فوضعوا لحلها عدة من المناهج الاقتصادية وترجع أكثرها الى المبادىء الرأسمالية والشيوعية ، ولم تتمكن هذه الانظمة على حل مشكلة الفقر ، وانقاذ الإنسان من هذا الداء الوبيل ، فالرأسمالية القديمة والحديثة قد وضعت جميع المناهج الاقتصادية لزيادة الربح الفردي فاباحت له الاحتكار والاستغلال والربا وغير ذلك من الطرق التي تؤدي الى نمو أمواله وزيادة أرباحه ، وقد أشاعت بذلك الفقر والحرمان والبؤس والشقاء في الأكثرية الساحقة من شعوبها .

وأما الشيوعية فإنها قد أممت جميع الممتلكات للدولة ، ولم تبح باي حال من الأحوال الملكية الفردية ، وقد قضت بذلك على أقوى الغرائز الاصيلة في الإنسان فإنه مجبول على حب التملك ويستحيل القضاء على هذه الظاهرة النفسية وقد ارتكبت الدول الشيوعية في سبيل ذلك أفحش الجرائم فقتلت ونكلت بالمواطنين ، ولم تتمكن على تطبيق ذلك حتى اضطرت على العدول عنه فمنحت الأفراد الملكية الصغيرة ولكنها فرضت عليها القيود والاغلال ، وهي طريقة لا بد أن تبوء بالفشل والسخرية ، وذلك لعدم استقامة نظمها وقواعدها إن القضاء على الفقر وابادة شبحه البغيض من أهم ما يتطلبه العالم فقد عانت الأكثرية الساحقة من الشعوب المرارة والحرمان ، وتعرضت الى الدمار والهلاك بسبب الجوع والعري والمرض ، وقد أعلن بعض علماء الاقتصاد ضرورة تحديد النسل خوفاً من تزايد السكان في العالم وعدم تمكن البشر من العيش .

لقد تمكن النظام الاقتصادي في الإسلام على حل هذه المشكلة بالطرق السليمة التي لا توجب اجحافاً أو ضرراً بأي فرد من أفراد المجتمع كما توجب ذلك الأنظمة الحديثة

إن الانظمة الاقتصادية الإسلامية توجب نشر الرفاهية بين الشعوب وضمان معيشتها ولا تدع مجالا للفقر والحرمان وعدم الاستقرار يقول اقبال :

« لقد توصلت بعد دراستي للشريعة الإسلامية دراسة دقيقة طويلة الى أنه حيث يتيسر فهم هذه الشريعة فهما جيداً ، ويتم تطبيقها كما ينبغي فان حق العيش يغدو مضموناً للجميع » .

ويقول :

« إن معضلة الخبز تزداد حدة . . . لكننا نجد لحسن الحظ حلاً موافقاً بتطبيق الشريعة الإسلامية وبتوسيع احكامها »[1] .

إن الأنظمة الإسلامية في الحقل الاقتصادي إذا طبقت بدقة وروعيت جميع جوانبها فإنه ليس من الممكن باي حال من الاحوال أن يبقى هناك أي أثر للبؤس والفقر في البلاد ، ونشير الى بعض تلك المناحي الوثيقة وهي :

١ ـ العمل على زيادة الانتاج :

إن من الاسباب الفعالة التي تهدم صروح الفقر وتقوض دعائمه من المجتمع هي العمل على زيادة انتاج ثروات البلاد سواء أكانت الثروة زراعية أو تجارية أو معدنية ، وعلينا أن نذكر بعض الاسباب التي توجب ذلك وهي :

(أ) ـ توفير العمل :

إن الإسلام يلزم بتوفير العمل للمواطنين ، وتهيئة جميع وسائله من المعامل والمصانع والمشاريع العامة التي تزدهر بها الحياة العامة ويزداد فيها دخل الفرد ، وقد أعلن ذلك الامام أمير المؤمنين (ع) في بعض خطبه ، قال :

« أيها الناس إن لي عليكم حقاً ولكم علي حق فاما حقكم علي فالنصيحة

---

(١) دراسات اسلامية ص ٢٨٨ .

لكم وتوفير فيئكم عليكم » .

والفيء الذي يوفره الامام على رعيته الخراج وما يحويه بيت المال ومن الطبيعي أن توفير ذلك إنما يكون بتهيئة جميع وسائل العمل وميادين الانتاج يقول (ع) في عهده لمالك الاشتر :

« وليكن نظرك في عمارة الارض ابلغ من نظرك في استجلاب الخراج لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة » .

ويقول : « ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلاً ، وإنما يأتي خراب الأرض من إعواز أهلها » .

إن الدولة اذا شاركت في عمارة الأرض وساهمت في اصلاحها فإن ذلك يؤدي الى توفير العمل وزيادة الانتاج في الحقل الزراعي ، أما كيفية توفير العمل فإن ذلك يناط بالظروف والملابسات الزمنية للمجتمع والدولة الإسلامية مسؤولة عن رعايتها والوقوف عليها لتجنب المواطنين من داء الفقر الوبيل .

(ب) ـ رفع الضرائب عن الضعفاء :

من الاسباب التي تؤدي الى زيادة الانتاج وتحسين الحالة الاقتصادية في البلاد رفع الضرائب الثقيلة عن كواهل الفقراء والضعفاء فان ذلك يؤدي الى اقبالهم على العمل ، وزيادة انتاجهم ، وقد حقق ذلك الامام أمير المؤمنين (ع) في دور حكومته التي تمثلت فيها العدالة الاجتماعية الكبرى يقول (ع) لبعض ولاته :

« ولا تبيعن للناس في الخراج كسوة الشتاء ولا الصيف ولا رزقا يأكلونه ولا دابة يعملون عليها » واضاف يقول : « ولا تبع لأحد منهم عرضاً في شيء من الخراج ، وإنما امرنا أن نأخذ منهم بالعفو » .

ومن الطبيعي أن هذه الاجراءات تستأصل الفقر من البلاد وتوجب انتشار العمل وزيادته فإن الضرائب والتكاليف الثقيلة تشل الحركة الاقتصادية وترهق المجتمع الى أبعد الحدود ، وقد نص علماء الاقتصاد على بيان أضرارها وهي :

١ ـ انها تـوجب قلة الـرغبـة في العمـل ، وتبعث اليـأس والقنـوط في نفـوس النـاس ، وتقلل من نشـاطهم الأمـر الـذي يـوجب نقص الانتـاج وقلة الثـروة في البلاد .

٢ ـ إنها تؤدي الى تفسـخ الاخلاق فـإن الإنسان ميـال بـطبعـه الى الهـروب من الضـرائب فإذا فـرضت عليـه واستثقلهـا أمعن في التخلص منهـا بـالـوسـائـل المنكـرة كـالتزويـر والتهريب والكـذب والاحتيال وغـير ذلك من الـطرق التي تؤدي الى فسـاد الأخلاق .

٣ ـ إنها تسبب الهجرة الى البلاد الاخـرى السالمـة من الضرائب ومن المعلوم أن ذلك يؤدي الى عدم نمو الحركة الاقتصادية .

٤ ـ إنها تـوجب تهريب الامـوال الى البـلاد الاجنبيـة فـإن المثـرين لا يخضعـون للضرائب الثقيلة التي تفرضها عليهم الدولـة ، ويقومـون بتهريب أمـوالهم الى الخارج لاستثمارها هناك وذلك يوجب انهيار الاقتصـاد العام في البـلاد ويتعرض المجتمـع الى الاضـطرابات والمجـاعات الشـاملة[1] وقد شـاهدنـا أيام الشيـوعيين في العـراق تـأزم الحالة الاقتصادية وتدهورهـا واضطراب الاوضـاع في جميع المجـالات فقد قـام المثرون بتهـريب أموالهم الى الخـارج خوفـاً من مصادرة الشيـوعيين لهـا ، فاضـطربت لـذلـك جميع الاوضاع العامة وتوقفت الزراعة والتجارة وحركة الاستيراد .

وبالاضافة الى هذه الاسباب فإنها توجب حدوث التنافر بـين الشعب والحكومـة وعدم ثقته بها وترقبه لزوالها ومساندته لكل حركة تقوم ضدها ، ولهـذه الامور جـاءت تـوصيات الامـام امير المؤمنـين (ع) وأوامـره بـالغـاء ضـريبـة الخـراج عن الضعفـاء والمعوزين ، أما فرض الضرائب الاخرى التي لم ينص عليها الاسـلام فإن أخـذها من المواطنين أمر غير سائغ ولا تبيحه الشريعة الاسلامية بوجه من الوجوه وتعتبرهـا سرقـة صريحة تحاسب عليها الدولة وتسأل عنها .

---

(١) علم المالية لفارس الخوري .

(ج) ـ تشجيع التجار وذوي الصناعات :

إن مما يوجب زيادة الانتاج وانتشار الثروة في البلاد قيام الدولة بتشجيع التجار وأرباب الصناعات والمهن يقول الإمام(امير المؤمنين (ع) في عهده لمالك الأشتر:

« ثم اسِتوص بالتجار وذوي الصناعات ، وأوص بهم خيراً ، والمقيم منهم والمضطرب بماله ، والمترفق ببدنه ، فإنهم مواد المنافع ، وأسباب المرافق وجلابها من المباعد والمطارح في برك وبحرك وسهلك وجبلك حيث لا يلتئم الناس لمواضعها ، ولا يجترؤون عليها ، فإنهم سلم لا تخاف بائقته ، وصلح لا تخشى غائلته ، وتفقد امورهم بحضرتك وفي حواشي بلادك »[1]

إن التجارة من الضروريات المهمة التي تتوقف عليها الاعمال والعمران ، ومن الاسباب الرئيسية في تقدم البلاد وازدهارها وقد اعتبرت النظريات الاقتصادية الحديثة مؤآزرة التجار وارباب الصناعة من أهم المرافق لأنماء الانتاج القومي ، وكانت نشأة علم الاقتصاد وعلم المالية العامة مدينة لهذا الاعتبار فالعلم « الديواني » الذي ازدهر في المانيا في خلال القرن الثامن عشر لم يكن يرمي الا الى توجيه موارد الدولة الى الوجهة الاكثر انتاجاً ، كما أن علماء الاقتصاد في فرنسا وانجلترا على السواء اجتمعوا على القول بواجب الدولة في مؤآزرة التجارة والصناعة .

إن تشجيع التجارة والصناعة وحمايتهما من العابثين من أهم الامور التي تؤدي الى زيادة الانتاج وتوفر العمل في البلاد ، ولكن الاسلام لم يمنح التجار وارباب الصناعة الحرية التامة في تجارتهم وصناعتهم كما منحتها لهم المذاهب الرأسمالية ، فلم يسغ التجارة بالربا والاحتكار والاستغلال لأنها تؤدي الى اضطراب الحياة الاقتصادية وتوجب حصر الثروة عند فئة خاصة وحرمان الاكثرية الساحقة منها كما لم يسغ بعض الصناعات كصنع آلات اللهو والقمار وغيرها مما يوجب نشر الفساد في الأرض .

---

(١) نهج البلاغة ٣ / ١١٠ .

٢ ـ القضاء على تضخم الثروة :

إن تضخم الثراء الفردي مما يوجب نشر الفقر وشيوع البؤس والحرمان ، وقد قضى الإسلام على ذلك ووضع اسمى المناهج واروع الوسائل لازالته ، ونشير الى بعضها .

(١) ـ تحديد التجارة :

إن الاسلام حدد التجارة ، وحرم بعض طرقها ووسائلها لأجل المصلحة العامة فقد نهى عن الامور التي تلي :

(أ) ـ الاحتكار :

وشدد الاسلام في النهي عن الاحتكار يقول الرسول (ص) : « لا يحتكر الطعام الا خاطىء ، وإنه ملعون » ويقول (ص) : « من احتكر الطعام اربعين يوماً فقد برىء من الله وبرىء الله منه » .

ويقول الامام امير المؤمنين (ع) في عهده لمالك الاشتر :

« واعلم ـ مع ذلك ـ أن في كثير منهم ضيقاً فاحشاً وشحاً قبيحاً واحتكاراً للمنافع وتحكماً في البياعات وذلك باب مضرة للعامة ، وعيب على الولاة ، فامنع من الاحتكار فان رسول الله (ص) منع منه الى أن قال فمن قارف حكرة بعد نهيك اياه فنكل به وعاقبه في غير اسراف » .

ويثبت الاحتكار في سبعة اشياء الحنطة والشعير والتمر والزبيب والسمن والزيت والملح فإذا احتكرها الشخص ولم توجد عند غيره وجب على الدولة أن تستولي عليها وتأخذها منه بالقسر وتتولى تسعيرها إن اجحف صاحبها بالسعر[١] وقد أفرد ابن خلدون في « مقدمته » فصلاً خاصاً في اضرار الاحتكار قال فيه :

---

(١) الروضة كتاب المتاجر .

« ومما اشتهر عند ذوي البصر والتجربة في الامصار ان احتكار الزرع لتحين اوقات الغلاء مشؤوم وإنه يعود على فائدته بالتلف والخسران وسببه والله أعلم أنهم لحاجاتهم الى الاقوات مضطرون الى ما يبذلون فيها من المال اضطراراً فتبقى النفوس متعلقة به ، وفي تعلق النفوس بمالها سر كبير في وباله على من يأخذه مجانا ولعله الذي اعتبره في الشرع من أخذ أموال الناس بالباطل وهكذا وإن لم يكن مجانا فالنفوس متعلقة به لاعطائه ضرورة من غير سعة في العذر فهو كالمكره وما عدا الاقوات والمأكولات من المبيعات لا اضطرار للناس إليها وإنما يبعثهم عليها التفنن في الشهوات فلا يبذلون أموالهم فيها الا باختيار وحرص ولا يبقى لهم تعلق بما أعطوه فلهذا يكون من عرف الاحتكار تجتمع القوى النفسانية على متابعته لما يأخذه من اموالهم فيفسد ربحه » .

إن الاحتكار يوجب الضرر العام الذي لا يطاق ، وهو يعاكس التنافس في صنع الاسلعة أو جلبها الى الاسواق فإنها تترتب عليها جملة من الفوائد والمصالح يقول بعض من كتب في علم الاقتصاد .

« يعترف الخاص والعام بمزايا التنافس وبمضار الاحتكار وانهما فعلان متناقضان إذ ان مزايا التنافس زيادة الانتاج في جميع الاصناف والتنزيل التدريجي في الاسعار فتستفيد من ذلك الطبقات الفقيرة أكثر من غيرها وتنظيم الارباح وإيجاد نسبة بينها وبين أجر العمال توزع الثروة بين الجميع بطريقة اعدل نوعاً ما مع إيجاد تساو فيها بين جميع الصناعات وعلى نقيض هذه المزايا يقوم الاحتكار وتظهر مضاره خصوصاً في رفع الاسعار بغير مقتض »[1] .

إن الاسلام يلزم بالضرب على ايدي المحتكرين لحماية الناس من الفقر والبؤس وسلامتهم من الجوع والعري ، والدولة مسؤولة عن مراقبة ذلك .

(ب) ـ الربا :

وحرم الإسلام الربا ونهى عنه في جميع المجالات فقد اعتبره من أعظم

---

(١) فوائد الثمرات الاحمدية في المباحث الاقتصادية ص ٩١ .

الموبقات والجرائم وقد أعلن القرآن الكريم الحكم الصارم بتحريمه قال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين ، فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ،وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون ﴾[1] وقال تعالى :

﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ﴾[2] .

وأفاد سماحة الامام المغفور له الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء في ايضاح هذه الآية الكريمة قال :

« وهذا تصوير بديع لحال المرابين ، وعظيم جشعهم ، وحرصهم على جمع المال ، وادخاره وتوفيره فهو كالذي فيه مس من الجنون يذهب ويجيىء ، ويقوم ويقعد ، ويأخذ ويعطي فهو في حركة دائبة وعمل متواصل ، لا يقر له قرار ، ولا يستريح من التفكير والتوفير والادخار في ليل ولا نهار وإذا اعترضه معترض قال : مبرراً عمله انما البيع مثل الربا والبيع حلال فالربا مثله ، وهو قياس فاسد ، ويعرف فساده من القاعدة الشرعية المباركة « الغنم بالغرم » فكل معاملة فيها غنم بلا غرم فهي اكل مال بالباطل ، والبيع غنم بغرم ومبادلة مال بمال بخلاف الربا فإنه للآخذ غنم بلا غرم وللدافع غرم بلا غنم فإذا أعطى عشرة باثنتي عشرة من جنس واحد فهو أكل مال بالباطل »[3] .

إن الاسلام حرم الربا ونهى عنه واعتبره من أعظم الكبائر والموبقات فعن النبي (ص):« من أكل الربا ملأ الله بطنه من نار جهنم بقدر ما أكل وإن اكتسب منه لم يقبل الله منه شيئاً من عمله ، ولم يزل في لعنة الله والملائكة ما كان عنده

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٧٨ ـ ٢٨٠ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٧٤ .

(٣) الفردوس الأعلى ص ١٧٦ ـ ١٧٧ الطبعة الثانية .

قيراط واحد » .

وقال الامام أمير المؤمنين (ع) « آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهده في الزور سواء » .

وقال الامام الصادق (ع) : « درهم ربا أعظم عند الله من سبعين زنية كلها بذات محرم في بيت الله الحرام » .

إلى غير ذلك من الاخبار المتضافرة وهي تمنع المسلمين من التعامل به ، وتحْذر بالعقاب الأليم في دار الخلود على من يتعاطاه ويتوسط به ويتدخل في شؤونه ، وذلك لما فيه من الأضرار الهائلة على المجتمع فإنه يسبب شل الحركة الاقتصادية ويحصر الثروة العامة عند فريق من الناس فإن المرابي يبني سعادته على شقاء الآخرين ، فقد نهب المرابون أموال الناس ، وأشاعوا الفقر والحرمان في البلاد .

إن الربا من أهم الوسائل للاستعمار فقد ثبت أن الغزو الاقتصادي القائم على المعاملات الربوية كان الممهد الفعال للاحتلال العسكري والاقتصادي الذي سقطت أكثر دول الشرق تحت رحمته فقد اقترضت الحكومات الشرقية وفتحت أبواب البلاد للمرابين الأجانب فما هي إلا سنوات معدودة حتى تسربت الثروة من أيدي المواطنين إلى هؤلاء الغازين حتى إذا أفاقت الحكومات وأرادت الذود عن أنفسها وأموالها استعدى هؤلاء الأجانب عليها دولهم فدخلت باسم حماية رعاياها ، ثم تغلغلت هي كذلك فوضعت يدها مستثمرة مرافق البلاد[1] .

إن الربا من أهم الجرائم وافتكها ، والزم الإسلام بشدة بتحطيمه وازالته ولو كانت هناك دولة تتبنى الاسلام لحطمت المرابين وارجعت الفائض إلى أهله وما أبقت له ظلاً في البلاد .

(ج) ـ التلاعب بالأوزان :

ومما شرعه الاسلام في تحديد التجارة تنظيم الأوزان وعدم التلاعب بها فقد

---

(١) روح الدين الاسلامي ص ٢٩٩ .

حذر الذين يتلاعبون بالأوزان بالعذاب الدائم في يوم حشرهم ونشرهم قال تعالى : **﴿ ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم او وزنوهم يخسرون ألا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾**[1] .

لقد امر الاسلام بإقامة الوزن بالقسط قال تعالى : **﴿ وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان ﴾**[2] ويترتب على ذلك ان الارباح التي تنشأ من التلاعب في الميزان انما هي أموال مغصوبة لا يجوز للمسلم أن يتصرف بها ويجب ارجاعها إلى أهلها إن عرفهم والا فتكون مجهولة المالك فتعطى الى الحاكم الشرعي ليتصدق بها عن أهلها .

(هـ) ـ الغبن :

وحرم الاسلام الغبن في التجارة وهو البيع والشراء بدون ثمن المثل مع الجهل بالقيمة وذلك بأن يشتري ما قيمته مائة بخمسين ، وقد جعل الاسلام للمغبون خيار الفسخ فحين اطلاعه على ذلك له أن يبادر الى فسخ المعاملة ليسلم من الضرر .

هذه بعض القيود التي فرضت على التجارة وهي تحدد تضخمها واتساعها ، وذكر الفقهاء اموراً اخر من المقيدات لها الأمر الذي يدل على اهتمام الاسلام بنشر الثروة بين الناس وعدم حصرها عند فئة خاصة .

(٢) ـ الارث :

وفرض الإسلام قانون الميراث ليمنع من اتساع الملكية عند الاقلية من الناس فإن صاحب الثروة إذا توفي وطبقت قوانين الميراث الإسلامي في تركته فإنها حتما تتلاشى لأنها تتوزع على ورثته بحسب التفاوت بين انصبتهم ، ويتولد حينئذ عدد وافر من صغار المثرين وتضمحل الثروة الكبيرة .

---

(١) سورة المطففين آية ١ ـ ٦

(٢) سورة الرحمن آية ٩ .

إن قانون الميراث الإسلامي لو سار عليه المسلمون وطبقوه على حقيقته وواقعه لما بقي في بلادهم ظل للثروة الكبيرة ولا وجد الاقطاع عندهم .

إن قواعد الإرث توجب اضمحلال الملكية الكبيرة وتقضي على الثراء الفاحش وهو من محاسن التشريع الإسلامي في عالم الاقتصاد يقول الدكتور (جوستاف لوبون) الفرنسي :

ومبادىء المواريث التي نص عليها القرآن على جانب عظيم من الانصاف . . . والشريعة الإسلامية التي منحت الزوجات ـ اللواتي يزعمن أن المسلمين لا يعاشروهن إلا بالمعروف ـ حقاً في المواريث لا تجد مثلها في قوانيننا »[1] .

إن القوانين الغربية قد خصت الميراث بالولد الأكبر وحرمت بقية الورثة منه فأدى ذلك الى حصر الثروة عند طائفة خاصة الأمر الذي اوجب شيوع الفقر والتذمر في بلادهم .

(٣) ـ الضرائب المالية :

وفرض الإسلام ضرائب مالية على الأموال وهي تخفف من طغيان رأس المال ، وتقضي على الفقر والفاقة كما تنشر المحبة والوئام بين افراد المجتمع الاسلامي فقد الزم الاسلام مالكي الثروات بتأديتها للفقراء والمعوزين لتسد حاجتهم وتقيم اودهم ونشير الى بعضها وهي :

(١) ـ الزكاة :

إن الزكاة ليست احسانا فرديا متروكا لضمير الفرد وشعوره فإن شاء اداها وإن شاء تركها ، وإنما هي حق لازم تأخذه الدولة وتقاتل عليه ، فهي أحد اركان الاسلام وقد جاء الأمر بها مقرونة بالصلاة في نحو ثلاثين موضعاً قال الله تعالى :

---

(١) حضارة العرب ص ٤١٦ .

﴿ **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة** ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ **وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة** ﴾[2] .

إن فلسفة الزكاة تقوم على مبدأ التكافل الاجتماعي ذلك المبدأ الذي أحله الاسلام محل الذروة في مجتمعه فقد جعل الفرد مسؤولاً عن غيره مسؤولية مادية لا يمكنه ان يتخلص منها ، ولا يوجد لذلك نظير في أي مذهب آخر .

يقول الامام كاشف الغطاء رحمه الله في فلسفة تشريعها :

وليست فوائد هذا التشريع مقصورة على الناحية المادية بل فيها من الفوائد الاجتماعية والتأليف بين الطبقات وتعاطف الناس بعضهم على بعض ، وقطع دابر الفساد والشغب فيما بينهم ما هو أوسع واجل واجمع فان فيه غرس بذور المحبة بين الفقير والغني ، فالغني يدفع وينفع الفقير باليسير من ماله عن طيب خاطره اداء لواجبه ورغبة بطلب المثوبة من ربه ، والفقير يأخذها من غير مهانة ولا ذلة لأنه أخذ الحق الواجب من مالكه وخالقه »[3] .

إن الزكاة هي الثروة الكافلة للعاطلين من المسلمين والوسيلة للعاجزين والمرضى واليتامى فإنها تنفي عنهم كابوس الفقر ، ويلاحظ فيها ما يلي .

١ ـ انها تصرف لفئات معينة وهم الفقراء والمساكين ، والعاملين في جبايتها والمدينين الذين لا يستطيعون وفاء دينهم ، والعبيد في عتقهم وابناء السبيل المنقطعين في الغربة ، وللمؤلفة قلوبهم ، وفي سبيل الله ـ أي المصالح العامة ـ كبناء القناطر والمدارس والمعابد والمستشفيات وامثال ذلك وقد نصّ القرآن الكريم على ذلك قال تعالى ﴿ **انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل** ﴾[4] .

---

(١) سورة البقرة آية ٤٣ .
(٢) سورة البينة آية ٥ .
(٣) الفردوس للأعلى ص ١٨٢ .
(٤) سورة التوبة آية ٦٠ .

٢ ـ انها ليست احسانا ولا منة بل هي حق اجتماعي تشرف الدولة على استيفائها وتأخذها بالجبر من الممتنع لأدائها .

٣ ـ ان زكاة كل اقليم وبلد تنفق فيه ولا يجوز اخراجها عنه فإذا فضل منها شيء رد الى بيت المال العام لينفق على سائر سكان الوطن الإسلامي .

٤ ـ اجمع عامة فقهاء المسلمين على عدم منافاة صدق عنوان الفقير لمن وجدت عنده الأمتعة التالية وهي :

١ ـ مسكن لائق له ولأهله .

٢ ـ البسة له ولهم حسب ما يقتضيه العرف العام بالنسبة لوضعه وشأنه .

٣ ـ خادم له أو لزوجته إذا كانا محتاجين لذلك .

٤ ـ المركب الذي يحتاج اليه من فرس وغيره .

فالفقير في عرف الإسلام هو الذي يملك هذه الأشياء ولكنه لا يملك مؤنة سنته بالفعل أو بالقوة فله أن يأخذ من أموال الزكاة ما يقيم به أوده ويسد حاجته ، وقد سأل رجل الحسن عن الرجل تكون له الدار والخادم أفيأخذ الصدقة قال يأخذ الصدقة إن احتاج ولا حرج[١] كما يسوغ له أن يأخذ من أموال الزكاة ويشتري بها هذه الامور إذا كان فاقداً لها وكان محتاجاً لها[٢] .

فضريبة الزكاة على هذا الوجه تسير بالمجتمع نحو الغنى والرفاهية وتتخلص الامة بسببها من الفقر والاعواز ، هذا موجز الكلام في الزكاة أما بيان الموارد التي تجب فيها وتستحب وبيان أحكامها وشرائطها فقد تعرضت لها بالتفصيل كتب الفقه الإسلامي .

(٢) ـ الخمس :

من الضرائب المالية الكبرى التي فرضها الاسلام على أموال الأغنياء الخمس

(١) الاموال لابي عبيدة .

(٢) الروضة كتاب الزكاة .

فقد فرضه الله تعالى لنبيه محمد (ص) ولذريته عوضا عن الزكاة تكريماً لهم عنها ، وقد تظافرت الأخبار بلزومه وأن مانع درهم أو أقل منه مندرج في الظالمين والغاصبين لحقهم ، ومن استحل ذلك كان من الكافرين ، وان أيسر ما يدخل به العبد النار أكل درهم واحد منه ، ولا يعذر عبد اشترى منه شيئاً أن يقول اشتريته بمالي حتى يأذن له أهله .

إن الخمس من أضخم الضرائب المالية التي توجب تخفيف رأس المال وتقليص الثراء وهو يجب في سبع مواد وهي :

١ ـ **الغنيمة** : وهي ما يحوزه المسلمون بإذن النبي (ص) أو الامام من أموال الحرب بغير سرقة ولا غيلة سواء أكانت الأموال منقولة أو غير منقولة .

٢ ـ **المعادن** : وهي المستخرجة من الأرض كالنفط والكبريت وما ماثل ذلك .

٣ ـ **الغوص** : وهو المستخرج من البحر كاللؤلؤ والمرجان وغير ذلك .

٤ ـ الحلال المختلط بالحرام ولا يتميز ولا يعلم صاحبه ولا قدره .

٥ ـ **الكنز** : وهو المال المذخور تحت الأرض قصداً في دار الحرب أو في دار الإسلام ولا أثر له عليه .

٦ ـ أرض الذمي : المنتقلة إليه من مسلم سواء انتقلت اليه بشراء أم بغيره .

٧ ـ **أرباح المكاسب** : وهي ما يفضل من مؤنة السنة من أرباح التجارة والصناعة والزراعة وسائر أنواع التكسبات كالكتابة والخياطة والتجارة وما ماثل ذلك فإن الفاضل يجب فيه الخمس ، ويدفع نصفه إلى فقراء العترة الطاهرة من ذرية النبي (ص) تكريماً لهم وشبه جزاء وأجر لجدهم النبي (ص) فيما تحمل من عناء التبليغ وأعباء اداء الرسالة ، وأما النصف الآخر من الخمس فإنه يدفع إلى الامام (ع) وفي حال الغيبة يدفع إلى نائبه وممثله الحاكم الشرعي الذي ترجع إليه الامة في شؤون التقليد ليصرفه في صالح المسلمين .

هذا موجز القول في بعض الضرائب المالية التي فرضها الاسلام وهي توجب

تحديد الثراء وعدم تضخمه واتساعه .

(٣) ـ الانفاق في سبيل الله :

وحث الاسلام وأكد وبالغ في الدعوة إلى الانفاق في سبيل الله وقد تكرر الطلب لذلك في القرآن الكريم فقلما تجد سورة من سوره المباركة خالية عن الحث على ذلك قال تعالى :

﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم * الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا أذىً لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون[١] ﴾ .

ووصف تعالى في آية اخرى الانفاق في سبيله بأنه التجارة الرابحة التي تكون ذخراً لصاحبه في يوم حشره ونشره قال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون[٢] ﴾ .

وقال تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة [٣] ﴾ .**

وتظافرت الأخبار وتواترت بحثّ المثرين على القيام بالمبرات الاجتماعية كمساعدة الفقراء والمعوزين وما إلى ذلك من وجوه الخير والمعروف يقول الامام كاشف الغطاء : « ما من شريعة من الشرايع ولا دين من الأديان ، ولا كتاب من الكتب قد حث وبالغ في الدعوة إلى البر والاحسان والمعروف وبذل المال في سبيل

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٦ و ٢٦٢ .

(٢) سورة الصف : آية ٩ و ١٠ .

(٣) سورة البقرة : آية ٢٥٤ .

الخير مجاناً ولوجه الله كشريعة الاسلام وكتابها المجيد » .

ان الانفاق والبر في سبيل الله من أهم العوامل التي تقضي على تضخم الملكية واتساع الثروات كما انه من أهم الأسباب التي تبعث إلى نشر الاخوة والتعاون والتآلف بين المسلمين ، ولو قام المثرون بمساعدة الفقراء والمعوزين لما وفدت إلى العالم الاسلامي هذه المبادىء المادية التي تدعو الى التفسخ والانحلال .

(٤) ـ الضمان الاجتماعي :

ان الغاية من الضمان الاجتماعي الذي شرعه الاسلام هي مسؤولية الدولة عن ضمان العيش والراحة للمواطنين ، وقد تقدمت كثير من مظاهره ونشير الى البعض الآخر منها :

١ ـ قيام الدولة بتسديد الإعواز لمن لا تكفيهم مؤنتهم فانهم يأخذون بقية نفقتهم وما يحتاجون اليه من بيت المال ، والدولة مسؤولة عن تسديد ذلك .

٢ ـ ان الطبقة الفقيرة اذا استدانت لوجه مشروع كالدين للزواج أو لشراء المسكن أو لبنائه أو غير ذلك من الجهات المشروعة وعجزت عن وفائه فعلى الدولة القيام بوفائه ودفعه وقد ورد في الحديث الشريف « من توفي فترك دينا فعلي قضاؤه[١] » ويقول الامام موسى بن جعفر (ع) :

« من طلب هذا الرزق من حله ليعود به على نفسه وعياله كان كالمجاهد في سبيل الله ، فان غلب عليه فليستدن على الله ورسوله ما يقوت به عياله فان مات ولم يقضه كان على الامام قضاؤه فإن لم يقضه ـ أي الامام ـ كان عليه وزره ان الله عز وجل يقول : ﴿ **انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين الى قوله تعالى : والغارمين** ﴾ وهذا فقير مسكين مغرم[٢] .

وقال الامام علي بن موسى (ع) : « الغرم إذا تدين أو استدان في حق اجل

---

(١) البخاري ٣ / ١٧٩ .

(٢) حياة الامام موسى بن جعفر (ع) ١ / ٢٣٣ .

سنة فإن اتسع وإلا قضى عنه الامام من بيت المال[1] » .

وقال الامام الصادق (ع) : قال رسول الله (ص) : « أيما مؤمن أو مسلم ترك ديناً ولم يكن في فساد ولا اسراف فعلى الامام أن يقضيه فإن لم يقضه فعليه اثم ذلك ان الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ **انما الصدقات للفقراء والمساكين الآية** ﴾ فهو من الغارمين وله سهم عند الامام فإن حبسه فاثمه عليه[2] .

الى غير ذلك من الأخبار التي تلزم الدولة بتسديد ديون الفقراء إذا عجزوا عن وفائها .

٣ ـ ويجب على الدولة أن تقوم بالانفاق على العاجز عن العمل لمرض أو شيخوخة أو عمى إذا لم يكن لهم مال ولا ولد ينفق عليهم ، وقد ذكر المؤرخون ان عمر بن عبد العزيز جعل لكل أعمى قائداً ، ولكل مقعد خادماً ، وفرض للزمنى رزقاً مخصوصاً حتى قيل ان الزمين احب الى أهله من الصحيح .

٤ ـ إن الدولة التي تتبنى الإسلام يجب عليها أن تقدم جميع المبرات والمعونات للضعفاء والمحرومين ، وقد أعلن ذلك الامام امير المؤمنين عليه السلام في عهده لمالك الأشتر يقول (ع) :

« ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمنى[3] فإن في هذه الطبقة قانعاً[4] ومعتراً[5] واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم واجعل لهم قسماً من بيت مالك وقسماً من غلات صوافي الإسلام[6] » .

---

(١) اصول الكافي ١ / ٤٠٧ .

(٢) اصول الكافي ١ / ٤٠٧ .

(٣) الزمنى : جمع زمين وهم أرباب العاهات المانعة لهم من الاكتساب .

(٤) القانع : السائل .

(٥) المعتر : المعترض للعطاء بلا سؤال .

(٦) الصوافي : جمع صافية وهي أرض الغنيمة .

ويؤكد الامام (ع) اهتمامه البالغ بالفقراء فيقول :

« فلا يشغلنك عنهم بطر[1] فانـك لا تعذر بتضييعـك التافـه لاحكامـك الكثير المهم فلا تشخص[2] همك عنهم ، ولا تصعر خدك عنهم ، ويفقـد امور من لا يصـل إليك ممن تقتحمه [3] العيـون وتحقره الـرجال ، ففـرغ لاولئك ثقتـك من أهل الخشيـة والتواضع فليرفع إليك امورهم ثم اعمـل فيهم بالاعـذار الى الله يوم تلقـاه فإن هؤلاء من بين الرعية احوج الى الانصاف من غيرهم » .

ويتعرض الامام (ع) الى صنف آخر من المعوزين فيـأمر بمسـاعدتهم والعـطف عليهم يقول (ع) :

« وتعهــد أهـل اليتم وذوي الـرقة [4] في السن ممن لا حيلة لــه ، ولا ينصب للمسألة نفسه وذلك على الولاة ثقيل والحق كله ثقيل [5]» .

واشتملت هـذه الـوصيـة عـلى جميـع صنـوف الـرحمـة وأنـواع البـر والاحسـان بالضعفاء ولم نعهد أن هناك مذهباً من المـذاهب أو دينا من الأديـان قد أمـر بمثل هـذا العطف والحنان على الفقراء والبائسين .

الى هنـا ينتهي بنا الحـديث عن بعض الوسـائل التي شـرعها الاسـلام لمكافحـة الفقر وازالة شبحـه البغيض من المجتمع أمـا استيفاء البحث في ذلـك ، وبيان اصـالة الاقتصـاد الإسلامي ، وعـدم صلاحيـة الأنظمـة الاقتصاديـة الحديثة من الرأسمـاليـة والشيوعية الى اصلاح الحياة العامة ، وعدم استطاعتهـا على نشر الاستقـرار والرفـاهية في شعوب الأرض فإن البحث عن ذلـك كله يستـدعي إلى المجلدات الضخمـة وقـد تناول الموضوع بالبحث والتحليـل جماعـة من أفذاذ الفكـر الإسلامي فـأوفوا المـوضوع حقه .

---

(١) البطر : طغيان النعمة .

(٢) لا تشخص : أي لا تصرف همك عن ملاحظة شؤونهم .

(٣) تقتحمه العيون : أي تحتقره العيون .

(٤) ذوو الرقة : المتقدمون في السن .

(٥) نهج البلاغة ٣ / ١١١ .

٣ ـ بسط الأمن :

إن من أهم الأهداف التي تنشدها الدولة الإسلامية في سياستها الداخلية بسط الأمن العام وحفظ أرواح الناس وأعراضهم وأموالهم من الباغين والمعتدين ، وقد ركز الإسلام ذلك على القواعد الاصيلة والاسس الرفيعة التي لو طبقت لما وقع اجرام ولا اعتداء ولساد الاستقرار والأمن على جميع الامم والشعوب ونشير الى بعضها :

١ ـ التربية الصالحة :

إن الإسلام يسعى بكل جهوده الى غرس الأمانة والوفاء والصدق والحياء والعفة والإيمان بالله في نفس المسلم فإذا اترعت نفسه بالمثل الخيرة وآمن بالله فإنه يستحيل منه وقوع الجرائم والموبقات التي تضر نفسه وتضر أبناء جنسه يقول بعض الكتاب : « على الامة الاسلامية إذا أرادت أمناً عاماً أن تربي أفرادها على الخلق القويم ، وعلى معرفة الحقوق والواجبات وأدائها صحيحة كاملة فلا يبغي أحد على أحد ، ويفخر غني على محروم ، ولا يحقر نسيب وضيعاً ، ولا يضطر أحد احداً الى خصامه أو قتاله بايذاء له أو اعتداء على حقه وبعبارة موجزة : الإيمان بأن « كل المسلم على المسلم حرام : دمه وعرضه وماله » كما هو لفظ حديث نبوي معروف[1] .

إن التربية الصالحة التي سعى الاسلام الى تكوينها وايجادها لا تدع مجالاً باي حال من الأحوال الى وقوع الفساد والاجرام في الارض .

---

(١) دين ودولة .

٢ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

من أهم القواعد التي يبتني عليها الأمن العام في البلاد قيام الناس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنهم إذا تضامنوا على ذلك وقاوموا الباطل ، وساندوا الحق فلا يعقل أن يقع منكر أو يضاع معروف ، يقول الامام كاشف الغطاء رحمه الله :

« لو أننا نقول للكاذب أنت كاذب ، وللظالم أنت ظالم لما وصلنا الى هذا الحال التعيس الذي يلعنه حتى ابليس .

نعم هذا السكوت وهذا النفاق وهذه المخاتلة التي نسميها مجاملة ، والمخادعة التي نقول إنها مصانعة هذه التلبيسات الشيطانية الناشئة من خور الطبيعة وضعف الدين وهزال اليقين هو الذي جرأهم الى ارتكاب هذه العظائم والجرائم غير مبالين ولا مكترثين .

إنا سكتنا عن الكذاب فانفتحت ... أمامه لفنون الكذب أبواب
يلقي علينا أقاويل مزخرفة ... ولا نقول له اسكت أنت كذاب[٢]

إن السكوت عن المجرمين هو الذي يشجعهم على ارتكاب المنكرات والجرائم ولو قوبلوا بالانكار والاعراض واللوم والتقريع لما ارتكب المجرمون الفساد وما تظاهروا به وما تجاهروا واعلنوا المنكرات .

لقد اهتمت شريعة الإسلام كتابا وسنة بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجعلته فرضاً من فرائض الاسلام قال تعالى : ﴿ **ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون** ﴾[٢] وقال تعالى : ﴿ **كنتم خير امه اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر** ﴾[٣] وقال تعالى :

---

(١) المثل العليا في الاسلام لا في بحمدون .
(٢) سورة آل عمران : آية ١٠٤ .
(٣) سورة آل عمران : آية ١١٠ .

﴿ فلما نسوا ما ذكروا به انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ﴾[1] .

وقال (ص) : « ما بعث الله نبياً إلا وله حواري فيمكث النبي بين أظهرهم ما شاء الله يعمل فيهم بكتاب الله وبأمره وسنة نبيهم ، فإذا انقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون رؤوس المنابر يقولون ما يعرفون ويعملون ما ينكرون فاذا رأيتم ذلك فحق على كل مؤمن جهادهم بيده فإن لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وليس وراء ذلك اسلام »[2] .

وقال الامام أمير المؤمنين (ع) : « إن من رأى عدوانا يعمل به ومنكراً يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم وبرىء ومن أنكره بلسانه فقد أُجر وهو أفضل من صاحبه ، ومن أنكره بالسيف لتكون كلمة الله العليا وكلمة الظالمين السفلى فذلك الذي أصاب سبيل الهدى وقام على الطريق ونور في قلبه اليقين »[3] .

وقال الامام الباقر (ع) : « إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الانبياء ومنهاج الصلحاء ، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض ، وتأمن المذاهب ، وتحل المكاسب ، وترد المظالم ، وتعمر للأرض ، وينتصف من الأعداء ، ويستقيم الأمر ، فانكروا بقلوبكم ، والفظوا بألسنتكم ، وصكوا بها جباههم فلا سبيل عليهم **﴿ انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق اولئك لهم عذاب اليم**[4] ﴾ هنالك فجاهدوهم بأبدانكم وابغضوهم بقلوبكم غير طالبين سلطاناً ولا باغين مالا ولا مريدين لظلم ظفرا حتى يفيئوا إلى أمر الله ويمضوا على طاعته » .

إن اقامة المعروف وتحطيم المنكر من أهم الأهداف التي ينشدها الإسلام وقد

---

(١) سورة الاعراف : آية ١٦٥ .

(٢) احياء العلوم ٢ / ٢٧٢ .

(٣) الوسائل كتاب الأمر بالمعروف .

(٤) سورة الشورى : آية ٤٢ .

ضحى أئمة المسلمين بأرواحهم ونفوسهم في سبيل ذلك ، فهذا الامام أبو عبدالله الحسين (ع) سيد شباب أهل الجنة وريحانة الرسول (ص) إنما ثار على يزيد بن معاوية الطاغية ابن الطاغية من أجل اعلاء كلمة الحق واحياء سنن العدل والقضاء على روح الوثنية والالحاد واعادة الحياة الإسلامية إلى مجراها الطبيعي يسودها العدل والمعروف ، وقد أعرب عليه السلام عن ذلك في بعض رسائله التي كشف فيها عن أسباب نهضته فقد جاء فيها : « إني لم أخرج اشراً ولا بطراً وانما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي اريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر » من أجل اداء هذه الرسالة الكبرى انبرى (ع) إلى ميادين الجهاد والكفاح حتى استشهد في سبيل الله .

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم الدعائم التي يقام عليها الأمن العام ومن أوثق الركائز التي يستند اليها العدل ولولاهما لما اقيمت سنة ولا اميتت بدعة ، وعلينا أن نشير الى كيفية وجوبهما والى شرائطهما ومراتبهما وإلى ما ينبغي أن يتصف به الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والى القراء ذلك :

١ ـ الوجوب :

لا اشكال في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند توفر الشرائط ، ووجوبهما كفائي يجب على عموم المسلمين القيام به فإن قام به بعضهم سقط الوجوب عن الآخرين وإلا فقد أثم الجميع وأخلوا بالواجب .

٢ ـ الشرائط :

انما يجب الأمر بالمعروف فيما اذا توفرت الشروط وهي أربعة « **الاول** » علم الآمر بأن ما يأمر به معروف وانْ ما ينهى عنه منكر فلا يجبان في المشتبه بل لا بد من الاحراز والقطع بذلك كي يأمن من الغلط والخطأ « **الثاني** » تجويز التأثير فلو علم أو غلب على ظنه انه لا يؤثر فيه لا يجب لعدم الفائدة « **الثالث** » القدرة والتمكن منه ، وعدم تضمنه للمفسدة فلو ظن الضرر على نفسه أو على بعض المؤمنين فانه يسقط الوجوب عنه « **الرابع** » أن يكون المأمور أو المنهي مصراً على الاستمرار ، فلو ظهر منهما إمارة الاقلاع عن المنكر سقط الوجوب .

٣ ـ مراتبه :

وذكر الفقهاء مراتب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي : « **الأول** » اظهار الكراهة والاعراض والمهاجرة والابتعاد عن مرتكب ذلك « **الثاني** » الانكار باللسان ويبتدىء أولاً بالكلام اللين وبالوعظ والنصح والارشاد والتخويف والزجر الأيسر فالأيسر حتى يصل الى مرتبة التعنيف بالقول والغلظة في الكلام « **الثالث** » التهديد والتخويف « **الرابع** » مباشر الضرب باليد من دون أن تنتهي الى إراقة الدماء « **الخامس** » تجريد السلاح وقد اختلف الفقهاء فيه فجوزه سيدنا المرتضى وتبعه العلامة في كثير من كتبه وذلك لعموم أوامر الجهاد واطلاقها وذهب الباقون إلى عدم جواز ذلك واشترطوا اذن الامام (ع) .

٤ ـ ما ينبغي للآمرين والناهين :

وينبغي للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أن يكونوا من ذوي المرونة والأخلاق الرفيعة وأن يكونوا متصفين بما يأمرون به ومنتهين عما ينهون عنه وإلا فيصدق عليهم قوله تعالى : ﴿ **اتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم** ﴾ ومن الطبيعي أن كلامهم لا يؤثر ولا يجدي ، وذكر النراقي رحمه الله كلاماً جميلاً في هذا الباب قال ما نصه :

« وينبغي لكل من الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون حسن الخلق صابراً حليماً قوياً في نفسه لئلا ينزعج ، ولا يضطرب إذا قيل في حقه ما لا يليق به فإن أكثر الناس اتباع الهوى فإذا نهوا عما يميلون اليه شق ذلك عليهم فربما اطلقوا ألسنتهم في حق الناهي ويقولون فيه ما لا يليق بشأنه وربما تجاوزوا إلى سوء الأدب قولا وفعلاً بالمشافهة .

وان يكون رفيقاً بالناس فان الوعظ بالرفق والملاءمة أوقع وأشد تأثيراً في قلوب أكثر الناس وان يكون قاطعاً للطمع عن الناس فإن الطامع من الناس في أموالهم أو اطلاق ألسنتهم بالثناء عليه لا يقدر على الحسبة[1] .

---

(١) جامع السعادات ٢ / ٢٤٣ .

إن البلاد الإسلامية في حاجة ماسة لأن ينبري فيها جماعة من المؤمنين للقيام بأداء هذا الواجب الخطير على أن تساندهم السلطات المحلية كي لا يعتدى عليهم من قبل المجرمين والمفسدين ، ليحطموا هذه الصور المنكرة المنتشرة في البلاد التي أخذت في الازدياد نظراً لعدم وجود الرادع والمنكر واهمال الحكومات بل وتشجيعها لها .

ومما لا شك فيه ان المسلمين إذا اوجدوا جماعة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فإن الأمن يستتب في بلادهم ويسود السلام والاستقرار في ربوعهم ، ولا تنتهك كرامة أحد ولا يعتدى على انسان .

٣ ـ الحدود والتعازير :

ووضع الدين الإسلامي الحدود والتعازير على من تعدى وتجاوز الأنظمة التي قررها للمحافظة على أرواح الناس وأموالهم وممتلكاتهم ، وكراماتهم فقد فرض الاسلام العقوبات الصارمة على المتجاوز لذلك لأجل وقاية المجتمع من الفساد وصيانته من التفسخ والتدهور ، وعلينا أن نشير الى ذلك .

١ ـ الحدود :

والفرق بين الحد والتعزير أن الحد له عقوبة مقدرة شرعاً فلا يستطيع الحاكم الشرعي أن يزيد فيها أو ينقص منها بخلاف التعزير فإن عقوبته مفوضة الى رأي الحاكم فله أن يزيد فيها وينقص منها ، وقد فرض الاسلام الحدود على أمهات الجرائم والمعاصي والموبقات التي توجب شقاء المجتمع ودماره وهي :

(أ) ـ القتل العمد :

إن جريمة القتل العمد من أخطر الجرائم ، واشدها اخلالا بالأمن وقد توعد تعالى القاتل بالخلود في نار جهنم قال تعالى : ﴿ **ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه نار جهنم خالداً فيها**[1] ﴾ وقد رتب الله على هذه الجريمة القصاص[2] قال تعالى :

---

(١) سورة النساء : آية ٩٣ .

(٢) القصاص (بكسر القاف) في اللغة مأخوذ من اقتصاص الأثر بمعنى اتباعه وتعقبه ، ثم غلب =

﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفي له من اخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم * ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب لعلكم تتقون[1] ﴾ .

وقتل العمد الذي يترتب عليه القصاص انما يثبت فيما إذا توفرت الشروط الآتية وهي :

١ ـ أن يكون المقتول معصوم الدم فلا قود بقتل المرتد ونحوه من صنوف الكفار .

٢ ـ أن يكون المقتول مكافئاً لنفس القاتل في الإسلام والحرية وغيرهما من الامور التي نص عليها الفقهاء .

٣ ـ ان يكون القتل عمداً وهو يحصل بقصد البالغ العاقل الى الجريمة فإذا كان القاتل صبياً أو مجنوناً فان عمدهما يلحق بقتل الخطأ .

٤ ـ ان يكون القتل عدوانا فاذا كان فصاصاً فإنه لا دية فيه[2] .

فإذا اجتمعت هذه الشرائط ترتب القصاص الذي به حقن الدماء يقول الاستاذ مصطفى احمد الزرقاء :

« إن نماء الحياة الاجتماعية الطيبة بحقن الدماء وصون النفوس والاجسام يتوقف عليه ، ففي القصاص تحقيق للعدالة الكاملة وحماية للبنية الانسانية من أن يستهان بالعدوان عليها كي يعلم المعتدي على حياة غيره أو جسمه أنه كأنما يعتدي في النهاية بنظير ذلك على نفسه عن طريق القصاص ، فعندئذ يتهيب الاقدام على

= استعماله في قتل القاتل لما فيه من تتبع أثر الدم بالعقاب جاء ذلك في مفردات القرآن للراغب الاصفهاني .

(١) سورة البقرة : آية ١٧٨ و ١٧٩ .

(٢) الروضة كتاب القصاص .

هذا الجرم الهدام حرصاً على نفسه وإن الواقع المستمر ينبىء بأن كل العقوبات غير المتكافئة مع هذه الجريمة الفظيعة من حبس أو تغريم أو غيرهما فإنما تسهل ارتكابها لاطمئنان المجرم إلى أنه سيكون في النهاية سليما رائعاً ممتعاً ، كما انها أيضاً تبقي في النفوس حزازاتها فتحمل أهل القتيل على تبييت فكرة الانتقام الشخصي فتكون للجناية ذويل جرارة »[1] .

إن القصاص يوجب القضاء على جريمة القتل فان القاتل إذا علم أنه يقتل فلا يقدم على ذلك وفي المثل الجاهلي : « القتل أنفى للقتل » ويقول الله تعالى ﴿ **ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب** ﴾ .

وأما الجناية على الاطراف من عين أو يد فقد جعل الاسلام عقوبة ذلك أن يفعل بالجاني مثل ما فعل ولكن يشترط في ذلك المماثلة بين العضوين فلا تقطع يد صحيحة في يد شلاء ولا تفقأ عين سليمة في نظير عين عوراء ، وهذا هو منطق العدل فجزاء سيئة سيئة مثلها .

كما ان لولي المقتول العفو عن الجاني والمطالبة بالدية وقد ذكر الفقهاء في دية النفس المقتولة عمداً أحد أمور ستة يتخير الجاني في دفع ما شاء منها وهي :

١ ـ مائة من مسان الابل

٢ ـ مائتا بقرة .

٣ ـ مائتا حلة ـ بالضم ـ كل حلة ثوبان من برود اليمن .

٤ ـ الف شاة .

٥ ـ الف دينار ـ أي الف مثقال ـ من الذهب الخالص .

٦ ـ عشرة آلاف درهم .

وهذه الدية تؤخذ من مال الجاني وإذا اسقط المجني عليه حقه في القصاص

---

(١) المدخل الفقهي العام ١ / ٤٠٥ .

فيما اذا اعتدي على أحد اطرافه فأن له دية جروحه وقد عين الفقهاء قدرها في كتب الفقه .

(ب) ـ الحرابة :

الحرابة (بكسر الحاء) هي قطع الطريق للسلب والنهب والقتل وقد بين حدها القرآن العظيم قال تعالى : **﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً أن يقتلوا او يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم ﴾**[1] .

وظاهر هذه الآية ان الامام يتخير في تنفيذ هذه العقوبات الاربع في حق قاطع الطريق ولكن بعض الفقهاء ذكروا أن هذا التفصيل يوزع على الحالات التي تلي .

١ ـ القتل لقاطع الطريق إذا كان قاتلاً :

٢ ـ الصلب مع القتل إن قتلوا وسلبوا الاموال على خلاف في الصلب .

٣ ـ قطع اليد والرجل من خلاف ـ أي اليمنى والرجل اليسرى ـ لمن أخذ مالا يعادل نصاب السرقة ولم يرتكب قتلا .

٤ ـ النفي إن استعمل الارهاب ولم يقتل ولم يسلب ، وقد فسر النفي بعضهم بالحبس[2] .

وإذا تاب قاطع الطريق قبل القبض عليه تسقط عنه العقوبة ولكن إذا كان قاتلا يجري عليه حكم القصاص أو الدية حسب ما يرتئي أولياء المقتول :

(ج) ـ القذف :

القذف : هو أن يرمي ـ أي يتهم ـ شخص شخصاً أخر بالزنا أو اللواط

---

(١) سورة المائدة : آية ٣٣ و ٣٤ .

(٢) مجمع البيان ، احكام القرآن للجصاص ، تفسير الفخر الرازي .

اتهاماً ، صريحاً كأن يقول له : أنت زان أو لائط ، وما شابه ذلك من الالفاظ الدالة على القذف بأي لغة كان وإن لم يعرف المواجه المعنى ، وإن قال : يا بن الزانية فيحد للام ويعزر للمواجه لأنه تضمن شتمه واذاه ، وحده ثمانون جلدة اجماعاً ولقوله تعالى : ﴿ **والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً واولئك هم الفاسقون** ﴾[1] .

وشروط الاحصان الذي يترتب عليه الحد هي البلوغ ، والعقل والحرية والإسلام والعفة فمن اجتمعت فيه هذه الشروط وجب الحد بقذفه وإن فقد احدها فالواجب التعزير[2] ولا فرق في القذف بين الرجال والنساء .

(د) ـ الزنا :

أما عقوبة الزنا فقد فرقت فيها الشريعة الإسلامية بين المحصن وغيره رجلاً كان أو امرأة ، والمراد به هو أن يكون الشخص ذا زوجة مع كونه بالغاً عاقلاً ، وكذلك المرأة المحصنة أن تكون ذات زوج فإذا زنى المحصن بامرأة بالغة عاقلة حرة كانت أم امة مسلمة أم كافرة فجزاؤهما الاعدام رجماً بالحجارة ، واستقرب الشهيد الأول رحمه الله الجمع بين الجلد والرمي وقوّى ذلك الشهيد الثاني لدلالة الأخبار الصحيحة عليه[3] .

أما غير المحصن وغير المحصنة ـ أي غير المتزوجين ـ فيحدان بمائة جلدة لقوله تعالى : ﴿ **الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين**[4] ﴾ وينبغي اعلام الناس بوقت الرجم ليحضروا حتى يعتبروا بذلك وينزجروا عن ارتكاب هذه الجريمة وذهب ابن ادريس والعلامة الحلي إلى وجوب

---

(١) سورة النور : آية ٤ .

(٢) الروضة كتاب الحدود .

(٣) الروضة .

(٤) سورة النور : آية ٢ .

حضـور طائفـة من الناس عمـلاً بظاهـر الأمر المـوجود في الآيـة الكـريمـة ﴿ **وليشهـد عذابهما طائفة من المؤمنين** ﴾ .

(هـ) ـ اللواط :

وهـو من افحش الجرائم الخلقيـة فمن ثبتت هـذه الجـريمـة في حقـه فيقتـل اما بـالسيف أو الاحراق بـالنار أو الـرجم بالحجـارة أو بالقـاء جدار عليـه أو بالقـائـه من شاهق ، وكذلك يقتل المفعول به ان كان بالغاً عاقلا مختاراً واذا كـان صبياً فـانه يعـزر فـاعلا كـان أو مفعولا[1] وهـذا الحكم الصارم جـاء للقضاء عـلى هـذه الجـريمـة حتى ينزجر الناس عنها .

(و) ـ السرقة :

وقد نص القرآن الكريم على عقوبة السرقة قال تعالى : ﴿ **والسـارق والسارقـة فـاقطعـوا أيديهـما جزاء بمـا كسبا** ﴾ ويشتـرط في السرقـة التي تستوجب العقـوبة عـدة شروط :

١ ـ ان يكون السارق بالغاً عاقلاً مختاراً فلا قـطع على الصبي ولا عـلى المجنون اذا سرقا وإنما يؤدبان .

٢ ـ ان يـأخذ السـارق السرقـة من حرز ـ أي مـوضع حصـين ـ بعد هتكـه لـه وذلـك بأن يفتـح القفل أو البـاب أو ينقب الجدار فـلا قـطع عـلى من سـرق من غـير حـرز كالصحـراء والطريق ، وكـذلك لا قـطع فيما لـو هتك الحـرز غيره بـأن فتح لـه القفل أو الباب .

٣ ـ أن لا تكـون هناك شبهـة كتوهم الملك أو الحـل كما لـو توهمـه مالـه فظهـر غيـره أو سرق من مـال المديـون له البـاذل له بقـدر مالـه معتقـداً ابـاحـة الاستقـلال بالمقاصة ، وكذا لو سرق من مال الشركة ما يـظنه قـدر نصيبه فـزاد نصابـا عليه فـانه لا قطع للشبهة « والحدود تدرأ بالشبهات » .

---

(٢) الروضة كتاب الحدود .
(١)

٤ ـ ان لا يقل المسروق عن ربع دينار لقوله (ص) : « تقطع اليد في ربع دينار فصاعداً » .

٥ ـ ان لا تكون السرقة في عام المجاعة وان توفرت بقية الشروط لقول الامام الصادق (ع) « لا يقطع السارق في عام سنت » يعني في عام المجاعة وفي خبر آخر كان الامام أمير المؤمنين (ع) لا يقطع السارق في أيام المجاعة .

والواجب في هذا الحد عند الشيعة قطع الاصابع الاربعة من اليد اليمنى ويترك له الراحة والابهام لصحيحة الحلبي عن الامام الصادق عليه السلام قال :

قلت له : من أين يجب القطع ؟ فبسط الامام (ع) أصابعه وقال : من ههنا ـ يعني من مفصل الكف ـ ولو سرق ثانياً بعد قطع يده قطعت رجله اليسرى من المفصل وترك العقب يعتمد عليه حالة المشي والصلاة لقول الامام الكاظم (ع) « يقطع يد السارق ويترك ابهامه وصدر راحته ويترك عقبه » وإذا سرق ثالثاً بعد قطع اليد والرجل يحبس أبداً ولا يقطع من باقي أعضائه ، وإذا سرق من الحبس في المرة الرابعة يقتل ، لقد رتب الاسلام هذه العقوبة وليس فيها أي شائبة قسوة لأن الغرض تأمين الحقوق وصيانة الجهود وتوجيه الناس الى العيش من كسبهم الحلال لا السطو على كسب غيرهم بالاضافة الى ان الاسلام قد وفر كل الطرق الوقائية التي تقي الانسان من ارتكاب هذه الجريمة فقد ضمن لهم المعيشة ووفر لهم اسبابها .

الى هنا ينتهي بنا الحديث عن بعض الحدود التي قررها الإسلام للمحافظة على الأمن العام وعلى نشر الاستقرار في البلاد ، ولو طبقت على حقيقتها وواقعها لاستحال وقوع الجريمة والفساد .

٢ ـ التعازير :

التعزير في « اللغة » المنع والتأديب وفي الاصطلاح الفقهي معاقبة المجرم بعقاب مفوض شرعاً الى رأي الامام ونائبه نوعاً ومقداراً فكل من ارتكب فعلاً محرماً لا عقوبة عليه في القرآن والسنة يثبت في حقه التعزير ، ويدخل في ذلك جميع الجرائم المخلة بالنظام الشرعي سواء أكانت عدواناً من بعض الناس على بعض

كالضرب والشتم والارهاب والتزوير وشهادة الزور والغش والاحتيال ، وما شابه ذلك أو كانت انتهاكا للحرمات الدينية كالجهر بالمعاصي مثل التجاهر بالافطار في شهر رمضان أو الاستهزاء بالدين أو الاخلال بالآداب العامة ، فان المصلحة في مثل ذلك اقتضت أن يفوض العقاب الى رأي الحاكم الشرعي يقول الاستاذ عفيف عبد الفتاح :

« فالتعزير مجال واسع أمام الحاكم يؤدب به من شاء ما دام رائده اصلاح المسيء ومنع استفحال خطره ، وفي هذا من دقة التشريع الإسلامي ما يدل على أنه وحي من الله فإنه مما لا ريب فيه أن أحوال الناس تختلف باختلاف الازمنة والأمكنة فالعقوبة التي تناسب جماعة لها حالة خاصة لا تناسب جماعة اخرى تخالفها في عاداتها واطوارها . فلا يمكن وضع عقوبة محدودة يمكن تطبيقها على جميع الناس فالله العليم باحوال عباده ناط تقدير العقوبة باولى الأمر والقيام بتأديب المجرمين بالعقوبات المناسبة كي يعيش الناس في أمن وراحة واطمئنان »[1] .

ان الحدود والتعازير التي شرعها الاسلام تدعو اليها الحكمة والمصلحة العامة ويتوقف عليهما الامن العام في البلاد ، ولو طبقها المسلمون في بلادهم لما وقع اجرام ولا حدث فساد ، ولا اعتداء من بعض الناس على بعض .

---

(١) روح الدين الاسلامي ص ٣٩٣ ـ ٣٩٤ .

٤ ـ حماية الوطن من الغزو الخارجي :

ويجب على الدولة التي تتبنى الإسلام أن تقوم بحماية الوطن من الغزو الخارجي والاحتلال العسكري وعليها أن توفر جميع القوى العسكرية لحماية بلادها وصيانته من الاعتداء عليه ، وكذلك يجب على عموم المسلمين أن يهبوا لجهاد من يدهم المسلمين من الكفار ، ويتأكد الوجوب على الأقرب فالأقرب ولا يجوز السكوت عن ذلك ، ولو كانت للمسلمين دولة موحدة ذات نفوذ وقوة لما تمكن اليهود على احتلال فلسطين ، واقامة دويلة لهم في قلب الوطن الإسلامي ، وكما ضاعت فلسطين ، ضاع غيرها من الأقاليم الإسلامية ودخلت تحت كابوس الاستعمار ينهب ثرواتها ويهدم معالم حياتها وذلك بمرأى من المسلمين ومسمع فلم يهبوا لنصرتهم ، ولم يقوموا بحمايتهم .

وكما يجب على الدولة الإسلامية أن تقوم بحماية الوطن من الاحتلال العسكري كذلك يجب عليها أن تقوم بحمايته من الغزو الفكري والاحتلال الثقافي فإن خطر ذلك لا يقل عن خطر الاحتلال العسكري وقد وفدت إلى بلاد المسلمين ـ بعد احتلالها وسقوطها بأيدي الغزاة المستعمرين ـ جملة من المبادىء المادية وهي تدعو إلى مسخ الحياة الإسلامية والقضاء على جميع أرصدتها الأخلاقية والدينية فيجب على الحكومات المتحررة القائمة في البلاد المسلمين أن تقضي على هذه المبادىء لتنقذ بلادها من شرورها وويلاتها .

٥ ـ التعليم والأخلاق :

ان الإسلام يعتبر تثقيف المجتمع وتسلحه بالعلوم والأخلاق من الضرورات البالغة ، فإن الإسلام منذ بزوغ نوره قد اهتم بذلك وجعله من اهم مناهجه ومقاصده .

ان الإسلام رفع منار العلم ، ودعا إلى الانطلاق في جميع ميادينه ، وجعل طلبه فريضة من الفرائض التي لا يستغنى عنها يقول (ص) : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » وأمر بطلبه ولو كان في الأمكنة النائية فقال (ص) : « اطلبوا العلم ولو بالصين » وجاء في الحديث الشريف : « من قال : ان للعلم غاية فقد خانه حقه ، ووضعه في غير منزلته التي وضعها الله بها حيث يقول : وما اوتيتم من العلم إلا قليلاً » .

لقد اهتم الإسلام بنشر العلم اهتماماً بالغاً فانه حينما استقر أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في يثرب أمر بتعليم صبيانها الكتابة والقراءة ، واستعمل في ذلك من اسرى بدر من لم يستطع أن يفتدي نفسه بالمال فكان فداء الرجل الواحد منهم تعليم عشرة من أولاد المسلمين ، كما أمر (ص) زيد بن ثابت بتعليم اللغة العبرانية والسريانية فكان أول مترجم في الإسلام .

لقد حث الإسلام على العلم والتعليم وحذر المسلمين من التقصير فيه فقد خطب النبي (ص) ذات يوم وأثنى على طوائف من المسلمين خيراً ثم قال :

« ما بال أقوام لا يفقهون جيرانهم ، ولا يعلمونهم ، ولا يعظونهم ولا ينهونهم ؟ وما بال أقوام لا يتعلمون من [illegible] لا يتفقهون ولا يتعظون :

والله ليعلمن قوم جيرانهم ويفقهونهم ويعظونهم ويأمرونهم وينهونهم وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون أو لاعاجلنهم العقوبة في الدنيا » .

فانبرت طائفة من المسلمين فقالوا لاخوانهم :

- من ترونه عنى بهؤلاء ؟

- عنى الأشعريين .

وكان الأشعريون متفقهين في الدين ولهم جيران جفاة من أهل المياه والاعراب لا يعلمون شيئاً فبلغت مقالة النبي (ص) اليهم فهبوا اليه وقالوا له :

- يا رسول الله ، ذكرت قوماً بخير ، وذكرتنا بشر فما بالنا ؟

فأعاد الرسول (ص) عليهم انذاره فقالوا له :

- انفطن غيرنا ؟

فأعاد (ص) عليهم القول ، وطلبوا منه أن يمهلهم سنة حتى يفقهوهم ويعلموهم ويعظوهم وقرأ (ص) عليهم قول الله تعالى :

﴿ لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصموا وكانوا يعتدون * كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾[1] .

ودل الحديث الشريف[2] على مدى اهتمام النبي (ص) بنشر العلم ولزوم بسطه على جميع المسلمين حتى جعل التقصير في ذلك جريمة اجتماعية يستحق مرتكبها اللوم والتقريع .

ان هذا الموقف الرائع الذي وقفه الرسول (ص) - تجاه الأشعريين الذين لم يزودوا إخوانهم بالعلم ولم يمنحوهم النصح والارشاد - يعتبر من أهم المواقف التي لم

---

(١) سورة المائدة : آية : ٧٨ - ٧٩ .

(٢) الترغيب والترهيب .

يرو لها التاريخ نظيراً .

ان الإسلام قد أقام بنيانه على العلم ، وشيد صروحه على المعرفة وقد نطق القرآن الكريم في بيان خطر العلم وفي تبجيل حملته ورفع مستواهم على غيرهم قال تعالى : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات**[1] ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون**[2] ﴾ وقال تعالى : ﴿ **هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**[3] ﴾ وقال تعالى : ﴿ **انما يخشى الله من عباده العلماء**[4] ﴾ .

وتواترت الأخبار من النبي (ص) ومن أئمة أهل البيت (ع) في فضل العلم وتقدير حملته وقد أقبل المسلمون في عصورهم الاولى على دراسة العلوم وتسجيلها وقد أسس الإمام الصادق (ع) أهم جامعة اسلامية في يثرب زودت العالم الإسلامي بأهم العلوم النافعة فقد احتوت تلك الجامعة الكبرى على أربعة آلاف طالب[5] وفيهم من كبار العلماء والمحدثين الذين أصبحوا أئمة ورؤساء لبعض المذاهب الإسلامية كأبي حنيفة والإمام مالك وغيرهما وقد اتسعت بذلك الحركة الإسلامية اتساعاً هائلاً حتى شملت جميع المناطق الاسلامية يقول السيد مير علي الهندي :

« ولا مشاحة ان انتشار العلم في ذلك الحين قد ساعد على فك الفكر من عقاله فاصبحت المناقشات الفلسفية عامة في كل حاضرة من حواضر العالم الإسلامي ولا يفوتنا أن نشير إلى ان الذي تزعم تلك الحركة هو حفيد علي بن أبي طالب المسمى بالامام « جعفر » والملقب « بالصادق » (ع) وهو رجل رحب افق التفكير بعيد أغوار العقل ملم كل الالمام بعلوم عصره ويعتبر في الواقع أول من

---

(١) سورة المجادلة : آية ١١ .

(٢) سورة العنكبوت : آية ٤٣ .

(٣) سورة الزمر : آية ٩ .

(٤) سورة الفاطر : آية ٢٨ .

(٥) الارشاد ، اعلام الورى .

أسس المدارس الفلسفية المشهورة في الإسلام ولم يكن يحضر حلقته العلمية اولئك الذين أصبحوا مؤسسي المذاهب فحسب بل كان يحضرها طلاب الفلسفة والمتفلسفون من الأنحاء القاصية [1]» .

وقد تناولت بحوث الامام الصادق (ع) جميع الفنون العلمية من العقلية والنقلية ومذاهب الكلام والوان الآداب العامة وضروب الثقافة العالية كتفسير القرآن الكريم وعلم الطب والكيمياء وعلم النبات وغيرها من العلوم التي لها الأثر التام في التقدم الاجتماعي .

ان قيام الامام الصادق (ع) وغيره من أئمة أهل البيت عليهم السلام بنشر العلم والثقافة كان بوحي من الاسلام الذي الزم بتنوير العقول ونشر العلم بين الناس .

إن الدولة التي تتبنى الإسلام عليها أن تبذل جميع امكانياتها في نشر الثقافة ، وتنوير العقول بالعلوم والمعارف ، وان تقضي على الجهل وتستأصل جذوره فإنه السبب التام في انحطاط الامة وتدهورها ، وكذلك يجب عليها أن تقوم بنشر الأخلاق الفاضلة والمزايا الكريمة بين الناس فإن ذلك من أهم واجباتها وأهدافها .

إن الدولة التي تتبنى الإسلام ملزمة بأن تقوم بالاصلاح الشامل بين المواطنين فلا تبقي في البلاد شركاً من اشراك المغريات والشهوات ، ولا أثراً من آثار الرذائل والمفسدات ، ولا ظاهرة من ظواهر التفسخ والانحلال ، فان اقبار الرذائل واماتة المنكرات من أهم الأهداف الرفيعة التي ينشدها الإسلام .

---

(١) تاريخ العرب ص ١٧٩ .

٦ ـ العمران والانشاء :

إن من أهم الأعمال التي تقوم بها الدولة الإسلامية في سياستها الداخلية هي العمران والانشاء سواء في الحقل الزراعي أم في غيره ، فان ازدهار الحياة العامة وتطورها منوطة بذلك ، فإذا أهملت الدولة ذلك انتشر البؤس وعمت الفاقة ، وقد أوصى الامام امير المؤمنين مالك الأشتر أن يبذل المزيد من الجهود في تعمير الأرض واصلاحها .

يقول عليه السلام :

« وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج لأن ذلك لا يدرك إلا بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد واهلك العباد ، ولم يستقم أمره إلا قليلاً » .

إن حركة الانشاء والتعمير توجب تقدم البلاد ، وانتشار الثروة وتقضي على البطالة ، يقول الإمام امير المؤمنين (ع) :

« إن معائش الخلق خمسة : الامارة والعمارة والتجارة والصدقات ، إلى ان قال : واما وجه العمارة فقوله تعالى : ﴿ هو الذي انشأكم من الأرض واستعمركم فيها ﴾ فاعلمنا سبحانه انه قد أمرهم بالعمارة ليكون ذلك سبباً لمعاشهم بما يخرج من الأرض من الحب والثمرات وما شاكل ذلك مما جعله الله معائشاً للخلق[١] » .

وقد تظافرت الأخبار بالحث على الزراعة لأجل احياء الأرض يقول الرسول

---

(١) الوسائل : كتاب المزارعة .

(ص) : « من أحيا أرضاً ميتة ثقة بالله عز وجل واحتساباً كان حقاً على الله أن يغنيه وأن يبارك له[1] ودخل (ص) على ام ميسر الانصارية في نخل لها فقال لها :

ـ من غرس هذا النخل أمسلم أم كافر ؟

ـ بل مسلم .

ـ لا يغرس مسلم غرساً ، ولا يزرع زرعاً فيأكل منه انسان ، أو دابة إلا كانت له به صدقة[2] .

إلى غير ذلك من الأخبار التي تأمر بالتعمير ليظفر الإنسان بالخيرات والثمرات حتى يسلم من البؤس والفاقة .

لقد دعا الإسلام إلى احياء الأرض الموات ، وجعلها ملكاً لمن أحياها يقول (ص) : « من أحيا مواتاً فهي له » وعن أبي عبدالله (ع) ان رسول الله (ص) قال : « من غرس شجراً أو حفر وادياً لم يسبقه اليه أحد أو أحيا أرضاً ميتة فهي له قضاء من الله ورسوله » وعن اسمر بن مضرس قال : قال (ص) : من سبق إلى ما لم يسبق اليه مسلم فهو له ، قال : فخرج الناس يتهادون (أي يسرعون) يتخاطون (أي يضعون على الأرض عاملات بالخطوط[3]) .

ان ملكية المحيي للأرض من أفضل الطرق لانتشار حركة العمران في البلاد كما انها من أهم العوامل لازدهار الحركة الاقتصادية ونموها .

ومما يوجب انتشار العمران عدم كنز الأموال وادخارها ولعل لهذه الجهة حرم الإسلام كنز الأمول قال الله تعالى :

﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما

---

(١) الترغيب والترهيب .

(٢) صحيح مسلم .

(٣) رواه ابو داود .

كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون[1] ﴾ .

إنه ليس من الإسلام أن تحجب الأموال وتكنز ولا تستفيد البلاد منها فإن ذلك يؤدي إلى شل الحركة الاقتصادية ، ويعرض البلاد إلى الأزمات والاضطرابات يقول ابن خلدون :

« اعلم ان الأموال إذا كنزت في الخزائن لا تنمو وإذا كانت في صلاح الرعية واعطاء حقوقهم وكف الأذى عنهم نمت وزكت وصلحت بها العامة وترتبت بها الولاية ، وطاب بها الزمان ، واعتقد فيها العز والمنفعة فليكن كنز خزائنك تفريق الأموال في عمارة الاسلام وأهله[2] » .

ان حرمة كنز الأموال من الخطوط الرئيسية في الاقتصاد الإسلامي فإن هذا الاجراء يؤدي إلى انتشار العمل ويقضي على البطالة ويجنب البلاد من الأزمات الاقتصادية .

---

(١) سورة التوبة : آية ٣٤ و ٣٥ .

(٢) مقدمة ابن خلدون .

٧ ـ الصحة :

ان العناية بالصحة جزء مهم من مناهج الدولة الإسلامية ومن أسمى مقاصدها وأهدافها ، فعليها أن تهيأ جميع وسائل الصحة للمواطنين وتنقذهم من الأمراض والأوباء فإن سلامتهم من ذلك وتمتعهم بالصحة يعود بالخير العميم على الامة ، وأشار الحديث الشريف إلى مزية المؤمن السليم من الأمراض قال عليه السلام : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير[1] » وفي حديث آخر : « العقل السليم في الجسم السليم » .

لقد اعتنى الإسلام بالصحة عناية بالغة ، ووضع للأجسام كثيراً من التشريعات تقيها من الأمراض وتحفظها من العلل والأسقام ، ونشير إلى بعضها :

١ ـ النظافة :

لا شك ان النظافة تقي الابدان من الأمراض ، وتمنعها من الاصابة بالأمراض السارية وقد حث الإسلام عليها فقد جعلها مرتبطة بالايمان يقول عليه السلام : « النظافة من الايمان » ويقول (ص) : « ليس منا الرجل القاذورة » وأمثال ذلك من الأحاديث التي تحث على النظافة وتدعو إليها ، وقد ارتبطت بها بعض الواجبات وهي :

---

(١) رواه مسلم .

(أ) ـ الوضوء :

وشرع الإسلام الوضوء قبل القيام إلى الصلاة قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين**[1] ﴾ .

ويترتب على الوضوء الشيء الكثير من المنافع الطبية الجسيمة فقد ذكر الأطباء الاخصائيون ان غسل الوجه والأيدي أحسن وقاية لها من الأمراض الجلدية والالتهابات لأن الكثير من الميكروبات تصيب الانسان بطريق اختراق الجلد ، ولا شك ان الغسل المتكرر من الوقايات البسيطة الفعالة ، لأن الطبقة الخارجية للجلد تمنع كل الميكروبات من الوصول إلى داخل الجسم إلا إذا حصل فيها « تسلخ » ولو بسيطاً فهي حينئذ تفقد وظيفتها وتتمكن الجراثيم من الدخول إلى الجسم وأهم سبب لوجود التسلخات البسيطة هو « الهوش » وهو نتيجة عدم النظافة وأما الجراثيم التي تدخل من الفم فلا تدخل إلا من طريق تلويث الأيدي ، فإذا كانت الأيدي مغسولة نظيفة على الدوام كانت أحسن وقاية[2] وبالاضافة لذلك فإن تكرار الغسل خمس مرات يومياً موجب إلى قبض العروق الشعرية السطحية الجلدية وبسطها وهذا القبض والبسط يسبب زيادة حركة القلب وينشط المبادلات في الجسم ويكثر عدد الكريات الحمر ويقوي الحركات النفسية المسببة لزيادة استنشاق الاوكسجين ودفع الكاربون ويحصل بذلك تنبه الأعضاء المدركة المحركة ويسري هذا التنبه إلى جميع الأعصاب القلبية والرئوية والمعدية[3] أما مستحبات الوضوء من المضمضة والاستنشاق فقد ذكر الأطباء لها جملة من الفوائد الجليلة فقد أفادوا أن فوائد المضمضة تطهير الغشاء الميائي للأسنان وتنظيف خللها وخلاياها من الأوساخ وبقايا الطعام الذي ان بقي فسد وتعفن فأضر بالمعدة باختلاطه مع الغذاء النازل اليها

---

(١) سورة المائدة : آية ٦ .

(٢) الإسلام والطب الحديث ص ٦٢ ـ ٦٣ .

(٣) القرآن والطب الحديث ص ١٠٩ .

وإذا فسد الغذاء فسد الدم المتولد منه ، وإذا فسد الدم لم يغذ البدن تماماً وأورث بالاستمرار أمراض فقر الدم ، وصفرة الوجه ونحول الجسم ، وأحياناً يولد الديدان المعدية ولهذا قيل « سلامة الأبدان بسلامة الأسنان » .

وأما فوائد الاستنشاق فهي تطهير مجاري الأنف من جراثيم تجتمع في فضائه وقد تسري إذا بقيت إلى الدماغ وقد تنفذ إلى الحنجرة ومنها إلى الرئتين فتحدث أمراضاً خطرة دماغية كالصرع والهستريا أو رئوية كضيق النفس والسعال وأمثالها[1] ، وذكروا جملة اخرى من الفوائد المهمة يطول المقام بذكرها .

(ب) ـ الغسل :

وأوجب الإسلام غسل البدن كله بالماء للرجل والمرأة عقيب الاتصال الجنسي أو الاحتلام قال الله تعالى : ﴿ **وان كنتم جنباً فاطهروا** ﴾ .

لقد ثبت في الطب ان الاتصال الجنسي يفقد الجسم شيئاً من حيويته وقوته وتبطىء الحركة الدموية في العروق وليس شيء يعيد إلى البدن حيويته غير الاغتسال بالماء وإذا لم يغتسل المجنب يبقى الجسم على فتوره ويؤدي ذلك إلى الأمراض الجلدية .

وهناك امور اخرى ندب اليها الإسلام وحث عليها وهي توجب صحة البدن وسلامته ووقايته من الاصابة بالأمراض كتنظيف الأسنان بالسواك يقول (ص) : « لولا ان اشق على امتي لأمرتهم بالسواك قبل كل صلاة » والسواك عود من خشب الأراك يستعمل لتنظيف الأسنان ويورث الفم نكهة طيبة .

وندب الاسلام إلى نظافة سائر أجزاء البدن فقد حث على الحلق وقص الأظافر فقد جاء في الحديث « خمس من الفطرة الاستحداد[2] والختان وقص الشارب ونتف الابط وتقليم الأظافر[3] » وندب إلى نظافة الثياب والملابس وأكد

---

(١) القرآن والطب الحديث ص ١١٠ .

(٢) الاستحداد : حلق شعر الأعضاء التناسلية .

(٣) رواه مسلم والبخاري .

الندب في الدخول الى المساجد والعتبات المقدسة والأمكنة الشريفة ، وكره الاستنجاء في المياه والطرق كل ذلك لأجل المحافظة على الصحة التي لا تستغني عنها الحياة .

٢ ـ المأكل والمشرب :

وحرم الإسلام تناول بعض المأكولات والمشروبات لأنها توجب انهيار الصحة وفساد الأبدان والأخلاق والطباع ، وأمر بتناول الطيبات التي لا تضر بالصحة قال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله إن كنتم إياه تعبدون * انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله**[1] ﴾ وقد نصت الآية الكريمة على تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير ونبين بعض الاضرار التي تترتب على هذه المحرمات :

١ ـ الميتة :

الميتة من الحيوان هي التي تفارقها الروح من دون أن تذبح فإذا كانت ميتة طبيعية لا لشيخوخة ولا لحادث من الحوادث فقد ذكر الأطباء في اضرارها ما نصه : « الحيوان الميت ميتة طبيعية لا يموت إلا لسبب ، فان كان لمرض فمما لا شك فيه انه لا يزال في الجسم نتيجة التسمم من مواد غير طبيعية وضارة للإنسان ، حتى بعد أن يعقم من الجراثيم بطريق النار ، فالجسم الميت في هذه الحالة يشبه الغذاء المتخمر الذي مهما طهر من الجراثيم بالحرارة يظل مضراً بالانسان وربما أدى الأكل منه إلى الوفاة[2] .

وقال بعض الأطباء : « إن الميتة تنعدم فيها جميع خواصها الطبية للبدن وتزول كل موادها الحيوية فإذا أكلها الانسان عقب موت الحيوان مباشرة ، أحدثت له مغصاً في المعدة ونزلات معوية حادة ، أما إذا مضت على موته مدة حتى تعفن

---

(١) سورة البقرة : آية ١٧٢ و١٧٣ .

(٢) الإسلام والطب الحديث ص ١٧ .

فقد صار سماً زعافاً وأضر في البدن ضرراً كاد أن لا يتدارك مثل الفالج والسكتة وموت الفجأة وأحياناً بالمداومة قد يحدث العقم في النسل[1] .

وأما إذا كانت الميتة مستندة الى الشيخوخة فإن ضررها كضرر الميتة بالمرض لأن الشيخوخة موجبة لانحلال الأنسجة بأسرها وهو يحدث تغييراً في لحوم الحيوان يقلل من قيمتها الغذائية وقابليتها للهضم فيؤدي الى الأمراض المعدية .

أما الميتة التي يستند موتها الى بعض الحوادث فقد حرمها الإسلام قال الله تعالى : ﴿ **حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع**[2] ﴾ .

لقد حرم الإسلام هذه الأصناف لأنها تشاك الميتة في أضرارها وفي إفسادها للأجسام والأبدان ونشير الى المراد منها بيان بعض الأضرار المترتبة عليها :

١ ـ المنخنقة :

المنخنقة : هي الحيوان الذي يموت بالخنق ، وقد ذكر الأطباء أن الاختناق يجعل لحم الحيوان سريع التعفن كما يتغير شكل اللحم فيميل الى الكآبة والسواد ويكون ذا رائحة كريهة .

٢ ـ الموقوذة :

الموقوذة : هي المضروبة حتى تشرف على الموت من أثر الضرب وهي تشارك المنخنقة في تعفن لحمها وعدم صلاحيته للأكل .

٣ ـ المتردية :

المتردية : هي التي تسقط من مكان مرتفع فتموت وهي لا تصلح للأكل وذلك لتعفن لحمها واسوداده .

---

(١) القرآن والطب الحديث ص ٧٤ .
(٢) سورة المائدة : آية ٣ .

٤ ـ النطيحة :

النطيحة : هي التي تموت من اثر عراكها مع مثيلتها من الحيوانات ولا تصلح للأكل نظراً لتعفن لحمها واسوداده ، وقد قرر (علم فحص اللحوم) ترتب ذلك على جميع هذه الأصناف .

٥ ـ ما أكل السبع :

وهي : الحيوان الذي يفترسه السبع فقد حرم الاسلام أكله والحكمة في ذلك ان الحيوانات المفترسة تأكل الجيف عادة التي تحمل الأمراض الفتاكة وربما انتقلت تلك الجراثيم من فم السبع إليها فتؤدي الى الاضرار الهائلة على المجتمع .

٢ ـ الدم :

وحرم الاسلام تناول الدم وهو المسفوح لأنه مرتع للجراثيم فمنه تتولد ومنه تنتشر بالإضافة الى أنه يحمل إفرازات وسمومات فإذا تناوله الشخص فإنه يحدث فيه تهيجاً في الأغشية المعدية ، ويسبب الأمراض الخطيرة ، أما إذا اخذ الدم من الحيوان المريض فإنه يحدث ارتفاعاً في درجة حرارة البدن وفي ضغط الدم .

٦ ـ لحم الخنزير :

وحرم الإسلام لحم الخنزير وذلك لما فيه من الأضرار فإنه يحدث الداء المسمى (تريشينوز) وهو داء صعب العلاج ، يصحبه إسهال شديد وأحياناً يحدث اسهالاً دموياً مع مغص وحمى قوية وانحطاط في القوى وأوجاع مؤلمة في المفاصل ، وجفاف في الحنجرة وأعضاء التنفس وانتفاخ ظاهر في الوجه وخاصة حول العينين كما يوجب الضعف العام في الجسم وتشتد فيه العوارض وربما تنتهي به الى الموت .

وقد اكتشف الطبيب الانجليزي (باجت) في سنة « ١٨٣٥ » هذا الداء بمساعدة استاذه (اوين) عند تشريح جثة انسان كان يكثر من أكل لحم الخنزير وبعد التجارب المتعاقبة ظهر لديه أن هذا الداء ينشأ من دودة تسمى (ثريشينلا)

تعيش في أمعاء بعض الحيوانات ذوات الثدي كـالفيران والجـرذان والكلاب والخنـازير غير انها فيها أربى وأكثر تولداً خصوصـاً وهي تأكـل الجيف من كل حيـوان يموت وفيـه الـطفيلة ، فإذا أكـل الانسان لحم الخنـزير المصـاب بها فـلا بد وأن يـدخل في جـوفـه قسم كبـير من أكياسهـا الحية المخزونة في لحم الخنـزير المصـاب ؛ وبعد مـدة وجيـزة تـذوب تلك الأغشية في أمعـاء الانسان فتخـرج منها الـديدان وتنتشر في جميـع أنحـاء البـدن فتسبب الأمراض السـالفة الـذكر[1] ، وهـذه الإصابـة توجـد بكثرة في البـلاد الغرب التي استباحت أكله . يقول « بيني وديكسون » :

« إن الإصابة بها تكاد تكون عامة في جهات خاصة في فرنسا والمـانيا وبـريطانيـا وايطاليا ولكنهـا تكاد تكـون نادرة الـوجود في البـلاد الشرقيـة لتحريم دين أهلهـا أكل لحم الخنزير » وقد أدلى بعض الأطباء بالحقائق التـالية عن لحم الخنـزير وعن الإصـابة به وهي :

١ ـ إنـه ليس من الممكن لطبيب أخصـائي أن يقرر أن خنـزيراً مـا غير مصـاب بهذه الديـدان إلا إذا فحص كل جـزء من عضلاتـه تحت المجهر وهـذا غير ممكن لأنـه إذا فعل ذلك نفد لحم الحيوان .

٢ ـ الانثى الـواحـدة من هـذه الـديـدان تضـع نحـو ١٥٠٠ جنـين في الغشـاء المخـاطي المبطن لأمعـاء المصاب فتـوزع الملايـين المـولـودة من الإنـاث جميعـاً بـطريق الـدورة الدمـوية الى جميـع أجزاء الجسم فتتجمـع الأجنة في العضـلات الإرادية حيث تسبب آلاماً شديدة والتهابات عضلية مؤلمة تدعو الى انتفاخ النسيـج العضلي وصـلابته وتكون نتيجة الأورام التي تمتد بطول العضلات .

٣ ـ إنـه لا يوجـد عـلاج لهـذا المـرض ، ولأسبـاب فنيـة لا يجـدي معـه دواء وبجـانب ينقل لحم الخنـزير لـلانسان بعض الجـراثيم العفنة والبـارايتفـود التي تسبب للانسان تسمما حاداً مصحوبا بالتهابـات شديـدة في الجهاز الهضمي قـد تسبب الوفـاة في بضع ساعات[2] .

---

(١) القرآن والطب الحديث ص ٧٦ .

(٢) روح الدين الاسلامى ص ٤٠٥ .

ان هـذه الاضـرار الهـائلة المتـرتبـة عـلى تنـاول لحم الخنـزيـر تكشف عن عمق الشارع وبعد نظره في تحريمـه ولعل المختبـرات العلمية في المستقبـل تكشف عن اضرار اخـرى غير هذه .

الخمور :

وحرم الاسلام الخمر بل كـل مسكر وذلـك لما يتـرتب عليه من الاضـرار الهائلة فقد احصت كتب الطب أربعاً وعشرين ضرراً مترتباً على شربه وقـد ذكرنـا أكثرهـا في كتابنا « العمل وحقوق العامل في الإسلام » بالاضـافة الى ذلـك انه يـوجب الانغماس في الـرذائل والمـوبقات كـالقمـار والـدعـارة والمجـون وفقـدان الشـرف ، وقـد أوجب الاسلام الحد وهو ثمـانون جلدة عـلى من تناولـه ,إذا كان مستحـلاً له عن فـطرة فيقتل كما انه لو استحل بيعه فيستتاب فإن امتنع من التوبة قتل .

إن الخمر منبع الفساد ومصدر الجرائم والرذائل فاللازم على الحكـومات القـائمة في بلاد المسلمين أن تمنع صنعه وتقطيره وبيعه لتنقذ المـواطنين من ضـرره وشرره فـإنه من أهم الأسباب الموجبة لتدهور الصحة والأخلاق .

الاسراف في الأكل :

ونهى الإسـلام عن الاسـراف في الأكـل قـال تعـالى : ﴿ **وكلوا واشـربـوا ولا تسـرفوا انـه لا يحب المسرفـين**[1] ﴾ ويقول النبي (ص) : « مـا مـلأ ابن آدم وعـاء شراً من بطنـه ، وحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبـه فإن كـان لا بد فثلث لـطعامـه وثلث لشرابه وثلث لنفسه » لقد وضع الاسلام بـذلك مبـدأ عامـاً للوقايـة من أمراض الجهاز الهضمي فإن الإنسان إذا أكثر من الطعام لم يستطع له هضـماً ويصاب بـالتخمة كما يوجب تمدد المعدة واضطرابها .

ان الاسراف في تناول الطعام يوجب البدنة عند الانسـان وهي مسببة لأمـراض

---

(١) سورة الاعراف : آية ٣١ .

القلب وارتفاع ضغط الدم ومرض السكر وغير ذلك فلذا نهى الاسلام عن الشراهة لأجل الحفاظ على الصحة ووقاية الانسان من الأمراض .

إلى هنا ينتهي بنا الحديث عن بعض الامور التي شرعها الاسلام لوقاية الانسان وسلامته من الأمراض .

إن كثيراً من التشريعات الإسلامية تتصل بالطب اتصالاً وثيقاً وقد الف جماعة من الاطباء والكتاب جملة من المؤلفات والكتب وقد كشفت عن عناية الإسلام بالصحة وسبقه إلى تأسيس معالمها واسسها وانها جزء مهم من برامج سياسته فعلى الدولة التي تتبنى الإسلام أن تبذل المزيد من الجهود الى ازدهار الصحة وتقدمها وانشاء المؤسسات الطبية والمستشفيات لتقي المواطنين من الأمراض والأسقام .

٨ ـ الغاء التمايز العنصري :

ان على الدولة التي تسير على ضوء التعاليم الإسلامية أن تساوي بين جميع المواطنين في الحقوق والواجبات فلا تميز قوماً على آخرين ولا صنفاً على آخر لأن الاسلام قد حطم جميع الحواجز وألغى التمايز العنصري وساوى بين الابيض والاسود يقول (ص) : « ان سين بلال خير من شينهم » ويقول (ص) : « سلمان منا أهل البيت » وفقد (ص) امرأة سوداء كانت تقيم في المسجد فسأل عنها فقيل له انها قد ماتت فتألم (ص) وقال لأصحابه :

ـ أفلا كنتم آذنتموني به ؟

وأمر (ص) أن يدلوه على قبرها فانطلق وصلى على القبر .

ان الغاء التمايز العنصري الذي رفع شعاره الاسلام يحقق التعايش السلمي بين جميع الشعوب ويحطم الفوارق والامتيازات التي لا تزال موجودة بأجلى مظاهرها في هذا العصر في امريكا حيث يقابل الزنوج فيها بكل قسوة وجفاء ، ولو كانت عند حكومة امريكا ذرة من العدل والانصاف لأحسنت معاملة الزنوج وساوت بينهم وبين البيض فقد حرمتهم من أبسط الحقوق فإن العامل الزنجي يأخذ أجراً أقل من نصف اجرة العامل الأبيض ولا يدرس الزنوج في مدارس البيض ولا يسكنون معهم في منزل واحد ولا يسمح لهم بالنزول في فنادق البيض ومن طريف ما ينقل عن واقع ذلك المجتمع الذي بني على الامتيازات والفوارق ان صاحب مقبرة الكلاب في واشنطن اعلن عام (١٩٤٧) انه لا يقبل جثث الكلاب التي تملكها الزنوج ويعلل ذلك مع علمه بأن الكلاب لا تجد غضاضة في أن تدفن كلها في جبانة واحدة ان

زبائنه البيض قد ساءهم أن تعامل كلابهم هذه المعاملة المنكرة بعد وفاتها فتساوي كلاب الزنوج .

إن هذه الفوارق هي التي تبعث الكراهية والحقد بين أفراد المجتمع وقد حطمها الإسلام وقضى عليها منذ بزوغ نوره وقد تقدم الكلام في بيان ذلك مشفوعا بالتفصيل عند عرض مظاهر المساواة التي منحها الإسلام للإنسان .

إلى هنا ينتهي بنا المطاف في « الحلقة الاولى » من هذا الكتاب سائلين من العلي القدير أن يعيد حكم الاسلام العادل ونظامه الرفيع لترتفع راية محمد (ص) وتسود كلمة الله وتمتلىء الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً من جراء هذه السياسات الجائرة والمبادىء الرخيصة التي تنكرت لجميع الأهداف الأصيلة والمثل الرفيعة .

اللهم ، إن القوى الكافرة قد عاثت فساداً في بلاد المسلمين فجزأت بلادهم وفرقت كلمتهم وأشاعت التفسخ والتحلل بين أبنائهم حتى صار المسلمون بأقصى مكان من الذل والهوان وقد وعدت المؤمنين ـ ووعدك الحق ـ بأن يكون النصر للإسلام والفوز للإيمان فقلت في كتابك الكريم :

﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ﴾ .

« أسماء المصادر »

« التي اقتبسنا منها ابحاثنا في هذا الكتاب »

اسم الكتاب	اسم المؤلف
القرآن الكريم	
التبيان	للشيخ الطوسي
اصول الكافي	للشيخ الكليني
اللمعة	للشهيد الاول والثاني
احكام القرآن	للجصاص
الترغيب والترهيب	للحافظ اسماعيل
المكاسب	للشيخ الانصاري
اعجاز القرآن	مصطفى صادق الرافعي
السنن الكبرى	للبيهقي
المعجم الصغير	للطبراني
الطبقات الكبرى	لابن سعد
البداية والنهاية	لابن كثير
المواهب اللدنية	مصطفى شاهين
اسد الغابة	لابن الاثير
الاصابة	لابن حجر
المراجعات الريحانية	للشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء
المثل العليا في الاسلام لا في بحمدون	للشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء

اسم الكتاب	اسم المؤلف
الحسبة في الاسلام	لابن تيمي
الفلسفة والمجتمع الإسلامي	عبد المجيد اللبان
الدعوة الى الإسلام	توماس ارنولد
القانون الدولي العام	لعلي ماهر
الفكر الإسلامي الحديث	محمد البهي
الإسلام وجهاً لوجه	
اتحاد المسلمين	جلال نوري بك
العمل وحقوق العامل في الإسلام	للمؤلف
أهل البيت	عبد العزيز سيد الاهل
الاصنام	للكلبي
الهاشميات	للكميت
الكامل	لابن الأثير
الأمة والمواطن الصالح	عبد العزيز عبد المجيد
العدالة الاجتماعية	سيد قطب
التشريع الجنائي الإسلامي	عبد القادر عوده
الإسلام الصحيح	للنشاشيبي
القاموس	للفير وزابادي
الوزراء والكتاب	للجهشياري
النظام الشيوعي	لماهر نسيم
الاشتراكية والدين	لينين
احياء العلوم	للغزالي
الدستور البريطاني	لايرون الكسندر
المدخل الفقهي العام	مصطفى أحمد الزرقاء
البحر الرائق	لابن نجيم
السياسة الشرعية	لابن تيمية

اسم الكتاب	اسم المؤلف
الرسالة الاولى في حياة الامام الصادق	توفيق الفكيكي
الراعي والرعية	توفيق الفكيكي
العلوم السياسية	رايموندي كارفيلد
أدب السياسة	احمد محمد الحوفي
الاسلام والطب الحديث	عبد العزيز اسماعيل
القرآن والطب الحديث	للشيخ محمد الخليلي
العالم في القرن العشرين	لويس ل . شنايدر
الاسلام والاستبداد السياسي	محمد الغزالي
اصول العلاقات السياسية الدولية	الدكتور أحمد سويلم
الارشاد	للشيخ المفيد
اعلام الورى في اعلام الهدى	للطبرسي
الصحاح	للجوهري
الخراج	لأبي يوسف
بلوغ الإرب في احوال العرب	للآلوسي
بحار الأنوار	للمجلسي
تحف العقول	لابن شعبة
تأريخ الطبري	للطبري
الاموال	لابي عبيد
تهذيب التهذيب	لابن حجر
تاريخ اوروبا في العصر الحديث	هـ . ا . ل فشرس
تفسيرالفخرالرازي	للرازي
تفسير ابن كثير	لابن كثير
تاريخ العرب	للسيد مير علي الهندي
تاريخ اليعقوبي	لليعقوبي
تيسير الوصول	لابن الديبغ

اسم الكتاب	اسم المؤلف
ثورة الزنج	فيصل السامر
جامع السعادات	للنراقي
جواهر الاحكام	محمد حسن الجواهري
الجامع الصحيح	للبخاري
حياة الامام الحسن بن علي	للمؤلف
حياة الامام موسى بن جعفر	للمؤلف
حضارة العرب	لغوستاف لوبون
حركات الشيعة المتطرفين	محمد جابر عبد العال
حيثما يكون الاسلام	لجيب
حاضر العالم الإسلامي	لو ثروب ستو
خطط المقريزي	للمقريزي
دائرة المعارف	للبستاني
دين ودولة	احمد محمد جمال
دراسات اسلامية	عبد المتعال الصعيدي
روح الدين الاسلامي	عفيف عبد الفتاح طباره
زاد المعاد في هدي خير العباد	لابن القيم الجوزية
سيرة ابن هشام	لابن هشام
سفينة البحار	للشيخ عباس القمي
صبح الاعشى	للقلقشندي
صحيح مسلم	لمسلم
صحيح الترمذي	للترمذي
عبقرية الاسلام في اصول الحكم	لمنير عجلان
علم المالية	لفارس الخوري
فوائد الثمرات الاحمدية في المباحث الاقتصادية	لمحمد عفيفي
قانون تحقيق الجنايات المصري	

اسم الكتاب	اسم المؤلف
كنز العمال	للشيخ علاء الدين الهندي
كنز الفوائد	للكراجكي
كليات أبي البقاء	لابي البقاء
نهج البلاغة	محمد عبده
مجمع البيان	للطبرسي
مفردات القرآن	للراغب الاصفهاني
مقاتل الطالبيين	لأبي الفرج الاصفهاني
مذهب الاحرار	مسيمو سلفدوري
مستدرك الوسائل	للشيخ النوري
ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين	لابي الحسن الندوي
مقدمة ابن خلدون	لابن خلدون
مستقبل الاسلام	لجيب
مجلة العرفان	للشيخ عارف الزين
وعاظ السلاطين	لعلي الوردي
وسائل الشيعة	للشيخ محمد حسن الحر العاملي
يوم الإسلام	لاحمد امين

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
(٣) طابعها	٥٤
(٤) مقياسها الصحيح	٥٥
(٥) أنواعها	٥٥
(١) السياسة العادلة ، مظاهرها	٥٦
(١) اقامة العدل ، معنى العدل	
(٢) العدل في القرآن	٥٨
(أ) العدل في الحكم (ب) الشهادة (ج) في القول (د) اقامة صروح العدل	
(٣) العدل في السنة	٦١
(أ) الدعوة إلى تحقيق العدل (ب) الحاكم العادل (ج) المساواة (د) الحرية	
(٤) الرفق بالرعية	٦٧
(١) الصراحة والصدق	٦٨
(٢) التجنب عن المكر والخداع	٧٠
السياسة الظالمة	٧١
مظاهرها (أ) الاستبداد (ب) ارهاق الشعوب (ج) نهب الأموال (د) هبات الأموال (هـ) اشاعة الفقر	
حكم الاسلام فيها	٨٤
(١) ما ورد في القرآن الكريم	٨٤
(أ) حرمة الركون الى الظالمين (ب) الانتقام منهم (ج) تدمير ديارهم (د) الدعوة الى الاعتبار بهم.	
(٢) ما ورد في السنة من ذم الظلم وتحريمه	٨٦
(أ) الحاكم الجائر (ب) المقاومة السلبية (١) حرمة التعاون مع حكام الجور (٢) حرمة الاتصال بهم (ج) المقاومة الايجابية (د) الأخبار الموضوعة في تمجيد الحكام الجائرين (هـ) الوظيفة من قبل الجائر	
رسالة النجاشي	١٠٤

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة